نيل شسترمان
NEAL SHUSTERMAN

الكاتب الحائز على جائزة الكتاب الوطنية

مُفتت ٧
UNBOUND

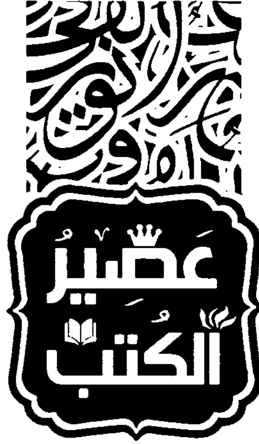
السلسلة الأكثر مبيعًا بقائمة «نيويورك تايمز»

عصير الكتب

ترجمة: علا سمير الشربيني ومحمد عبد العاطي

ممتد
UNBOUND





للنشر والتوزيع

● العنوان الأصلي: UnBound
● العنوان العربي: مُمتَد
● طُبِع بواسطة: Simon & Schuster
● حُقوق النشر:
Copyright © 2015 by Neal Shusterman
Published by arrangement with Simon & Schuster Books For Young Readers, An imprint of Simon & Schuster Children's Puhlishing Division
● حقوق الترجمة: محفوظة لدار عصير الكتب

● تأليف: نيل شسترمان
● ترجمة: علا سمير الشربيني ومحمد عبد العاطي
● تحرير: أحمد حسين
● تدقيق لغوي: نهال جمال
● تنسيق داخلي: معتز حسنين علي
● الطبعة الأولى: يناير/ 2025م
● رقم الإيداع: 33697/2024م
● الترقيم الدولي: 978-977-992-498-4

نيل شسترمان

NEAL SHUSTERMAN

الكاتب الحائز على جائزة الكتاب الوطنية

مكتبة

مُفتت

UNBOUND



السلسلة الأكثر
مبيعًا بقائمة
«نيويورك تايمز»

ترجمة: علا سمير الشربيني ومحمد عبد العاطي

إلى ستيف باشن الذي رافقني منذ بدأت حكي القصص..

وفارقنا مبكرًا.

أُمِّيون

خرج التلميذ من الباب. إنه أول من خرج من المبنى عندما دق الجرس. ومن المتوقع أن يصل إلى المنزل بعد ربع ساعة من انتهاء اليوم الدراسي. لكنه لن يعود إلى المنزل.

فيما يركض في الشوارع، تظهر علامات «حرب الجوهر» من حوله. سيارات محترقة.. حطام عيادات مدمرة.. صلبان على الأرض تحدد أماكن وفاة جنود ومدنيين -من كلا الجانبين- وهم يقاتلون من أجل قضيتهم. هذا ليس جديدًا. إنه العالم الذي يعرفه؛ العالم الذي نشأ فيه. في طفولته المبكرة، اعتاد اللعب مع أصدقائه في السيارات المحترقة. لعبوا «الاختيار ضد الحياة» ببنادق بلاستيكية وقنابل يدوية، ولم يهتموا قط إلى أي جانب من اللعبة ينتمون، ما داموا يلعبون في الجانب نفسه مع أفضل أصدقائهم.

لكن أيام الطفولة تلك قد ولت. الأمور الآن أكثر جدية بالنسبة إليه.

اتجه إلى شارع جانبي ممتلئ بالحمام نهارًا والجرذان ليلًا، متجاوزًا خطًّا غير مرئي يعرفه الجميع دون حتى أن يتمكنوا من رؤيته. الخط الذي يرسم الحدود التي يتوقف بعدها القانون والعقل عن الوجود. يُطلق عليه اسم المنطقة البرية، وكل مدينة وبلدة بها منطقة برية. لن يجرؤ أحد يُقدِّر ممتلكاته أو حياته على الذهاب إلى هناك. تواجه الشرطة أشياء أهم وعليها التعامل معها، وحتى الميليشيات المتحاربة لم تعد تذهب إلى هناك. يُلقي جيش «الاختيار» اللوم على جيش «الحياة» في جميع المناطق البرية، والعكس صحيح. من الأسهل توجيه أصابع الاتهام، بدلًا من محاولة حل المشكلة فعلًا. لكن بالنسبة إلى

تلميذ، فإن هذا المكان والأشخاص المتحصنين هناك يحملون جاذبية معينة لا يستطيع تفسيرها. ومع ذلك، هذا بالتأكيد ليس رأي والديه. كلما تأخر عن العودة إلى المنزل بعد انتهاء اليوم الدراسي، يقدم إليهما عذرًا ويصدقانه. إذا عرفا أين يذهب حقًّا في تلك الأيام، فلا يمكنه حتى أن يتخيل ما سيفعلانه به.

المباني المحيطة به موصومة في الغالب. تصرخ السياسة الغاضبة المرسومة بالطلاء على قوالب الطوب المثقوبة بالرصاصات، والنوافذ إما مكسورة وإما مغطاة بألواح خشبية.

في زقاق ضيق، دفع بابًا جانبيًّا به مفصل واحد فقط يبقيه منتصبًا، وخطا إلى الداخل. أمسك به فورًا مراهقان ينتظران هناك. دفعاه نحو الحائط بقوة كافية لإحداث كدمات، لكن لا بأس. إنه يعرف التدريبات. إنه يعرف لماذا عليهما فعل ذلك. لا يمكن رؤيتهم ضعفاء. حتى من قِبَله. لأن عصابات جانحة أخرى قد تستخدم هذا الضعف ضدهم.

سأله أحد مهاجميه: «لماذا تأتي دائمًا إلى هنا يا فتى المدرسة؟ ألا تجد أشياء أفضل لتفعلها؟».

- أحضُر إلى هنا، لأني أريد ذلك.

قال الآخر: «نعم. وهذه طبيعتك. تفعل كل ما تريده»، ثم قبضا على ذراعيه، وقاداه إلى داخل المبنى، الذي كان مسرحًا في الماضي، لكن المقاعد الصدئة كلها تكدست الآن في الزاوية. السجادة القديمة ممزقة وتكدست أجزاؤها على هيئة أكوام يستخدمها سكان المسرح الجدد كأسرَّة. المكان تتناثر فيه تحف وقطع من الحضارة البائدة، كما قد يزين الطائر عشه بقصاصات ورق منسوجة في الأغصان. المسرح هو مساحة المعيشة لما يقرب من أربعين مراهقًا جانحًا. إنهم يسترخون على الأثاث المتناثر؛ يضحكون؛ يتقاتلون. إنهم أحياء، لكنها حياة من

نوع مختلف تمامًا عن تلك الحياة التي اعتادها «فتى المدرسة»، كما يدعونه. حياته خالية من الإثارة. لا شغف.. لا أدرينالين. حياته مملة وتحت السيطرة المنظمة.

قاداه إلى ألْف. لا يعرف الآخرون الاسم الحقيقي للصبي. إنه ألْف فحسب، والاسم مشتق من ألفا، أي القائد. إنه زعيم هذه الفرقة من الجانحين. ومع ذلك، يعرف «فتى المدرسة» اسمه الحقيقي منذ الأيام التي اعتادا فيها اللعب في الشوارع التي مزقتها الحرب.

الصبي يكبره بعام، لكنه دأب على حماية الصغار دائمًا. والآن بعد أن جنح، فإنه يفعل الشيء نفسه، على نطاق مختلف. ألْف عضو رئيسي فيما تحب وسائل الإعلام أن تسميه «جيل الإرهاب». يملك ندبة على وجهه من أعمال شغب وحشية سريعة، تمنحه شخصية مميزة، وتجعل ابتسامته ملتوية بشكل مثير للإعجاب. إنه عكس فتى المدرسة في كل شيء.

ومع ذلك، لا يثير ألْف حاليًّا الرعب إلى حد كبير، وهو يستمع إلى وصلة تملق من فتاة جانحة جميلة، رغم أنها قذرة إلى حد ما. لم يبدُ سعيدًا بمقاطعة جلسته.

- كم مرة يجب أن أخبرك يا فتى المدرسة بعدم المجيء إلى هنا؟ في أحد هذه الأيام، سيتبعك شرطيو الأحداث، وسنقع جميعًا في ورطة، وسيصبح هذا خطأك.

- لا، إن شرطيي الأحداث مشغولون للغاية بمطاردة الجانحين خارج المنطقة البرية، لذا لا يمكنهم الاهتمام بمن هم داخلها. وعلى أي حال، إنني أذكى من أن يتعقبني أحد.

سأله ألْف، وهو يصيب كبد الموضوع مباشرة: «كيف ستضيع وقتي اليوم إذن؟».

أنزل فتى المدرسة حقيبة ظهره عن كتفيه، وأخرج منها كيس غداء ورقيًّا بني اللون، لكنه لم يحوِ الغداء، بل حوى في الواقع شيئًا متألقًا. سلمه إلى ألْف، الذي نظر إليه في ريبة، ثم أفرغ محتويات الكيس على طاولة مغبرة بجواره، فتصاعدت صيحات الدهشة والتعجب من أفواه الفتية الآخرين وهم يحدقون إلى كومة من المجوهرات، لكن ألْف ظل صامتًا.

قال له فتى المدرسة: «إنها مجوهرات أمي. إنها تعتقد أنني لا أعرف الأرقام السرية لفتح الخزينة، لكني أعرفها. لقد أخذت القليل فحسب، كي لا تلاحظ هي اختفاء بعض القطع إلا بعد مدة. يمكنك بيعها قبل أن تكتشف هي الأمر».

ضحك أحد الآخرين؛ صبي قوي البنية يدعى راف -الذي لربما انضم إلى الجيش، لولا جنوحه- وقال: «إنه شجاع، هذا مؤكد».

لكن الانبهار لم يعرف طريقه إلى ألْف، الذي قال: «لا يتطلب الأمر شجاعة لسرقة والدتك»، ثم نظر إلى عيني فتى المدرسة، مضيفًا: «في الواقع، إنه أمر مثير للشفقة».

شعر الفتى بحرارة تغزو وجهه. لم يعرف لماذا يجب أن يعنيه ما يقوله صبي جانح، لكن هذا ما حدث.

سأل ألْف: «ألن تأخذها؟».

هز ألْف كتفيه، قائلًا: «سأفعل طبعًا. لكن هذا لا يجعلك أقل إثارة للشفقة يا فتى المدرسة».

- إن لي اسمًا.

قال ألْف: «نعم، أعرف. إنه اسم صغير حزين. أتمنى لو يمكنني نسيانه».

- لقد سُميت على اسم جدي. كان بطل إحدى الحروب.

لكنه لم يستطع أن يتذكر أي حرب.

ابتسم ألْف، قائلًا: «بطريقة ما، أجد صعوبة في تخيل بطل حرب يُدعى جاسبر».

عند ذكر اسمه، ضحك الصبية الآخرون.

- أصدقائي يدعونني جاز، لكنك لا تتذكر، أليس كذلك؟

حرك ألْف كتفيه في عدم ارتياح. من الواضح أنه يتذكر، سواء أراد الاعتراف بذلك أم لا. سأله: «ماذا تريد مني يا نيلسون؟ أربت ظهرك؟ أم أُقبِّل جبهتك؟ أم ماذا؟».

هنا، نظر إليه الجميع. أليس واضحًا لهم ما يريده؟ لماذا يجب أن يقولها؟ مجرد أنه ليس جانحًا لا يعني أنه ليس جزءًا من «جيل الإرهاب» أيضًا. لا أحد يدعو جاسبر إرهابيًّا سوى جدته، وهي تقول ذلك دائمًا بابتسامة.

قال لهم: «أريد الانضمام إلى عصابتكم».

ذِكر الكلمة، جلب موجة من الغضب شعر بها جاسبر وكأنها كهرباء ساكنة.

تقدم راف، وتحدث نيابة عن ألْف، الذي حدق فحسب: «لسنا عصابة. نحن جمعية».

قال آخر: «شركة محدودة»، فضحك بعض الآخرين.

قال ألْف أخيرًا: «محدودة للغاية، ولا يوجد لدينا مكان لطلبة المدارس. هل فهمت؟».

عرف جاسبر أن هذا كله مجرد استعراض. إنه يعرف أن ألْف يحبه، لكن عليه أن يثبت وجوده، هذا كل ما في الأمر. يجب أن يُظهِر قيمته.

لذلك بادر بالمخاطرة. إنه يعرف أن هذا قد يعرضه للضرب -أو ما هو أسوأ- لكنه سيلفت انتباه ألْف بالتأكيد.

اتجه إلى الفراغ الكهفي للمسرح القديم، هاتفًا بأعلى صوت لديه: «كم منكم يعرف القراءة؟».

جلب قوله صمتًا مطبقًا، وعَلِم أن هذا سيحدث. إن ذكر أحد المحاذير الثلاثة يمكن اعتباره بمنزلة دعوة إلى معركة. توجد بعض الأشياء التي يجب ألا تقولها للجانحين.

لم يجبه أحد. حتى لو أن بعضهم يمكنه القراءة، عِلِم أنهم لن يجيبوا. الإجابة تمنحه القوة، ولا أحد منهم يريد منحه تلك الميزة. ليس دون إذن ألْف، فالتفت إليه جاسبر، قائلًا: «إنك بحاجة إليَّ. يمكنني أن أخبرك بما يحدث هناك؛ الأشياء التي لا تراها على شاشة التلفاز».

قال ألْف، بصوت أشد تهديدًا من أي شيء سمعه جاسبر على الإطلاق: «لماذا بحق الجحيم يجب أن يُعتبر «هناك» مهمًّا بالنسبة إليَّ؟».

- لوجود شيء جديد قرأت عنه. يُسمى «فك الأسلاك»، أو شيء من هذا القبيل. يقولون إنه سينهي «حرب الجوهر»، وسيحل أيضًا مشكلة الجانحين.

عقد ألْف ذراعيه أمام صدره في تحدٍّ، قائلًا: «هذه الحرب لن تنتهي أبدًا. ونحن لسنا مشكلة. الجانحون هم المستقبل. هل فهمت؟».

نظر جاسبر إلى عينيه مباشرة بثبات، لكن لم تبدُ على مظهر ألْف الصلب أي علامات تشقق. لا يوجد ما يشير إلى أنه سيتعامل مع جاسبر بأدنى قدر من المرونة.

تنهد جاسبر، قائلًا: «نعم، فهمت يا كيفن».

الغضب الذي ارتسم على وجه ألْف أوضح أن جاسبر ارتكب خطأً فادحًا.

- لا تدعُني بهذا الاسم أبدًا.

خفض جاسبر بصره، قائلًا: «أعتذر. لم أقصد ذلك».

ثم التقط ألف شيئًا على الطاولة بجوار مجموعة المجوهرات. كرة ثلجية؛ واحدة من العديد من التحف الغريبة التي أُنقِذَت من عالم ما قبل «حرب الجوهر». تُظهر هذه الكرة كوخًا صغيرًا من خبز الزنجبيل مكبرًا ومشوشًا، مغمورًا في الماء، ومحاطًا بدوامات من الثلج المزيف.

قال ألْف: «اسمع يا نيلسون. سأعد حتى عشرة؛ إذا وصلت إلى الباب بحلول الرقم عشرة، فلن أحطم جمجمتك بهذا الشيء».

- ألْف، أنا...

- واحد.

- اسمعني للنهاية!

- اثنان.

تدخل راف بينهما، وقال لجاسبر: «من الأفضل أن تبدأ العدو يا صديقي».

- ثلاثة.

وبالتالي، لم يجد جاسبر أمامه أي خيار، فاستدار ليعدو.

- أربعة.

ضحك الآخرون. حاول أحد الصبية عرقلته، لكن جاسبر قفز فوق قدمه الممدودة.

- خمسة.

كاد يقترب من الباب. لم يحاول الحرس إيقافه، بل تنحوا جانبًا وتركوه يذهب، لكن بعد ذلك فعل ألْف شيئًا غير متوقع.

- ستة - سبعة - ثمانية - تسعة - عشرة!

مع تسريع العد التنازلي، فقد جاسبر فرصته. قبل أن يصل إلى الباب مباشرة، شعر بكرة الثلج تصطدم بظهره، وتضرب فقرة في منتصفه. سقط، وتحطمت كرة الثلج على الأرضية الخرسانية.

قال أحد الحرس: «يا إلهي! يا لها من ذراع! يجب على ألْف أن يلعب البيسبول أو شيئًا من هذا القبيل».

ظل جاسبر يعاني الألم، لكنه وقف على قدميه. سيصاب بكدمة كبيرة في ظهره، لكنه لن يخبر أحدًا. أدرك شيئًا وعبر عنه بصوت مرتفع: «كان يمكن أن يقتلني. كان من الممكن أن يصيبني في رأسي ويقتلني».

سخر أحد حرس الباب: «لو أراد ألْف أن يضربك في رأسك، لفعل». ثم دفع جاسبر خارجًا.

***

قالت والدته بعدم اكتراث مصطنع، وقد أخفقت في إخفاء الشك في صوتها: «لقد تأخرتَ مرة أخرى». اعتادت أن تدير مطعمًا حتى فَجَّره عشوائيًّا إما أتباع جيش «الحياة» وإما أتباع جيش «الاختيار». الآن كل ما تفعله هو إدارة جاسبر.

أسقط حقيبته على الأريكة وأجابها بعدم الاكتراث نفسه، لكنه هذه المرة جاء طبيعيًّا. إنه ممثل أفضل بكثير من والدته: «حضرتُ اجتماعًا بشأن نوادي المدرسة. أردت معرفة معلومات عن بعضها».

- وما النادي الذي جذب انتباهك؟

أجاب دون أدنى تردد: «المبارزة».

- إنها عنيفة للغاية.

مر بها في طريقه إلى المُبرِّد، وقال: «لاعب المبارزة لا يطعن الناس حقًّا يا أمي».

- قبل أن تلتزم بأي شيء، يجب أن تناقشه مع والدك يا جاسبر.

تصلب، وشعر بالبرودة القادمة من المُبرِّد المفتوح على شعر ذراعه، وقال: «لقد أخبرتك أن تدعيني جاز».

قالت والدته: «هذا ليس اسمًا. خذ ما تريد وأغلق الباب. سوف تُخرِج كل البرودة».

قضى بقية العصر في أداء واجباته المدرسية على طاولة غرفة الطعام. يجب أن ينهي ذلك -أو على الأقل يقطع فيه شوطًا كبيرًا- بحلول الوقت الذي يعود فيه والده من عمله، ما لم يرغب في سماع المحاضرة المكررة مرة أخرى. المحاضرة هي نفسها دائمًا: كيف أنه محظوظ للغاية لالتحاقه بمدرسة تابعة لشركة، وكيف أنه إذا لم تتحسن درجاته، سيفصلونه. ثم يصرخ والده: «وماذا ستفعل بعد ذلك؟ من دون مدرسة تابعة لشركة، لن يصبح لك مستقبل. لن تصبح أفضل من صبي جانح!».

إن اشمئزاز العالم كله يملأ كلمة «جانح» كلما نطقها والده، وكأن الصبية الجانحين مصدر كل مشكلات العالم. لا يتذكر جاسبر ما قبل وجود الجانحين. لقد أخفقت المدارس الحكومية حتى قبل بدء الحرب، الأمر الذي ترك ملايين الصبية بلا شيء يفعلونه سوى التسبب في المتاعب للنظام الذي طردهم إلى الشارع. وفي الوقت الحاضر، لا يحصل على تعليم رسمي إلا الأطفال الأثرياء وأبناء العاملين في الشركات. وجاسبر ينتمي إلى الفئة الأخيرة: يعمل والده في شركة شحن ضخمة،

وهو ما يضمن مكان ابنه في البرنامج التعليمي للشركة.. ما لم يُفصَل جاسبر طبعًا.

إن فكرة الطرد ترعبه وتغريه في الوقت نفسه. ربما يراه ألْف عندئذ أكثر من مجرد «فتى المدرسة».

وبينما ينهمك في أداء فروضه المدرسية، بدأ يتساءل عن الأحوال في الأيام الخوالي، عندما كان التعليم حقًّا، وليس مجرد امتياز. وتساءل هل كانت المدرسة سيئة في ذلك الوقت كما هي الآن.

ظل يعمل بحماس على مادة الجبر، إلى أن عاد والده إلى المنزل. اعتقد أن اجتهاده سيوفر عليه استنكار والده، لكن هذا لم يحدث، فقد بادره الأب: «لماذا تعمل في الظلام على هذا النحو؟ ستدمر عينيك، وماذا ستفعل بعد ذلك؟».

أراد جاسبر أن يوضح له أن الظلام ليس في غرفة الطعام؛ كل ما في الأمر أن الضوء ما زال ساطعًا في الخارج، ولم تتكيف عينا والده مع البقاء في الداخل، لكن السيد نيلسون ليس رجلًا يتقبل المعارضة بسهولة، وبخاصة وهو متعَب، وقد بدا متعبًا بدرجة استثنائية اليوم. لذا، أشعل جاسبر المزيد من الأضواء، متسائلًا هل سيستمع إلى محاضرة لاحقًا الليلة حول إهدار الكهرباء. ستفلسنا بفواتير المرافق، وماذا سنفعل بعد ذلك؟

يحب والده إلقاء المحاضرات، وكلما زاد غضبه، طالت المحاضرة. لم يستخدم العنف الجسدي مع جاسبر إلا مرة واحدة. حدث هذا عند إيقافه عن الدراسة بسبب سبِّه معلم رياضيات استحق ذلك، وفي تلك الليلة ثار والده كالبركان، وقذف جاسبر بقوة كافية لكسر الحوائط الصلبة. ثم بكى والده وتوسل كي يسامحه. عرف جاسبر أن هذا النوع من الأشياء نادرًا ما يحدث مرة واحدة. في معظم الحالات يصبح نمطًا، كما يحدث

للعديد من أصدقائه، الذين يرى آباؤهم -الواقعون تحت ضغوط شديدة- أن أطفالهم مجال التنفيس الوحيد المتاح عن ضغوطهم. لكنه لن يصبح نمطًا إذا لم يمنح جاسبر والده سببًا لضربه مرة أخرى. أو على الأقل ليس حتى يهرب إلى مكان آمن. حيث يحمي الصبية بعضهم.

في أثناء تناول العشاء، كثيرًا ما يشكو والده من حالة العالم أو من الحمقى في مكتبه. ويظل يتحدث عن «مسيرة الإرهاب» التي نفذها المراهقون في واشنطن، بعد انتهائها بوقت طويل. ربما لأن جاسبر علَّق ذات مرة، قائلًا إنه تمنى رؤية تلك المسيرة. لكن والده لم يبدِ أي رأي في العشاء الليلة. لم يشكُ من العمل أو من ازدحام المرور أو من أي شيء. لقد لاحظ جاسبر أنه يبدو متعبًا، لكن الأمر أكثر من ذلك. إنه هادئ، ومشتت، وشاحب بوضوح.

لم تقل والدته شيئًا، بل تركت دواء والده على المنضدة، تحسبًا لأن ينسى تناوله. لم يستطع جاسبر احتمال طاولة العشاء التي لا يعلو فيها سوى صوت احتكاك أدوات المائدة على الأطباق الخزفية. حتى المحاضرة تعتبر أفضل من ذلك. إذا لم يقل أحد أي شيء، فعليه أن يقول شيئًا.

سأل: «أتعاني مرضًا قلبيًّا يا أبي؟».

توجد أوقات يتمنى فيها أن يسقط والده ميتًا، لكن عندما بدا ذلك ممكنًا فعلًا، كره جاسبر نفسه لتفكيره في ذلك وشعر بالرعب من أن يحدث ذلك فعلًا.

كما توقع، قال والده: «أنا بخير»، لكن الآن فُتِح باب المناقشة، وتولت والدته الأمر.

- ربما يجب أن تزور الطبيب.

قال والده بصوت أعلى قليلًا: «إنه عسر الهضم. أنا لست أحمقَ؛ يمكنني معرفة الفرق».

ملأ جاسبر شوكته بالبازلاء وتحدث دون أن ينظر إليه: «عسر الهضم لا يجعل شفتيك تتحولان إلى اللون الأزرق».

وضع والده أدوات المائدة الخاصة به فأحدثت قعقعة، وقال: «ما هذا؟ هل أنا في محاكم التفتيش؟».

لم ينبس أحد ببنت شفة لبضع لحظات. عدَّ جاسبر البازلاء في طبقه، وفكر في كيفية تقطيع شريحة اللحم للحصول على أكبر قدر من اللحم وفصله عن العظم. انتظر ليرى الاتجاه الذي سيذهب إليه عقل والده. يصاب والده بالزرقة من وقت إلى آخر. هذا يعني نقص الأكسجين في الدم. لقد أصيب فعلًا بنوبتين قلبيتين. لقد فقد وزنًا، ويمارس الرياضة أكثر، لكنه رفض تغيير عاداته الغذائية. يقول الأطباء إنه سيحتاج إلى قلب جديد في النهاية. وهو ما لم يعنِ شيئًا بالنسبة إلى والده، كما لو أنه سيضطر في النهاية إلى تنظيف المرأب فحسب.

قال أخيرًا: «حسنًا. سأذهب غدًا وأخضع للفحص لو أن ذلك سيسعدكما».

تنهد جاسبر بارتياح صامت. إنه يعلم أنه قبل نهاية الأسبوع سيتمنى موت والده مرة أخرى، لكن ليس قبل أن يعود إلى المنزل بصحة جيدة.

غيَّر الأطباء جرعة أدوية والده، وأخبروه بضرورة التوقف عن تناول اللحوم الحمراء، ووضعوه على قائمة انتظار غامضة لزراعة الأعضاء. لم تعد شفتاه زرقاوين، وبالنسبة إلى عائلة نيلسون، فإن ما هو بعيد عن الأنظار، بعيد عن الذهن، لذا فقد عاد جاسبر إلى الاهتمام بألْف وعصابته من الجانحين.

الحيلة التي سيستخدمها لإبهار ألْف تعتمد على العظمة والجرأة. إن ألْف لم يضع يده على مسرح قديم من فراغ، فهو يحب الدراما والاستعراض. يمكن لجاسبر أن يمنحه ذلك. كل ما عليه فعله هو إبقاء عينيه مفتوحتين انتظارًا لقدوم الفرصة، وهذا ما حدث بعد أسبوع. التقت ثلاثة أحداث عشوائية لتحدد معالم مسرح جاسبر. الأول: والداه ذاهبان إلى حفل عشاء ليلة الجمعة، وهو من النوع الذي سيبقيهما خارجًا حتى منتصف الليل على الأقل. الثاني: يتقاضى جاسبر أجرًا لإطعام القطط في منزل الجيران خلال إجازتهم. الثالث: يمتلك ذلك الجار سيارة رياضية جديدة متوقفة على الطريق. إن والده يطلق على سيارة أزمة منتصف العمر الرياضية اسم «حلوى التفاح الحمراء». إنها ملأى بالقوة والمنحنيات، ومن نوع السيارات التي يصفها الباعة المتجولون بالـ «مثيرة»، ويطلبون مقابلها أكثر مما تستحقه فعلًا.

لكن سيارة كهذه، تساوي أجزاؤها المفككة ما يفوق قيمتها لو بيعت مكتملة.

بينما والداه في حفلهما، أطعم جاسبر القطط وقاد السيارة. لم يحصل على رخصة القيادة بعد، لكنه حصل على رخصة قيادة للمبتدئين، ويمكنه القيادة مثل أي صبي آخر في عمره. والحيلة هي العبور إلى المنطقة البرية والوصول إلى مكان تواجد ألْف دون أن يصادف جانحين آخرين في الطريق. وقد احتفظ بأداة معدنية على المقعد المجاور للسائق، تحسبًا لاضطراره إلى الدفاع عن نفسه.

توجد الكثير من الأنشطة الليلة. نيران المخيم وجلسات العزف ومشاجرات السكارى. الحياة تنزف كالجرح في كل مكان في المنطقة البرية. ومنذ مسيرة المراهقين إلى واشنطن، أخذ الجانحون يحتفلون كالمنتصرين، وربما هذه حقيقة الأمر. بالتأكيد، قمعتهم قوات الأمن

باستخدام الغاز المسيل للدموع والمهدئات والهراوات، لكنهم أثبتوا رغم ذلك كم يمكنهم أن يصبحوا قوة هائلة.

قاد جاسبر سيارته في الشوارع المظلمة، حيث النشاط أقل وفرص التواجد في محيط الجانحين الطامعين أقل. لكن أولئك الذين مر بهم أخذوا ينظرون إليه. يحدقون إلى الوحش الأحمر الذي يقوده. تقدم صبي أمامه، محاولًا إيقافه، حتى إنه ابتسم لتخفيف مخاوف جاسبر، لكن الحيلة لم تنطلِ عليه. واصل القيادة، فاضطر الصبي إلى القفز مبتعدًا عن الطريق كي لا تقتله السيارة. لو لم يقفز، هل كان جاسبر ليصدمه؟ لم يعرف بالتحديد. ربما. لأنه لو لم يفعل، فقد يموت هو نفسه. هذه طبيعة الأشياء في المنطقة البرية.

عندما وصل أخيرًا إلى المسرح القديم، تعرفه القليلون من مراقبي شارع ألْف وأصابهم الذهول.

- أهو فتى المدرسة؟

- لا، لا يمكن.

- نعم، إنه هو!

قفز جاسبر خارجًا من السيارة، متبخترًا في فخر، وقال، وهو يشعر كمن حصل على الحق في توجيه الأوامر إليهم: «اذهبوا وأحضروا ألْف».

اختفى أحدهم بالداخل، ثم عاد بعد دقيقة مع ألْف.

قال له جاسبر، بابتسامة أكبر من الهلال: «إنها سيارة جاري، لكنها الآن ملكك؛ هدية مني لك. لا أحتاج إلى أي شيء في المقابل». وهذا ليس صحيحًا تمامًا، لكن المقابل الذي يحتاج إليه لا يقاس بالدولار. ما يريده جاسبر هو مفتاح مملكة ألْف. أو على الأقل فتح بابها أمامه. سيارة فاخرة مقابل الحق في الانضمام. اعتقد جاسبر أن هذا أكثر من عادل.

وبمجرد اختفائه في المنطقة البرية، يمكنه أن يقول وداعًا لمدرسته الثانوية وتوقعات والديه وحياته المملة الباهتة إلى الأبد. الجانحون هم المستقبل -كما قال ألْف- وجاسبر مستعد لأن يصبح جزءًا من هذا المستقبل، أينما يأخذه.

- هل سرقتها؟

قال جاسبر بفخر: «إنه أسهل شيء فعلته على الإطلاق».

حافظ ألْف على وجه جامد، وهو يتفقد السيارة. انتظر جاسبر بفارغ الصبر أن يربت ظهره، لكنه لم يفعل قط.

- سيارة كهذه، كل جزء منها يحمل توقيعًا جزيئيًّا. إذا حاولتُ تفكيكها، فسوف تشير إليَّ من كل اتجاه.

وأصيب جاسبر بالرعب، عندما طلب ألْف من صبي آخر أن يأخذها ويقودها إلى النهر. بدا الصبي متحمسًا لتلبية هذا الطلب وخرج بالسيارة المسروقة.

قال جاسبر، محاولًا إنقاذ ما يمكن إنقاذه: «أعتذر يا ألْف. لقد اعتقدت فحسب أنك تريد... أعني، أردت فقط أن أريك... أعني، يمكنني أن أفعل ما هو أفضل. أقسم إنني أستطيع! فقط أخبرني كيف. أخبرني ماذا تريدني أن أفعل!».

ألقى ألف عليه نظرة فاحصة، ثم قال بهدوء: «ادخل».

بمجرد دخولهما، قاده ألف -مع اثنين آخرين- إلى منطقة منفصلة عن بقية المسرح، وبها خزانة عرض مكسورة، وآلة صنع فشار صدئة. مساحة كانت يومًا مقصف المسرح.

سأله ألْف: «أتريد أن تصبح واحدًا منا؟».

أومأ جاسبر برأسه.

- هل تعتقد أنه من الممتع البحث عن الطعام والقتال لمجرد البقاء على قيد الحياة؟

ثم رفع قميصه، مظهرًا ست ندوب ملتئمة أسوأ من تلك الموجودة على وجهه، وأضاف: «هل تعلم كم عدد معارك السلاح الأبيض التي شاركتُ فيها؟ كم عدد أعمال الشغب المفاجئة؟ هل تعتقد أنني شاركت فيها من أجل المتعة؟ هل تعتقد -ولو لحظة واحدة- أنني لا أتمنى أن أحظى بحياتك أيها القذر؟».

صرخ جاسبر: «يكفي أنك حر يا ألف! يمكنك أن تفعل ما تريد وقتما تريد».

هنا، دفعه ألف بقوة شديدة، فاصطدم بالحائط خلفه، وقال: «ألا ترى؟ لا يمكنني فعل **أي شيء** أريده! لأني مشغول للغاية بمحاولة البقاء حيًّا. ثم تأتي أنت إلى هنا بزي مدرستك الفاخر ومجوهرات والدتك وسيارة جارك اللعينة، وتعتقد أن بإمكانك شراء انضمامك إلينا؟ أي نوع من الأغبياء يشتري طريقه إلى القاع؟».

الآن، وجد جاسبر نفسه يتلعثم: «لكن.. لكن الأمر ليس كذلك. أريد... أريد المساعدة. أريد مساعدتكم جميعًا. يمكنني أن أصبح مهمًّا بالنسبة إليك!».

- ما تحتاج إليه يا نيلسون، هو أن ترى ما لديك على حقيقته. لقد فُزتَ بيانصيب الحياة، وتريد التخلص منه؟ لماذا أرغب في التورط مع أي شخص غبي إلى هذا الحد؟».

تراجع الآخرون، مستشعرين ما يوشك على الحدوث. لم يعرف جاسبر ما يجب فعله الآن، أو ماذا يقول، بخلاف: «أنا آسف يا كيفن!».

- لقد أخبرتك ألا تدعوني بهذا الاسم **أبدًا**!!

ثم تنفس ألْف بعمق، ليهدأ. ظن جاسبر أن الأمر قد انتهى، حتى شمَّر ألف كميه، قائلًا: «من الواضح أن جمجمتك سميكة للغاية، ولا توجد سوى طريقة واحدة لإفهامك».

ثم ضرب جاسبر. لم يقاتله، بل ضربه وركله ولكمه حتى تحول إلى عجينة ملطخة بالدماء. وما جعل الأمر أسوأ أن ألْف فعل ذلك بنوع من الانفصال العاطفي. إنه ليس غاضبًا. لم يفقد السيطرة. إنه ببساطة يؤدي عمله.

عندما انتهى من ضربه، رقد جاسبر على الأرض وهو يبكي، فطلب ألْف من راف أن يوقفه على قدميه. ثم وقف قبالته، وتحدث بهدوء، لكن بتهديد قاتل مستتر في كلماته كتيار خفي.

- ستخبر والديك أنك تعرضت للضرب على الجانب الآخر من المدينة، وستقول إن الجناة ليسوا من الجانحين. ستجعلهما يصدقان ذلك. ثم تعود إلى حياتك الصغيرة المحظوظة التي نتمنى أن نحظى بها، وتصنع من نفسك شخصًا ناجحًا، احترامًا لبقيتنا الذين لا يمكنهم ذلك. وإذا فكرت يومًا في بصق تلك الملعقة الفضية مرة أخرى، فتذكر ما حدث هنا اليوم. لأن المرة القادمة التي ستحضر فيها إلى هنا، سأقتلك.

ثم ألقوا جاسبر في الشارع.

***

عادا والدا جاسبر مبكرًا من حفل العشاء. وجدَ سيارتهما تقف في الممر عندما عاد إلى المنزل. علِم أنه سيقع في ورطة، لكن وجهه المحطم سيُكسبه التعاطف، إذا أدى دوره بنجاح. تعثر في الباب الأمامي، متمنيًا

أن يتمكن من التسلل إلى الفراش والتظاهر بأنه رقد هناك طوال الليل، لكنه علِم أن هذا غير ممكن.

لهثت والدته، ثم انفجرت باكية عندما رأته. وسرعان ما تلاشى غضب والده بسبب غيابه عن المنزل دون إذن في المساء، عندما أخبرهما جاسبر بالشيء الرهيب والمريع الذي حدث له. أنه في أثناء إطعامه حيوانات الجيران الأليفة، اقتحم رجلان المنزل واختطفاه. لقد سرقا سيارة الجيران، وضربا جاسبر بشدة، ونويا احتجازه للحصول على فدية، لكن جاسبر تخلص من قيوده، وقفز من السيارة المتحركة، فشعر الخاطفان بخوف شديد فهربا. أما هو، فركض طوال الطريق إلى المنزل.

نُقِلَ إلى المستشفى وعولج من جروحه. أدلى ببيان رسمي للشرطة. نظر إلى صور المشتبه فيهم، لكنه لم يتمكن من تحديد هوية أيٍّ من خاطفيه. تحدث والداه بلا مبالاة عن الانتقال إلى مُجمَّع سكني محاط بسور مكهرب، لكن كل هذه المجتمعات يديرها إما أتباع «الحياة» وإما أتباع «الاختيار»، ولأن والديه ليس لهما أي انتماءات سياسية، فهما لا يريدان الارتباط بأيٍّ من جانبي الحرب. انتهى أمر الحادث، وعاد جاسبر إلى المدرسة. استمرت الحياة. لقد نسي الجميع الأمر، ما عدا جاسبر.

***

إنه «التفكيك»، وليس «فك الأسلاك». من المفترض إعلان الأمر بكثافة في الأخبار، لكن هذا لم يحدث. ومع ذلك، يتهامس الناس حوله. سمع جاسبر الصبية يتحدثون عنه في المدرسة. سمع الكبار يتذمرون منه في الشارع.

ثم توجد الحرب. انتشرت شائعات تقول إن الحرب لم تنتهِ، لكنها انتهت فعلًا. ومع ذلك، لم يدلِ أيٌّ من الجانبين ببيان رسمي. عادة ما تعتبر نهاية الحرب بمنزلة حدث كبير. تخرج مسيرات، ويتبادل الغرباء القبلات في الشارع. لكن هذه الحرب مختلفة. هذه المرة توارى كلا الجانبين خزيًا في الظل؛ بعيدًا عن الأنظار. بدا الأمر كأن جزءًا من اتفاق الهدنة ينص على عدم الحديث عن الأمر. توقفت الجيوش عن القتال، وتوقفت الخطابات الحماسية عن الهطول فحسب. ويبدو الآن أن صوت العقل قد ساد من العدم.

كما اختفى الصبية الجانحون.

في عصر يوم دافئ -بعد أقل من شهر من توقيع اتفاقية التفكيك- ظهر جاسبر ت. نيلسون، مرتديًا زيه المدرسي، وحملت عيناه نظرات حادة وهو يقف أمام منزل يبعد بضعة شوارع فقط عن منزله. إنه يعرف من يعيش هناك. يتذكر الصبية دائمًا منازل أصدقاء طفولتهم.

بدت المرأة التي فتحت الباب منحنية الظهر قليلًا، كأن ثقل حياتها أكبر مما تحتمل. لا مجال لأن تكون أكبر سنًّا من والدة جاسبر، ومع ذلك تبدو في حال أسوأ بكثير.

سألته: «هل يمكنني مساعدتك؟ لو أنك تبيع شيئًا، فلن أشتري. أنا آسفة».

قال جاسبر: «لا، أنا لا أبيع أي شيء. الأمر يتعلق بابنك.. كيفن. هل يمكنني الدخول؟».

عند ذكر اسم ابنها، بدا كأن وجهها قد ترهل فجأة. وقفت تفكر لحظة، فأدرك جاسبر أنها تزن الأمر في ذهنها أولًا، وتفكر هل ستدعوه للدخول أم تغلق الباب في وجهه. لكن هذا الاحتمال غير وارد، لأن جاسبر قد وضع قدمه خلسة في زاوية عتبة الباب، لذا ليس بوسعها إغلاق الباب

في وجهه حتى لو حاولت. وإذا حاولت، فسيصرخ حتى يسمع جميع الجيران كيف صدمت جارتهم البغيضة للتو قدم تلميذ مسكين على بابها.

لكنها اختارت بحكمة، وسمحت له بالدخول.

جلس في غرفة المعيشة. جلست أمامه.

سألته المرأة: «هل مات؟ أهذا سبب وجودك هنا؟ لتخبرني أنه مات؟».

قال لها جاسبر: «لا. لم يمت».

بدا عليها الارتياح وخيبة الأمل في الوقت نفسه، والبؤس بسبب هذين الشعورين. قالت له: «لقد جنح منذ ما يقرب من عامين. خلال هذه المدة، عاد إلى المنزل مرة واحدة فقط، ولم يذكر حتى السبب. تناول شيئًا ما، وغادر دون أن يقول وداعًا، ولم يعد مرة أخرى قط». ثم نظرت إلى جاسبر، مضيفة: «إنك لا تبدو من الصبية الذين قد يختلط بهم كيفن».

ابتسم جاسبر، قائلًا: «لست كذلك، لكني ما زلت أريد مساعدته».

نظرت إليه بحذر، وسألته: «كيف؟».

هنا نشر أمامها وثيقة -مكتوبة بالكامل بلغة قانونية- في ثلاث نسخ. الأبيض والأصفر والوردي، وشرح لها: «هذا برنامج جديد لمساعدة الجانحين. إنه يسمح لهم بالمساهمة في المجتمع بطريقة ذات مغزى. لقد انضممت إلى نادٍ في مدرستي، ونحن نتجول للتحدث إلى آباء الصبية الجانحين، لأننا لا نستطيع مساعدتهم دون إذن».

كررت: «إذن..»، ثم أخذت الوثيقة وبدأت تنظر إلى المكتوب بها، وسألت: «ماذا يعني «التفكيك»؟ أسمع الناس يتحدثون عنه، لكني لا أعرف ما هو».

هنا، وصل جاسبر إلى هدفه، وقال: «أفهم أن المحكمة وجدتك أنت وزوجك مسؤولين عن الأشياء التي سرقها كيفن».

اتكأت على ظهر مقعدها، وتجهمت فجأة في وجه جاسبر، وهي تسأله في توجس: «كيف عرفت ذلك؟».

- كل هذا موجود في السجلات العامة. لقد بحثت عنه على هاتفي. يمكنني أن أريكِ التطبيق. (رفع هاتفه لها، لكنها لم تجبه، فواصل) ألا توجد أيضًا عائلة تقاضيكِ بسبب نفقات طبية لصبي آخر، لأن ألْف -أعني كيفن- كسر فكه؟ ربما تدفعين تعويضات لسنوات.

صمتت المرأة تمامًا في ذهول. هذا جيد. عليه الآن إصابتها في مقتل. ابتسم جاسبر، قائلًا: «أنا آسف؛ لا أقصد إزعاجك أو أي شيء. في الواقع، لقد جئتكِ حاملًا أخبارًا جيدة. يمكنك التخلص من ذلك كله، ويختفي كأن لم يكن! تنص الفقرة التاسعة «ب» من أمر التفكيك على أن المسؤولية عن أي مخالفات يرتكبها ابنك بعد سبعة أيام من الحمل وحتى الآن تقع على عاتق الدولة. لن تديني لأحد بأي شيء!».

نظرت إلى أمر التفكيك مرة أخرى، ورأى جاسبر عينيها تتحركان بسرعة، لكنه علِم أنها لا تقرأ. إنها تفكر. تزن الأمر. تضع ضميرها في مواجهة الجانب العملي. لذا أضاف جاسبر ثقلًا آخر على الميزان، وقال: «ستزيل المحكمة حتى الرهن الذي وضعوه على منزلك».

الآن حدقت إليه، وكأنها لم تسمعه جيدًا، وسألت: «أي رهن؟».

- أتقصدين أن زوجك لم يخبرك؟ هذا الصبي مكسور الفك لديه محامون من المرابين. إنهم يحاولون الاستيلاء على منزلك.

ظلت تنظر إلى عينيه مباشرة لبرهة أطول. من بين كل الأشياء التي قالها، هذا هو الشيء الوحيد الذي ليس صحيحًا، لكن الكذبة البيضاء يمكن تبريرها إذا أدت إلى النهاية المناسبة. نظرت المرأة إلى أمر

التفكيك مرة أخرى، وهذه المرة أخذت تقرأه فعلًا. ثم نظرت إلى جاسبر بتلك العينين المُسِنتين للغاية قبل الأوان.

- ألديك قلم؟

***

حدثت الغارة بعد يومين. جاء جاسبر في سيارة شرطة الأحداث. إنها ميزة كونه جزءًا من نادي «طلاب من أجل حل تقسيمي» في مدرسته. حتى الآن، جاسبر العضو الوحيد، لكنه توقع أن تنمو شعبية ناديه.

هجم شرطيو الأحداث على المسرح القديم مثل فريق التدخل السريع. تَفرَّق الصبية كالفئران. هرب البعض، لكن قُبِض على المزيد. حال سماع جاسبر قائد الفرقة يعطي الإذن بالهجوم عبر مذياع الشرطة، خرج من السيارة وتسلل إلى الداخل. قيل له أن ينتظر في السيارة، وقال إنه سيفعل، لكنه كذب طبعًا.

في الداخل، أجلس شرطيو الأحداث ما يقرب من اثني عشر صبيًّا مقيدًا، فيما رقد عدد مماثل في صف أنيق كالموتى، لكن جاسبر عرف أنهم مهدأين فحسب.

رأى قائد الهجوم جاسبر، فعقد حاجبيه، وسأله: «ماذا تفعل هنا بحق الجحيم؟ ألم آمرك بالانتظار في السيارة؟».

قال جاسبر باحترام: «لقد منحتكم طرف الخيط الذي جعل هذا يحدث، أيها الضابط. أقل ما يمكنك فعله هو أن تدعني أرى كيف حدث ذلك».

- ما زال الأمر غير آمن يا فتى.

- يبدو آمنًا بالنسبة إليَّ. أين قائد هؤلاء الصبية؟

حدق الشرطي إليه قليلًا، ثم استسلم، وهز رأسه، قائلًا: «هناك».

استدار جاسبر، ليرى ألْف جالسًا بمفرده، منفصلًا عن الآخرين، ويداه مقيدتان خلف رأسه. اقترب منه، منتظرًا اللحظة التي ينظر فيها إلى أعلى ويراه. وجد نظرة الدهشة على وجه ألْف مثالية. في تلك اللحظة قرر جاسبر أنه لا يوجد شعور في الحياة أفضل من الانتقام.

قال جاسبر وهو يلوِّح بيده في استخفاف: «مرحبًا يا كيفن».

ذابت دهشة ألْف في وجهه الهادئ، وسأل: «هل فعلت هذا؟».

هز جاسبر كتفيه، مجيبًا: «لقد ساعدتُ في مشروع مدرسي. إنها أنشطة خارج المنهج الدراسي في الواقع، لكنها ستبدو جيدة في طلبات الالتحاق بالجامعة».

خلف جاسبر، تولى رجال شرطة الأحداث أمر الصبية.

سمع أحد الضباط يسأل قائد الفريق: «هل سيذهبون جميعًا إلى مركز الاحتجاز الشمالي؟».

- لا، مركز الاحتجاز الشمالي ممتلئ. سيذهبون إلى الشرق.

عند سماع هذا، نظر ألْف إلى جاسبر وابتسم قائلًا في سخرية: «حسنًا، أعتقد أنني سأُعتَقَل».

قال قائد الفريق: «ليس أنت. ستذهب إلى منشأة مختلفة».

غابت الابتسامة عن وجه ألْف أسرع مما ارتسمت عليه، وسأل: «أي نوع من المنشآت؟».

قال جاسبر بمرح: «منشأة تفكيك! ألم تقرأ عن ذلك؟ أوه، صحيح، إنك لا تستطيع القراءة!».

تلوى ألْف كسمكة يوجد خطاف عالق بقوة في أعماق حلقها، فأضاف جاسبر: «لقد قررتُ اتباع نصيحتك يا كيفن. تعلمت تقدير كل الأشياء التي أملكها، والعمل بجد لأصبح عضوًا منتجًا في المجتمع، احترامًا

لأمثالكم الذين لا يستطيعون ذلك. أوه، وإليك الجزء الأفضل! في مقابل كشف وكر للجانحين، وإقناع والدتك بتوقيع أمر التفكيك، نقلوا والدي إلى أعلى قائمة الانتظار لإجراء عملية زرع قلب. أليس هذا رائعًا؟»، ثم اقترب قليلًا، وقال: «مهلًا، ألن يصبح الأمر لطيفًا لو حصل على قلبك؟».

تذمر قائد الهجوم: «دع الصبي وشأنه يا نيلسون! واخرج إلى السيارة. لقد حضرت معنا كمرافق للاطلاع على عملنا، لا لتصيبنا بالصداع بصياحك».

وهنا تحرك ألْف. نهض في سلاسة وانطلق نحو أقرب مخرج. تصرف جاسبر بسرعة، فأخرج مسدس التهدئة من جراب الضابط -قبل حتى أن يتمكن هو نفسه من ذلك- وصوَّبه إلى ظهر ألْف وأطلق النار، مستهدفًا إصابته في المكان نفسه الذي ضربه فيه بالكرة الثلجية، لكن رصاصة التهدئة أصابته أعلى الكتف. هذا جيد بما يكفي، وأدى الغرض. سقط ألْف على الأرض وغاب عن الوعي في ثوانٍ.

انتزع قائد الفريق المسدس من يد جاسبر، وقال في غضب مفهوم: «ماذا دهاك بحق الجحيم؟».

لكن جاسبر لم ينزعج، وقال: «آسف، لقد حاول الهرب، فاختطفتُ المسدس.. لا أعرف، لقد حدث ذلك غريزيًّا أو شيئًا من هذا القبيل».

التفت القائد إلى أحد الضباط الآخرين، وصاح: «أخرجه من هنا!».

أمسك الضابط جاسبر بقوة من أعلى ذراعه، ورافقه بسرعة إلى الخارج. مرا بجوار كيفن أودونيل -المشهور أيضًا باسم ألْف، والمعروف باسم لا أحد بعد الآن- الغائب عن الوعي على الأرض، وقد أصيبت جبهته بكدمات من أثر سقوطه على الخرسانة. فكر جاسبر: «هذا جزاء إبراحي ضربًا. هذا جزاء إذلالي. أتعتقد أن جنوحك يجعل التغلب عليك صعبًا؟ فلنرَ كيف سيفيدك ذلك».

في الخارج، وضع الضابط جاسبر في المقصورة الخلفية لسيارة الدورية، لكن قبل إغلاق الباب، نظر إلى الصبي، وهز رأسه، قائلًا: «ما كان لك أن تفعل ذلك يا فتى».

- لماذا تُضخِّمون الأمر؟ إنه مسدس تهدئة فحسب، ليس كأنه سيقتله.

- لا يمكنك أبدًا أخذ سلاح ضابط سلام، يا فتى!

قال جاسبر مرة أخرى، دون أن يشعر بأي ندم حقيقي: «آسف. سأحاول أن أتذكر ذلك».

أغلق الضابط عليه باب سيارة الدورية، لكن لا بأس. لقد انتهى عمله هنا، ويمكنه الآن أن يكتفي بأفكاره. اليوم، لا يمكن لجاسبر ت. نيلسون إلا أن يشعر بنداء القدر. وبعد أن أمسك ذلك السلاح بين يديه، عرف -دون أدنى شك- أن مسدسات التهدئة ستلعب دورًا كبيرًا في مستقبله.

***

نهاية القصة

سمفونية ناقصة

شاركت في تأليفها ميشيل نولدن

عبرت بروكلين وورد الملعب الخرساني كالماء المتدفق في مصرف، وهي تكاد تختفي عن الأعين؛ تحمل حطامًا وأسرارًا. رأت أربعة من أفراد فريقها في حركة التقاط الكرة، وهم يصرخون، والكرة تندفع وسط الملعب. ذابت في الظل الذي يلقيه ملجأ ولاية أوهايو رقم 23، المكون من خمسة طوابق، وانعطفت عند الزاوية إلى ساحة جانبية. إنها في مهمة. لا يمكن رؤيتها.

بعد التأكد من عدم وجود أحد هناك ليراها، اختبرت باب الدَّرَج الجنوبي. إنه غير مغلق بالمفتاح، كما قال ثور.

الآن، عليها معرفة ما يريد ثور منها فعله قبل أن تمر من ذلك الباب. أخذت نفسًا، وسحبت غطاء الرأس المتصل بسترتها فوق وجهها، ثم تحركت من خلال الساحة الجانبية إلى الجدار الذي يبلغ ارتفاعه عشرة أقدام الذي يقف بين المدرسة والعالم الخارجي. أخذ قلبها ينبض بقوة. هذا هو الجزء الوحيد من الفناء الجانبي الذي لا يمكن رؤيته بواسطة كاميرات المراقبة، لكن أي معلم أو أي مسؤول حكومي ينظر من النوافذ الصغيرة قد يراها. لديها عدد قليل من الأصدقاء في الملجأ وامتيازات أقل بعد مشاجرة يوم الثلاثاء. بمساعدة ثور، تأمل أن يتغير هذا. وجدت مكانًا في الفناء الجانبي حيث تتمتع بزاوية رؤية جيدة لنوافذ الممر طوال الطريق حتى الطابق الخامس. تحرك أحدهم أمام النافذة في الطابق الرابع، لكنه لم ينظر إلى الخارج. لو نظر، فقد يتعرفها، لأن هذا طابق بروكلين، وهو ممر مؤسسي طويل تصطف على جانبيه غرف نوم متطابقة. توجد تسع فتيات أخريات في غرفة بروكلين: معظمهن

ما زلن في الخامسة عشرة من العمر، لكن القليلات منهن بلغن السادسة عشرة للتو مثلها. معظم الفتيات سيوجدن في غرفهن أو في صالة الترفيه الصغيرة اليوم، لأن الأحد هو اليوم الوحيد المسموح لهن فيه بوقت راحة حقيقي. ستدور أحاديث الفتيات المهتمات بأنوثتهن حول الفتيان والنميمة والدروس والملابس. أما الفتيات البوف، فستدور أحاديثهن حول الفتيان والنميمة والدروس والأسلحة النارية. ورغم أن الفتيات في غرفتها أقرب ما تعرفه إلى الأسرة، فإنها لا تتعجل العودة إلى المشاحنات التافهة والمحادثات التي تخدر العقل.

لم ينظر أحد إلى الطابق الرابع ولو نظرة عابرة من نافذة الممر، لكن في الطابق الخامس ظهر ثور. إنهما شريكان في هذه المهمة، لكنه أرسلها إلى هنا بمفردها -كما يفعل دائمًا- لكن هذه المرة لم يخبرها طبيعة المهمة بالضبط. واليوم رفض أن يخبرها حتى تتخذ موقفها، مما يعني أن الأمر ربما سيزعج بروكلين إذا علمت سابقًا. تساءلت هل يدرك ثور أن هذا الاحتمال يجعلها أكثر حماسًا للأمر.

في نافذة الطابق الخامس، أشار ثور بما معناه «الوضع آمن»، ثم «الطابق الأرضي». لم تتبين الإشارة التالية. عندما أشارت إليه بالتكرار، قرأت نفاد الصبر في رده. حرك يديه ببطء نسبيًا، وبالغ في الإيماءات كما لو أنه يشرح لحمقاء.

مدير المدرسة.

ازدردت لعابها. حقًّا؟ أيريدها أن تتجسس على مكتب المدير؟ مدت يديها بإشارة تعني «لماذا؟»، ومن الأفضل أن يملك سببًا وجيهًا. لو أمسكوا بها، فستصبح في ورطة كبيرة.

رأت إجابته -تقارير حكومية جديدة- ثم اعتقدت أنه يشير إلى كلمة «شائعة». الأمر غير محدد وغير مفيد. فجأة، قاطعت سلسلة أخرى من

الإشارات التي تصعب قراءتها على مسافة خمسة طوابق من أسفل بكلمة «موافقة». شعر ثور بالرضا، فترك النافذة ليعود إلى غرفته، وعبرت بروكلين الفناء الجانبي إلى باب الدرج غير المغلق.

تحركت في ممر الطابق الأرضي، وسلكت الطريق الطويل إلى مكتب المدير. في أثناء سيرها، سمعت صراخ صبي أصغر سنًّا. الصدى أجوف وشبحي. لا توجد طريقة لمعرفة مكان الصبي بالضبط. لن يُهدِّئ أحد تلك الصرخات على أي حال. لا يوجد ما يكفي من الموظفين. فكرت بروكلين: «كن قويًّا يا فتى، وإلا ستؤكل حيًّا».

من الخارج، أتى صوت غير متناغم لكرات تقفز على الملعب الخرساني. ثم من آخر الممر، سمعت شيئًا مختلفًا.. نغمات موسيقية تنبعث من بيانو.

أهو مُعلم يعزف؟ ربما، لكن بروكلين اشتبهت في خلاف ذلك. تتبعت الصوت إلى أحد فصول الموسيقى. ولأنه يوم الأحد، فلا توجد أي دروس. لا ينبغي لأحد أن يوجد هنا اليوم؛ إنه مخالف للقواعد. واربت الباب بهدوء، لتلقي نظرة إلى الداخل.

ريسا.

كان عليها أن تعرف أنها هي. ريسا في سن بروكلين نفسها، لكنك لن تفطن إلى ذلك. تبدو كمن تعيش في مكان مختلف عن معظم فتيات ملجأ الولاية. وفيما يخشى الصبية الآخرون كسر القواعد خوفًا من التفكيك، تفعل ريسا ما تشاء. إنها تشبه بروكلين كثيرًا، لكن على عكس بروكلين، يبدو أن ريسا لا يُمسَك بها أبدًا. إنه أمر محبط.

وما يزيد الأمر إزعاجًا أنها ماهرة. شاهدت بروكلين أصابعها الرقيقة وهي ترقص في رشاقة على مفاتيح البيانو، وتعزف مقطوعة تبدو معقدة للغاية ولا تكفي يدان لعزفها. ورغم أن البيانو التدريبي ليس

متناغمًا، فقد شعرت بروكلين بالسكينة وهي تستمع إلى عزف ريسا، وفي حين تتمنى أن يظهر أحد الحرس في الممر ويأخذ ريسا لتأديبها، تمنت بروكلين أن تواصل الفتاة عزفها.. بلا نهاية.

عزف البيانو -أو أي آلة موسيقية أخرى- مستحيل بالنسبة إلى بروكلين. فهي لا تملك الأذن الموسيقية أو الخبرة الكافية لبث الشغف في عزفها. وفي الصف الخامس، أمسك السيد دوركين آلة «الريكوردر»[1] البلاستيكية التي تعزف عليها وكسرها إلى نصفين، قائلًا: «شعرت بحاجة عارمة إلى إنهاء بؤس هذه المسكينة»، فضحك الأطفال الآخرون.

لكن دوركين أحب ريسا. اختيرت ريسا للإثراء الموسيقي، في حين أُلقيت بروكلين في حشد من الأطفال الذين خُصصوا «للتحسين البدني». بعبارة أخرى، قللوا من شأن عقلها وشرعوا في بناء قوتها، ووضعوها على المسار الصحيح لتصبح بوفًا عسكريةً. ليس الأمر أن بروكلين تمانع في تركيز اهتمامها على البناء الجسدي. إنها تحب الرياضة وتدريبات القوة، وتحرز نقاطًا عالية في الرماية، لكن معرفتها بأن المعلمين رأوا أن ريسا أفضل منها بطريقة ما، تجعلها تستشيط غضبًا حتى الآن.

لو تعلق الأمر بأي شخص آخر غير ريسا، لربما استطاعت بروكلين تحمله، لكن يوجد تاريخ يجمعهما. تاريخ يعود إلى ما يقرب من ستة عشر عامًا منذ أن كانتا في المهد، وانفجر الوضع بعد سبع سنوات. ربما نسي الجميع ذلك -وربما حتى ريسا نسيت- لكن بروكلين ليست من النوع الذي ينسى الجروح، بغض النظر عن عمرها.

---

(1) الريكوردر: آلة موسيقية غربية تشبه الناي أو المزمار الشرقي، لكن بسلم مختلف. لا أحد يعرف تحديدًا متى نشأت هذه الآلة، لكن أقدم ريكوردر عُثِرَ عليه في هولندا عام 1335م. «المترجم».

ومع ذلك، فهي تستمتع بعزف ريسا لا إراديًّا. لذا تركت باب غرفة الموسيقى مواربًا وجلست بجانبه لمدة دقيقة أو نحو ذلك؛ تستمع إلى عزف ريسا، وتشعر بمتعة آثمة في كل مرة تخطئ فيها وتُسقِط نغمة في أدائها. من الجيد أن نعرف أن «الآنسة المثالية» الصغيرة ليست مثالية على الإطلاق.

أنهت ريسا عزف المقطوعة، وعزفت مقاييس رتيبة، وهكذا انتهى فاصل بروكلين الموسيقي، فصعدت الدَّرَج إلى مكاتب الموظفين. يعني يوم الأحد أن مدير المدرسة ليس في مكتبه، وهو وقت جيد للتجسس. المعلومات هي كل شيء. تعلمت بروكلين ذلك في المستوى المتوسط بمادة الحرب الإلكترونية. لكنها لن تستخدم الإلكترونيات لجمع المعلومات الآن. ستتبع الطريقة القديمة. ستبحث في الملفات، وتفتش المكتب، حتى تجد المعلومات التي يمكنها استخدامها.

سمعت أصواتًا مرتفعة، فتوقفت. لحسن الحظ، لم تفتح باب الدرج، الذي يصدر صريرًا سيئًا ويوجد قبالة مكتب مدير المدرسة مباشرة. واربت الباب ببطء، تمامًا كما فعلت مع باب غرفة الموسيقى لسماع ريسا تعزف. لكن هذه المرة لن تسمع «سوناتا».

سمعت توماس -مدير المدرسة- يقول: «لا مزيد من التأخير يا مارشال. أعطني معاييرك الأولية الآن. لديك حتى الرابعة والنصف لتضع تقييماتك المؤقتة، وأتوقع تقريرًا نهائيًّا بعد ساعة من الاختبار غدًا».

حبست بروكلين أنفاسها. اجتماع مع المعلمين يوم الأحد؟ حتى عمليات التفتيش الحكومية المفاجئة تحدث خلال الأسبوع. ارتجفت، وليس فقط لأن الدَّرَج به تيار هوائي. تعمل مدرسة ملجأ الولاية وفقًا لجداول زمنية صارمة. الانحراف عن السلوك الطبيعي يُفجر الإنذار الأحمر.

- أريد تصنيف الصبية الواقعين تحت رعايتك قبل العَشاء. التقارير عن الطابقين الرابع والخامس فقط. ألديك أي أسئلة؟

لم تنتظر بروكلين الأسئلة. أي معلم يغادر مبكرًا سيستخدم الدرج ويراها. أغلقت الباب بهدوء، فانقطعت الأصوات.

اتجهت إلى الطابق العلوي وهي ترتجف، ودخلت غرفة فتى في الثالثة عشرة. ورغم أنها ألقت بنفسها على سريره، فإنه لم يصدر أي رد فعل. انحنى ثور فوق لوحة مفاتيح الكمبيوتر، وكاد أنفه يلامس الشاشة. غرفته ليست أكبر كثيرًا من خزانة أدوات التنظيف، لكنه حصل على غرفته الخاصة. إنه حظه السعيد الذي جعله ينتمي إلى فئة محمية.

انتظرت حتى أدرك وجودها في غرفته، حدقت إلى الرف المكدس بالكتب المستعارة من المكتبة ولم يُعِدها في موعدها، وحقيبة الغسيل الملأى بالملابس المتسخة، والشطيرة نصف المأكولة على الطاولة المجاورة للفراش. الزخرفة الوحيدة على الحائط عبارة عن مطرقة صدئة مأخوذة من مجموعة أدوات عامل الصيانة. مطرقة ثور. ليس لديها أي فكرة عمن بدأ في تسمية جميع أطفال الفئة المحمية بأسماء الآلهة الأسطورية القديمة، لكن ثور[1] تقبل الأمر وتكيف معه. وإلى جانب ذلك، عندما توجد بمفردك في غرفة في ملجأ الولاية، يمكن للمطرقة أن تمنع أسوأ أنواع التطفل.

عاد انتباهها مرة أخرى إلى ثور. ما زال يبدو غير مدركٍ لوجودها، وقد سئمت الانتظار. مدت قدمها حتى وصلت إلى ظهر مقعده، ومنحته ركلة قوية.

اندفع إلى الأمام، ثم أدار مقعده، وتحركت أصابعه بسرعة.

(1) ثور: إله الرعد والطقس وفقًا للأساطير الإسكندنافية القديمة، التي تصوره رجلًا قويًا يحمل مطرقة. «المترجم».

- علمتُ أنك هنا يا «ب».

عندما أنهى إشاراته بالحرف «ب»، تقلصت أطراف أصابعه كالمخلب، إنه الاسم الذي يطلقه عليها. ابتسمت. لن يجرؤ أي صبي آخر على منحها اسم تدليل، لكنها تحب صنعه سلاحًا من اسم تدليلها.

سألته بلغة الإشارة: «كيف؟»، ثم ضحكت عندما أشار إلى المرآة القريبة من جهاز الكمبيوتر، قبالة الباب. ضحكت مرة أخرى عندما سخر منها بضرب يده المخلبية بساعده. إذن فقد شعر أيضًا بدخولها الغرفة. ثور يعرف دائمًا. ستشعر بالشك في أي شخص آخر دقيق الملاحظة للغاية، لكنها لا تثق بأحد أكثر من ثور.

أشارت إليه بروكلين: «ستصاب بالجنون عندما أخبرك ما اكتشفته».

تنهد، وأدار مقعده ليجعله أقرب إلى السرير.

- لا يمكنكِ الحضور إلى هنا يا ب. ولا يمكنني الاستمرار في مسح السلبيات من سجلاتك. لقد أخبرتك أن تتحدثي معي في أثناء تناول العَشاء.

استخدم لغة الإشارة الأمريكية المختصرة باللهجة المحلية التي يستخدمها جميع أطفال ملجأ الولاية من الصُّم. لقد أصبحا صديقين بعد أن ساعدته في الملعب منذ ما يقرب من عشر سنوات، لذلك يمكن لبروكلين ترجمة ما تراه إلى الإنجليزية في عالمها السمعي.

أشارت بوتيرة أبطأ منه، لكن أصابعها ضغطت على الهواء بإصرار: «إننا بحاجة إلى الحديث الآن. لقد التقى المعلمون في مكتب مدير المدرسة. يريد تصنيف الأطفال عصر اليوم؛ الأحد».

رفع حاجبيه، وأشار: «ربما تريد الولاية المزيد من البيانات لتغذية ملفاتها التي لا تشبع أبدًا».

عرفت أنه لا يصدق ذلك. ففي نهاية الأمر، هو الشخص الذي اشتبه في حدوث شيء ما. أشارت إليه: «للطابقين العلويين فقط؟».

تنفس بصعوبة وهز رأسه. إنه يفهم مثلها تمامًا. يعيش في الطوابق العليا الصبية في سن الثالثة عشرة وما فوقها فحسب.

- حصاد آخر قريبًا جدًّا؟

أبعد أصابعه، والتقت نظراته بنظراتها.

اقترحت بروكلين: «أَهُم بصدد تخفيض الميزانية؟ إذن سيرسل ملجأ الولاية دفعة أخرى من الصبية إلى مخيمات الحصاد؟ إنه شيء لم يفعلوه من قبل. إن الحفاظ على ثبات عدد سكان الملجأ دائمًا محل نقاش، لذا يذهب عشرة صبية تقريبًا كل ستة أشهر أو نحو ذلك، لكن هل وصل الأمر إلى تقليص عدد الصبية بسبب تخفيض الميزانية؟».

نظرت إلى ثور، آملة أن يضحك على الفكرة ذاتها أو يهز رأسه فقط من مدى سخافة الأمر. لكنها رأت جدية ترتسم على وجهه الآن، مما جعلها تتجهم.

التقت أعينهما، وتوقفت بروكلين عن الإشارة. الآن، أخذت تنطق الكلمات نيابة عنه، ببطء: «أخبرني بجدية.. هل تعرف شيئًا لا أعرفه؟».

يجعل المعلمون ثور يتحدث في الفصل، أو على الأقل يحاولون ذلك. في كل مكان آخر لا يستخدم سوى الإشارة. بروكلين لا تجعله يقرأ شفتيها أبدًا، إلا عند الحاجة. نظرت إلى عينيه، فرد بلغة الإشارة: «اهدئي يا بروكس. لا أعرف شيئًا، لكني أشاهد الأخبار. هل تعتقدين أنك في خطر؟».

عادت إلى الإشارة. يخبرها ثور دائمًا أن إشاراتها لا تنقل سوى الكلمات، وأنها لا تمتلك موهبة إظهار المشاعر من خلال أصابعها. مثل ما قاله دوركين عن أسلوب عزفها؛ إن موسيقاها بدت كحشرجة الموت.

أشارت بأصابعها بطريقتها المملة المعتادة، آملة ألا ينتبه ثور إلى الالتواء المرير في شفتيها والخوف في عينيها: «البوف يتجاوزون حدودهم. لا يمكن لمدير المدرسة أن يشكو من أنني أجيد لعب دور الوحش».

- هل تقلقين بشأن خسارتك نقاطًا بسبب ذلك الشجار الذي وقع الأسبوع الماضي؟

رفعت عينيها من أصابعه إلى وجهه وشعرت بفكها السفلي يتدلى في ذهول.. كيف عرف؟

ابتسم، مشيرًا: «لا تقللي من شأن شبكة الصم يا ب».

أصدرت إشارة لم يخترعها الصم. ضحك، لكن وجهه سرعان ما اكتسى بالجدية، وأجابها: «حتى البوف يعرفون كيف ينافقون ملازميهم يا ب. إنها مهارة البقاء الوحيدة التي تفتقرين إليها». نقر ثور على ذراعها للتأكد من فهمها ما يعنيه: «إنني أحبك يا ب، لأنك لا تعرفين أمور السياسة. إنك تقولين ما تعنينه، وتعنين ما تقولينه. لكن هذا لن يجعلك تكسبين أي أصدقاء».

قالت، وتركته يقرأ شفتيها: «القائمة تتعلق بالرتبة، وعدد نقاطك في مقابل رصيد الصبية الآخرين. إنها ليست مسابقة شعبية»، ثم أشارت إليه: «هل ستعرف مكاني في القائمة؟».

اتكأ على ظهر مقعده المعدني، فأصدر صريرًا عاليًا. ابتسمت بصعوبة، وهي تعلم أنه لن يهتم حتى لو سمعها. ألقى عليها نظرة فاحصة، وأشار بجدية: «لماذا تشعرين بالقلق يا ب؟ إن نقاطك جيدة».

ربما ينتابها بعض القلق بشأن شجار يوم الثلاثاء، لكنه لا يحتاج إلى معرفة ذلك. هزت كتفيها، وفكرت: «نعم، كل شيء على ما يرام. يجب أن أعرف فحسب».

شعرت بما بين حاجبيها ينزوي في انزعاج، ورأى ثور ذلك، فأصيب بالقلق بدوره، وبدا واضحًا على وجهه.

***

عندما بدَّلت بروكلين ملابسها استعدادًا لتناول العشاء، أثار قميصها الذي يحمل علامة «بارانا ريفر» إعجاب أبيجيل، إحدى زميلاتها في السكن. وسألتها زميلة أخرى في السكن -نعومي- من أين حصلت عليه.

هزت بروكلين كتفها، مجيبة: «من خزانة التبرعات. أرسلت إحدى الكنائس شحنة كبيرة أمس».

سرت موجة من الإثارة في الغرفة، مثل بخار الصابون المعطر بالليمون ومرطب الشفاه بالنعناع الذي يعلق هناك دائمًا.

سألت أبيجيل بارتياب لماذا لم يُعلن حارس المهجع عن استلام تلك الشحنة، وسألت زميلة أخرى في الغرفة كيف حصلت بروكلين على القميص فيما تُغلَق الخزانة يوم الأحد.

- لقد حصلت عليه أمس.

قالت أبيجيل: «لكنك قلت إنه وصل أمس. يستغرق تنظيفه وفرزه أربعًا وعشرين ساعة».

غمزت بروكلين بعينها، قائلة: «من المفيد إذن أن تعرفي أحدهم في المغسلة، أليس كذلك؟».

ضحكت بعض الفتيات، وحدقت أخريات إلى القميص بحسد. من الجيد أن تصبح مركز الاهتمام. محط الغيرة. أضافت بسخاء: «في المرة القادمة التي تأتي فيها كمية جيدة، سأخبركن».

قالت نعومي ساخطة: «كان يجب أن تخبرينا هذه المرة. من المفترض أن تهتمي بأخواتك في الملجأ».

ابتسمت بروكلين وفكرت: «نعم، صحيح. في ملجأ الولاية، تهتم بنفسك وربما بأعضاء فريقك. لكن في الغالب بنفسك، لأن لا أحد آخر سيفعل».

كررت: «المرة القادمة».

***

تخدم قاعة طعام ملجأ الولاية ثلاثمئة يتيم، مما يعني أنهم يأكلون في نوبات في الغرفة الكبيرة المطلية باللون الأخضر المؤسسي مع لمسات صفراء تشبه القيء. جلست هي وزملاؤها البالغون من العمر ستة عشر عامًا في نوبتهم إلى طاولات طويلة تضيئها نوافذ عالية ومصابيح فلورسنت منخفضة. رأت بروكلين أن هذا الضوء مبالغ فيه، لأن طعام ملجأ الولاية لا يتحمل الفحص الدقيق.

في أثناء العشاء، تسلل لوجان -أحد زملائها في الفريق- إلى المقعد المجاور لها. لوجان قوي ولكنه متعثر في سباقات التتابع ولا يجيد استخدام أدوات الملاحة. تتدرب معه، ويمنحها آخر الأخبار حول شحنات الطعام والملابس. لسبب ما يعتقد أنها هي المستفيدة بقدر أكبر من صفقتهما، ولا بد أن تشعر بالامتنان لذلك.

قال: «هذا القميص يبدو جيدًا عليكِ».

جلس قريبًا منها للغاية، فتجهم وجه أحد مراقبي غرفة الطعام، وحدج بروكلين بنظراته، كما لو أن ذلك خطؤها.

نكزته ليبتعد، وهزت رأسها للمراقب، الذي ما زال يحدجها بنظرة شريرة. زفر لوجان وابتعد أربع بوصات، قائلًا: «سمعت أخبارًا عن شحنة آيس كريم ستتصل في وقت لاحق الليلة. أتريدين أن نلتقي عند سلم المطبخ بعد إطفاء الأنوار؟».

هزت بروكلين رأسها، قائلة: «هل جننت؟ إن حرس المسكن في حالة تأهب قصوى بعد مشاجرة الأسبوع الماضي. ولا يوجد تسليم شحنات يوم الأحد».

بعد فشل محاولته للانفراد بها، امتعض لوجان بعض الشيء. إنه يتجاوز بسهولة أي تحدٍّ يعتمد على شكل جسده وأي قدرة رياضية تعتمد على القوة. يمكنه أن يصبح بوفًا جيدًا، لأنه يطيع الأوامر ويسارع إلى إظهار عضلاته. أي شيء يتطلب التفكير أو الأناقة ليس في قاموسه. طوال سنوات من الخمول العقلي، أصبح دماغه بحجم كتلة البطاطس المهروسة التي تتخذ شكل الآيس كريم في طبقها.

لكن هذا يروقها. الوجود معه ليس مجهدًا. منذ إعادة تشكيل فرقهم العام الماضي، انتهى بهما الأمر في الفريق نفسه، أصبح الأمر أسهل بالنسبة إليها. الجميع يحب لوجان، ولأنه يحبها، فإن بقية أعضاء مجلس الإدارة يقبلونها. يروقها ذلك أيضًا.

- وفوق ذلك، إنكِ تعرفين مدى ثقل التصنيفات الجديدة.

غُص حلق بروكلين بلحمها المفروم والبطاطس المهروسة، وقالت: «هه؟ ما التصنيفات الجديدة؟».

تنهد لوجان، قائلًا: «التي تحدثتُ عنها. ألم تستمعي إليَّ؟».

نادرًا ما تستمع. قالت له: «آسفة. لقد تشتت انتباهي بالتفكير في مدى نجاحك في تسلق الحبل الجمعة الماضية».

أشرق وجهه، وقال: «نعم، سأحصل على أعلى النقاط في هذا النشاط، أليس كذلك؟ يعتقد كيب...».

- لا تهتم بما يعتقده كيب. أخبرني عن التصنيفات الجديدة.

حك رأسه، وقال: «حسنًا. يقول الرقيب إن المدرسة بأكملها ستخضع للاختبار غدًا. ماراثون حقيقي، سيصبح مرجحًا في مقابل مقاييسنا القديمة، لذلك يمكن أن تتغير جميع تصنيفاتنا».

لا بد أن هذا ما سمعته في مكتب مدير المدرسة. لقد أُرسِلَت التصنيفات القديمة اليوم. تبقى جولة أخرى من الاختبارات لمعرفة ما سيحدث.

ازدردت لعابها، وسألته: «هل تعرف لماذا؟».

حاولت أن تبدو غير مبالية، لكن فات الأوان. إنها حقًّا بحاجة إلى العمل على مهاراتها في عدم إظهار أي تعبيرات.

- اهدئي.. الحكومة تعاني هوسًا بالتقارير. إننا نخضع للاختبارات دائمًا يا ب.

تصلبت، ثم أجبرت نفسها على الاسترخاء. لقد أخبرت لوجان ألا يدعوها ب. أخبرته ذلك خمسين مرة تقريبًا. إنها لا تعرف لماذا من المقبول أن يدعوها ثور ب، ولا يمكن للوجان أن يفعلها. ذكَّرت نفسها بعبارة «اختر معاركك». إنها بحاجة إلى تحمل انزعاجها بصبر وهدوء.

مررت له بودنج «التابيوكا» الخاص بها، قائلة: «نعم، أنت على حق».

ابتسم بسعادة وغاص في مقعده.

سألته عرضًا: «هل ستخضع جميع الفرق للاختبار؟».

تحدث لوجان بفم ممتلئ بالبودنج: «صفنا والأكبر منه. لا يخضع البوف الصغار حتى سن الثالثة عشرة للتقييم، وهم معدومو الفائدة تمامًا حتى سن الخامسة عشرة».

بدا فخورًا بحقيقة أنه بلغ سنًّا مفيدة، لكنه شديد الغباء لدرجة جعلته لا يتذكر أن ذلك يعني أيضًا أنه أصبح في سن التفكيك.

لا بد أن هذا الاختبار غير المتوقع الغرض منه إعداد قائمة مخيم الحصاد. شعرت بالغثيان، ونظرت إلى أرجاء قاعة الطعام. تحتاج إلى معرفة ترتيبها. ركزت على المكان الذي يأكل فيه الأطفال الصم، وتطير فيه حزم المناديل، وترقص الأصابع والمرافق، وتتغير تعبيرات الوجوه مع القصص الصامتة التي يروونها.

لم تجد ثور هناك.



بعد العشاء، لم تستطع التخلص من لوجان. لقد مضى الوقت الذي قدَّم فيه المعلمون والإداريون وحرس المساكن تقييماتهم. يعرف ثور خوارزمية الترجيح التي يستخدمها ملجأ الولاية لتصنيف الأيتام. كل شيء قانوني وخالٍ من الخبث الفردي. صحيح. كل عضو من أعضاء هيئة التدريس يعرف كيفية التلاعب بالبيانات. وكل عضو من أعضاء هيئة التدريس يفعل ذلك.

لو اضطرت إلى الانتظار دقيقة أخرى للعثور على ثور، فستصرخ. لكن لوجان سحبها إلى الملعب. لقد بدأت فعلًا مباراة كرة السلة، وناداه صديقه المقرب كيب للانضمام.

حاول لوجان سحبها إلى الملعب، قائلًا: «تعالي يا بروكلين».

لاحظت أن حرس السكن يشاهدون المباراة. لو أنهم لم يقدموا تقاريرهم فعلًا، لأغرتها فكرة إبهارهم بسلوكها الرياضي الممتاز ومهاراتها في التمرير. لكن ما لم يشهدوا أنها قتلت شخصًا ما، فإن أي شيء يبلغون عنه الآن لا قيمة له. أيًّا كانت قطع البؤس الموجودة في تقارير حرس السكن، ستُلقى جميعًا داخل الكمبيوتر جنبًا إلى جنب مع نتائج اختبار الغد.

أدارت معصمها وتظاهرت بالألم، قائلة: «لقد التوى بالأمس. من الأفضل أن أتركه يلتئم استعدادًا للاختبار غدًا»، ثم دفعته نحو الملعب، مضيفة: «سأشجعك من مقعدي».

انتظرت خمس دقائق تقريبًا. أخذت تصرخ بتشجيع ثابت ونصيحة للوجان وصيحة عالية لكيب وهو يسجل في السلة. وفيما يركض إلى الأمام والخلف في الملعب، نسي لوجان وجودها، فابتعدت عن الفناء وركضت على الدرج الخلفي إلى غرفة ثور.

لم تجده هناك. اتجهت إلى مختبرات الصوت حيث يتسكع الأطفال الصم. يقول ثور إنه أمر مثير للسخرية، لكنها لا تفهمه. نقرت على كتف هيرا وسألتها أين ثور.

بدت هيرا منزعجة جزئيًّا من المقاطعة، لكن بالطريقة نفسها التي تكسب بها بروكلين قبولًا لدى الفريق بسبب علاقتها بلوجان، فإن الصداقة التي تجمعها بثور تكسبها تسامح الصم. ربما يسخرون من «إنجليزيتها» (تلجأ إلى تهجئة الكلمات التي يجب أن تعرفها) و«الإشارة مثل الصبي» وأصابعها الرتيبة، لكن معرفة لغتهم تجعلها عضوًا في قبيلتهم، حتى لو كانت مجرد عضو فخري.

أشارت هيرا: «لم يحضر الليلة. قال إن عليه إنهاء مشروع ما في مختبر الكمبيوتر».

كان على بروكلين أن تفكر في ذلك بنفسها. يمكن لثور اختراق بعض نظم الحماية بأمان من جهاز الكمبيوتر الخاص به، لكن لاختراق نظم الحماية الأصعب، سيستخدم جهاز كمبيوتر لا يمكن تتبعه وصولًا إليه. أشارت بأصابعها شاكرة، ثم اتخذت الدرج الشرقي إلى أسفل؛ متجهة إلى مختبر الكمبيوتر.

في مساء الأحد، وجدت مختبر الكمبيوتر فارغًا تقريبًا، إلا من طفلين أصغر سنًّا يتحققان من متجر تصميم وتطوير تطبيقات الهاتف المحمول، وثور الذي جلس في قسم خلفي، يراقب عامل غرفة الكمبيوتر، الذي يبدو غير مهتم وغير منتبه إلى حد ما. عندما تسللت، لوح إليها، مشيرًا: «إنكِ على حق. سيفككون واحدًا وعشرين مراهقًا، سبعة من كل من الأقسام الأكاديمية والبدنية والفنية».

حاولت منع يديها من الارتجاف وهي تشير مرة أخرى: «من المفترض أن واحدًا وعشرين رقم محظوظ».

هز ثور رأسه. إنها لعبة «بلاك جاك» سيئة الحظ للغاية.

تسارعت أصابعه وهو يشرح كيفية استرداده البيانات من الخادم، وبناء مصفوفات من المدخلات، وتطبيق خوارزميته، لكنها لم تهتم. لوحت بيدها لإيقافه، ثم تثبت نظرتها إلى عينيه الداكنتين وأشارت: «ما تصنيفي؟».

دون أن تفصح عيناه عن أي شيء، أدار الشاشة إليها. برزت بعض الأسماء أمام بروكلين فورًا. لوجان آمن. وكذلك ريسا، وكلاهما على مسافة لائقة فوق الخط الأحمر الدموي للتخفيض، وشعرت بروكلين بالانزعاج لأنها رأت اسم ريسا قبل اسمها. أخيرًا وجدت نفسها. بروكلين وورد «سش23-49285». إنها آمنة! أقرب بثلاث نقاط إلى التخفيض من لوجان، لكنها أبعد بمركزين من ريسا. لقد نجت بروكلين من لعنة

«بلاك جاك». سيستلزم الأمر حقًّا أن تخفق في اختبار الغد لوضعها في حافلة مخيم الحصاد!

شعرت بروكلين أنها خفيفة كالريشة وضحكت بصوت مرتفع. لقد تغلبت على فتاة البيانو بفارق نقطتين. إنها المرة الأولى التي تتفوق فيها منذ تلك المشاجرة التي غيرت حياتها مع ريسا عندما كانتا في السابعة من عمرهما. لا تتذكر أنها شعرت بهذه القوة أو الشراسة أو المهارة من قبل.

***

أشرقت شمس يوم الاختبار الذي جاء رطبًا وباردًا. ويبدو أن هذا الأمر الأخير فأل حسن. فالحرارة تستنزفك. وتستمتع بروكلين بأفضل أوقاتها عندما تنخفض درجات الحرارة. وفي الملعب، تفقدهم المراقب، وسخر من بعضهم، ومر بنظراته على البعض الآخر بلا مبالاة. وزمجر في وجه لوجان قائلًا بلا سبب: «تحرك يسارًا». ربما اقترب منها لوجان بمقدار جزء من البوصة مرة أخرى. وافتقدت دِفأه وهو يبتعد.

ثم أدركت أن الرقيب متوتر، وكذلك الملازم. هل يعرفان بعزم ملجأ الولاية على خفض العدد باستخدام التفكيك؟ لا بد أنهما يعرفان. بحثت في المدرجات عن مسجلي النتائج وتجمدت عندما رأت بوفًا بالغين في المدرجات. رأت رائدًا يرتدي سروالًا باللون الكاكي، وفي ضوء الشمس الخافت تلمع على كتفيه رتبته العسكرية المتخذة هيئة أوراق البلوط. لماذا جاؤوا إلى هنا؟

سألت لوجان بصوت منخفض، وشفتاها بالكاد تتحركان: «ما سبب وجود الضباط؟».

اتجهت عينا لوجان إلى مجموعة الأزياء الرسمية، وقال: «لا أعرف، ولا أهتم. هل أنتِ مستعدة لأداء العرض؟».

دار جدال بداخل بروكلين حول إخباره بقائمة مدير المدرسة، ثم قررت أنه من الأفضل أن تظل صامتة.

همست في شراسة وهي تغمز بعينيها في خطورة: «نعم.. مستعدة».

أُرسِلَت بعض الفرق إلى ميدان الرماية، لكن فريقها استعد لاختبار اللياقة البدنية أولًا. 2/2/2: دقيقتان من تمارين الضغط، ودقيقتان من تمارين البطن، ثم جري لمسافة ميلين على المضمار. تمنت لو أنها تستطيع التصويب أولًا، بعد أن تأهلت للحصول على شارة الرماية العام الماضي. سيعطيها ذلك تقدمًا مبكرًا في التصنيف، والدفعة النفسية اللطيفة تُعَدُّ دائمًا شيئًا جيدًا.

عندما يتعلق الأمر بالجري، فإن بروكلين ليست الأسرع في الفريق، ولا الأبطأ. إنها عداءة مسافات طويلة، لأنها تعرف كيف تحدد سرعتها على المدى الطويل. إنها الطريقة التي تعيش بها حياتها، التي تنجو بها. يقول المثل القديم «البطيء والثابت يفوز بالسباق». لكن بروكلين لا يُنتظر منها الفوز أبدًا، وإنما فقط الظهور عند خط النهاية. بالنسبة إليها «البطيء والثابت يحصل على المركز الثالث». لطالما أدى هذا الغرض وأبقاها مكتملة، على الأقل حتى الآن. الآن، نجحت في النجاة من تخفيض الأعداد في القائمة التي وضعها مدير المدرسة، لكنها ما زالت قريبة للغاية من الخطر، ولا يمكنها الاطمئنان.

بذلت قصارى جهدها في تمارين الضغط، لكن مع إجراء التمرين 63 مرة، احتلت المركز الرابع فحسب. ورغم أنها كادت تشق بطنها، إلا أن أداء تمرينات الجلوس من الرقود 59 مرة لم يمنحها سوى المركز

الخامس. ثم، فيما حدقت إلى لوحة النتائج، رأت ريسا في المدرجات مع مجموعة أصدقائها المعتادين.

فكرت بروكلين: «ماذا تفعل فتاة البيانو هنا؟ لماذا لا تتدرب استعدادًا لاختبارها عصر اليوم؟».

ضحكت ريسا على شيء يقوله أصدقاؤها، فشعرت بروكيلن بخزي شديد. هل تتحدث عنها؟ هل تسخر منها؟ هل رأتها تحتل المركزين الرابع والخامس فحسب؟

وكما لو أن ريسا شعرت بأن بروكلين تحدق إليها من الملعب، فقد واجهت نظراتها الغاضبة. لكنها لم تتمكن من رؤية التعبير على وجه بروكلين بسبب بعد المسافة. حاولت بروكلين إخراج فتاة البيانو من ذهنها، لكنها علقت به مثل أغنية لا يمكنك التوقف عن تشغيلها في رأسك. إنه تشتيت لا تحتاج إليه بروكلين بالتأكيد.

فيما يصطفون على المضمار للجري مسافة ميلين، رأت الرائد أيضًا يحدق إليها من المدرجات. التقت أعينهما لحظةً، قبل أن تميل إلى وضع البداية. وفي توتر، تحققت من الضوء على جهاز الإرسال والاستقبال المثبت بحزامها. ما زال يظهر باللون الأخضر، وما زال يبث البيانات الحيوية. عند صافرة الرقيب، قفزت إلى الأمام.

في الدورة الأولى، جاءت الأخيرة في المجموعة. قاومت رغبتها في إلقاء نظرة إلى المدرجات، حيث سترى الرائد، وريسا. لا يهم أن تبدأ من آخر مكان؛ كل ما يهم هو المكان الذي ستبلغه في النهاية.

في الدورة الثانية، وفي منتصف المسافة التي تبلغ ميلين، أصاب الضعف جزءًا كبيرًا من فريقها. تجاوزت واحدة، ثم اثنتين من زملائها في الفريق.

أنهت الدورة الثالثة في منتصف المتسابقين. ثم، في الدورة الأخيرة، بدأت تتحرك بسرعة عالية. لحقت بلوجان، الذي لم يبدُ على ما يرام. احتقن وجهه وأخذ يلهث مثل فظ البحر الذي سقط على الشاطئ؛ يتلوى وهو يركض. تصبب العرق منه ولم يلاحظ أنها تجاوزته.

ثم اقتحمت ريسا أفكارها مرة أخرى، وأثار ذلك غضب بروكلين، لكنها أدركت أنه غضب يمكنها استخدامه. لن تسمح للآنسة «المثالية» برؤيتها في سباق آخر.

تجاوزت بروكلين الثلاثة التالين في فريقها. لم يبقَ الآن سوى اثنين آخرين أمامها. عندما وصلت إلى كيب، نظر إليها في دهشة، ثم انقبض فكه. أخذا يركضان جنبًا إلى جنب، وبذل كيب قصارى جهده، رافضًا أن تتفوق عليه فتاة. ثم حدثت معجزة؛ سقط كيب! كاد حسن حظها يصدمها، وعبرت خط النهاية متأخرة بأربع خطوات فقط عن الصبي الذي احتل المركز الأول.

إنها الثانية. احتلت المركز الثاني في فريقها! بحثت فورًا عن ريسا في المدرجات، لكن رؤيتها ضبابية، ولم تستطع العثور عليها. هل غادرت؟ ألم ترَ المركز الثاني؟ حاولت بروكلين التقاط أنفاسها، وابتسمت إلى لوجان، الذي كاد يُسقطها بضربة كتفه المهنئة. نظرت من فوق كتفه بحثًا عن الرائد، لكن يبدو أنه اختفى أيضًا.

صاح لوجان: «خمس عشرة دقيقة، لقد فعلتِها في خمس عشرة دقيقة!».

حاولت التعامل معه بلا تكلف، لكنها لم تستطع منع ابتسامتها العريضة: «وأربع ثوانٍ».

لقد حققت أفضل أداء شخصي لها، وشعرت بالأسف لأنها لم تشاهد رد فعل ثور على البيانات التي بُثَّت في مجمع ملجأ الولاية.

عندئذ، رأت كيب والرقيب مجتمعين على العشب في منتصف المضمار. بدا الرقيب غير سعيد، فيما أمسك كيب كاحله. ماذا في ذلك؟ عليك التحلي بالقوة يا صديقي. المنافسة تشحذ الجندي. الألم يجعلك أقوى.

يقع ميدان الرماية على بعد مسافة طويلة -نصف ميل تقريبًا- على حافة ملعب ملجأ الولاية. اتجهت نحوه مع بقية فريقها. شعرت بالعطش، فشربت ثلث قنينة الماء، ثم صبت ثلثًا آخر على رأسها. شعرت بالارتياح عندما سال الماء على عنقها.

لم تلحظ البوف ضخام الجثة الذين أبطؤوا سيرهم أمامها، أو أولئك الذي أسرعوا الخطى خلفها، حتى دفعها أحدهم لتصطدم بالرجل مفتول العضلات أمامها. اسمه ديكس، لكن الجميع ينادونه «بيكس»[1] لأسباب واضحة. قفزت لتتجاوزه فسقطت على ظهرها. استدار ومد يده إلى أسفل، ممسكًا بقميصها وجذبها لتقف على قدميها بسرعة كبيرة حتى شعرت برأسها يدور.

سأل بصوت أشبه بالزئير: «ماذا حدث؟».

رفعت أصابعه عن قميصها، قائلة: «لا شيء يا رجل. لقد دفعني أحدهم». استدارت، لكنها لم تجد أحدًا. بحثت عن لوجان -ربما رأى من دفعها- لكنها لم تجده في أي مكان. ستة من البوف ينظرون إليها الآن؛ معظمهم من الرجال، ولا يوجد وجه ودود وسط الحشد.

فردت يديها، قائلة: «انسَ الأمر. دعنا نذهب إلى ميدان الرماية».

قال بيكس: «هل دفعك أحدهم؟ أتقصدين هكذا؟».

---

(1) بيكس (Pecs): عضلات الصدر البارزة القوية.

وضع يده الكبيرة على صدرها ودفعها، فسقطت على ظهرها مرة أخرى. تذكرت شجار الثلاثاء والملاحظة الموجودة في ملفها عنه، لا يمكنها تحمُّل علامة سوداء أخرى؛ وبخاصة الآن.

ظلت على الرصيف، حاولت الابتسام في تملق، وأجابته: «نعم، هكذا تمامًا. تقدموا جميعًا. سأنتظر لوجان هنا».

أملَت أن يُهدئ ذكر اسم لوجان من روعهم، لكن هذا لم يحدث. سحبها اثنان من البوف وأوقفاها على قدميها. ضمت قبضتيها في غضب مكتوم، ثم أمسكت قارورة الماء، واعتصرتها بدلًا من عنق بيكس. لن يغضبوها. لن يفعلوا...

سخر بيكس: «أتعتقدين أن بإمكانك عرقلة كيب والإفلات من العقاب؟».

فاجأها ادعاؤه، فقالت: «لم أعرقله. لقد سقط فحسب».

اقترب بيكس حتى شمت رائحة أنفاسه الكريهة، وقال: «يقول كيب إنك عرقلتِه. أتقولين إنه كاذب؟».

شعرت بغضب الآخرين يملؤها. تجمدت. وهنا فتح بيكس قارورته ببطء وملأ فمه بالماء. لم تتوقع ما سيفعله بعد ذلك.

بصق ما في فمه في وجهها مباشرة. وقفت أمامه في صدمة، والماء يتساقط على وجهها وقميصها. لم تشعر بالارتياح. ذكرها ذلك بـ...

مسحت الرذاذ عن وجهها بكم قميصها، وتصاعد غضبها. لم تستطع السيطرة على نفسها. ما زالت قنينة الماء في يدها، لذا ضربت بها بيكس في أنفه. زأر، ومد يديه محاولًا الإمساك بها، لكن سنوات من القتال القذر شحذت مهاراتها. انحنت أسفل ذراعيه الممدودتين، وضربته بركبتها في فخذه.

صرخ الرقيب: «ماذا يحدث؟».

وجدت الملازم والرقيب يقفان الآن بجانبها، فيما يرقد بيكس أرضًا وهو يئن في ضعف، واختفى معظم أفراد الفريق من المشهد.

تسلل إليها الرعب، خوفًا من القبض عليها. في البداية لطمت وجهها؛ فبدت قذارة بصاق بيكس أسوأ.

قالت بروكلين: «لقد بصق علي».

نظر الرجلان إلى بيكس، الذي ينزف أنفه إثر سقوط قنينة الماء عليه، ويداه تغطيان فخذه.

صاح الرقيب: «أحضروا طبيبًا». اندفع أحدهم عائدًا إلى المضمار.

ألقى الملازم عليها نظرة فاحصة بلا تعبيرات، وسألها: «هل أنتِ من بدأتِ الشجار الأسبوع الماضي؟».

أمكنها أن تجادل قائلة إنها ليست من بدأت الشجار قط، لكنها تعرف ما كتبه مدير المدرسة في التقرير، فقالت: «نعم، لكني لم أبدأ هذا».

أشار الملازم إلى الرقيب، قائلًا: «لا أريدها مع الآخرين. اصطحبها إلى ميدان الرماية. الآن».

أمسك الرقيب ذراعها وقادها إلى ميدان الرماية خلف الآخرين، وهو يصب في أذنيها سيلًا من التعليقات طوال الوقت الذي استغرقه الوصول إلى هناك.

أطلق سراحها بالقرب من عربة أسلحة الرماية. خزانة أسلحتها هي الوحيدة المتبقية على رف العربة. عندما رأى الفرد المستجد -عضو أصغر سنًّا في الفريق- المكلف بمراقبة عربة الأسلحة العبوس على وجهي بروكلين والرقيب، تراجع إلى الخلف وتركها تفتح خزانة سلاحها.

وفيما أشار إليها بإصبعه وتوقف على بعد بوصات من عينيها، قال الرقيب: «أنتِ آخر من يستخدم سلاحه. ربما يستهدفك الفريق، ولن أشرح لك سبب إطلاق النار عليك. هل سمعتني؟».

أومأت برأسها. إنها محظوظة لأنهم لم يعيدوها بالفعل إلى ملجأ الولاية. في الواقع، لقد شعرت بالدهشة لأنهم سمحوا لها بإكمال الاختبارات.

وعندما نادوا اسمها، استخدمت كل تقنية تعلمتها حول الاسترخاء وكيفية التنفس في أثناء إطلاق النار.

في وضع إطلاق النار الأول، صفت بندقيتها على حاجز. وأطلقت ثماني طلقات جيدة من أصل تسع، لكن بعد ذلك تعطلت البندقية. وكما تعلمت، صفعت، وسحبت، وراقبت، وأطلقت، ونقرت، ثم أطلقت النار مرة أخرى. وبسبب تشتت انتباهها، أخطأت الهدف.

وفي وضع إطلاق النار الثاني، وقفت دون دعم البندقية. تعطلت البندقية مرة أخرى في الطلقتين الثانية والسادسة. ونجحت في إطلاقها في كل مرة، لكنها ارتبكت، وأخطأت إصابة جميع الأهداف، ما عدا أربعة.

في الوضع الثالث، جلست على ركبتيها في خندق وهمي، لكنها شعرت وكأنها في خندق حقيقي، تقاتل من أجل حياتها. اقترب الوقت من الظهيرة والشمس مرتفعة، وأطلقت بروكلين النار بقوة. تعطلت البندقية في الطلقة الأولى، وشعرت بالرغبة في إلقائها بعيدًا بكل قوتها ثم دعسها بقدميها. ورغم أن الشيء الوحيد الذي تستطيع رؤيته هو الأهداف الفردية والمنبثقة في المدى، فإنها تعلم أن فريقها يراقب كل رصاصة تطلقها.

بعد خمس دقائق، ظلت عاجزة عن إطلاق النار، واعترفت بالهزيمة.

وفيما تسلم سلاحها، رأت نقاطها، اثنتي عشرة نقطة بائسة. أقل نقاط في فريقها.

انتظر لوجان عند البوابة، لكن قبل أن يتمكن من قول أي شيء لها، أمره الملازم بالابتعاد. أخذها الرقيب إلى مبنى الملجأ الرئيسي بمفردها في عربة الجيش. قاد السيارة، وجلست على المقعد المجاور له، وأخذت الخزائن وصناديق الذخيرة تهتز في الخلف.

لم يتحدث مرة واحدة طوال رحلة العودة.

***

عند عودتها إلى ملجأ الولاية، توقعت أن يرافقها الرقيب مباشرة إلى مكتب مدير المدرسة، لكنه قادها إلى قاعة دراسية انتظر فيها بقية أفراد الفريق اختبارهم التحريري. جلست في مقعد بجوار لوجان. الأعين كلها عليها. وبدا لوجان عابسًا، محتارًا وقلقًا في الوقت نفسه.

نظر المراقب إلى الساعة حتى يتمكنوا من بدء الاختبار في الوقت المحدد. خمس دقائق مؤلمة من الاستماع إلى ذبابة تطن عند النافذة.

على الجانب الآخر، أسند كيب كعبه المضمَّد على المقعد المواجه له، وبدا غياب بيكس ملحوظًا.

ثم قال كيب في خفوت شديد كي لا يسمعه لوجان: «احزري مَن في العيادة الطبية بسببك؟».

رفضت النظر إليه، وأبقت عينيها على المراقب. قال بهدوء: «أحدهم في ورطة».

وفيما يضع المراقب أوراق الاختبارات مقلوبة على مكاتبهم، ألقت بروكلين نظرة أخيرة على الأعضاء الآخرين في فريقها. ربما ينظر إليها بعض الفتيات والشباب بإعجاب لأنها دافعت عن نفسها. ربما منحها

أحد الأعضاء الأكبر سنًّا إيماءة صغيرة تدل على التأييد. لكن معظمهم شعروا بالاشمئزاز منها.

اقشعر بدنها. إنه خطأ ريسا. لو لم تجلس في المدرجات، لما بذلت بروكلين قصارى جهدها، ولأدركت الفائدة الدبلوماسية من احتلال المركز الثالث في السباق وعدم تحدي كبرياء كيب الغبي. عند هذه الفكرة، بدأ أحدهم في غرفة التدريب في الطابق العلوي يعزف نغمات فردية متصاعدة. أَمِلَت بروكلين أن تتعطل أصابع ريسا في أثناء حفلها. وأن يبصق عليها الجمهور بأكمله.

***

بعد الاختبار الكتابي، أرادت بروكلين إزالة العرق والبارود والبصاق عن بشرتها فحسب. لكن قبل حتى أن تتمكن من خلع ملابسها في غرفتها، طرق أحدهم الباب. اعتقدت أنه أحد حرس المهجع يطالبها بسرعة الخروج، لأنها آخر من يخرج. وهذا يعني أنها ستضطر إلى الاستحمام لاحقًا، والذهاب لتناول الغداء وهي كريهة الرائحة.

لكن لا، إنها يتيمة أخرى فحسب. آخر يتيمة تهتم بروكلين برؤيتها.

سألتها ريسا: «هل يمكنني الدخول؟».

قالت بروكلين: «ماذا حدث، هل ضللت طريقكِ؟ أليست غرفتك في الجناح الجنوبي؟».

قالت ريسا: «بل الشمالي».

قالت لها بروكلين: «حسنًا، يسعدني أنكِ لم تضلي طريقك. والآن، اغربي عن وجهي!».

لكن ريسا فعلت العكس، ودخلت الغرفة، مقتربة من بروكلين، وقالت: «أعلم أنها كانت أنتِ بالأمس».

لم تنظر بروكلين إليها. أمسكت الصابون ومنشفة للاستحمام، وقالت: «لا أعرف عما تتحدثين».

- رأيت انعكاسك في المرآة. اعتقدتُ أنك قد تبلغين عني لوجودي هناك يوم الأحد.

- من قال إنني لن أفعل؟

حاولت دفع ريسا، لكن على عكس معظم الفتيات الأخريات، فإن ريسا تشكل عقبة لا تتزعزع. عندما لم تتحرك ريسا، تعثرت بروكلين، وسقط الصابون، فصاحت: «ماذا دهاكِ؟».

أوشكت أن تأمر ريسا بالتقاط الصابون، لكن تلك الأخيرة فعلت ذلك من تلقاء نفسها، ومدت يدها به إلى بروكلين، التي أخذته على مضض، وسألتها: «ماذا تريدين مني؟».

قالت ريسا: «أردتُ فقط أن أشكرك على الاستماع. لا أحد من الصبية الآخرين يهتم بما يكفي للاستماع. ونصف الوقت لا يهتم المعلمون بما يكفي».

هزت بروكلين كتفها، معترفة: «إنك تجيدين شيئًا ما. وربما لديَّ بعض الثقافة. ربما لستُ تلك الغبية التي تظنينها».

قالت ريسا: «لا أفكر بكِ بهذا الشكل»، ثم ابتسمت، مضيفة: «حسنًا، ربما قليلًا».

وجدت بروكلين نفسها تقاوم ابتسامتها، قائلة: «وربما أنتِ مجرد فتاة متعجرفة تعتقد أنها أفضل من بقيتنا». من الجيد أن تقول ذلك لريسا مباشرة بعد كل هذه السنوات.

أومأت ريسا برأسها، وقالت: «ربما أتصرف بهذه الطريقة أحيانًا».

لم تعرف بروكلين كيف تتفاعل مع قبول ريسا توبيخها. يرضيها دائمًا أن تكرهها. هذه منطقة جديدة. منطقة غير مريحة.

قالت ريسا: «لقد رأيت لغة الإشارة التي تستخدمينها مع ذلك الصبي الأصم».

توترت بروكلين، واستشعرت إهانة، أو على الأقل سخرية.

- هذا ليس من شأنك.

- أعلم ذلك. أعتقد فقط أنه من الرائع تعلمك تلك اللغة. إنها موهبة.

زمجرت بروكلين: «موهبة معدومة الفائدة! لا يوجد سوى القليل من الصم هنا لاستخدامها معهم. أجهزة السمع رخيصة».

- لكنك تعلمتِها رغم ذلك من أجل الأطفال هنا. وربما من أجل ذلك الصبي فحسب.

حقيقة أن ريسا على حق -حقيقة قدرتها على قراءة بروكلين بسهولة- أشعرتها بعدم الارتياح. عندما يعرفك الناس، يمكن بسهولة استخدام هذه المعرفة ضدك. بدأت بروكلين تتساءل هل يوجد شيء تعرفه -أو يمكن أن تكتشفه- عن ريسا يمكنها استخدامه ضدها. ليس أنها ستفعل، لكن مثل الأسلحة النووية في العالم القديم، يمكن لتوازن القوى أن ينقذ عالمهما الصغير من الشتاء النووي.

ثم قالت ريسا: «بطريقة ما، لا يختلف الأمر كثيرًا عن العزف على البيانو. أعني أنكِ تستخدمين يديك لخلق المعنى، تمامًا كما أفعل أنا».

حدقت بروكلين إليها فحسب. ما وجهة نظرها؟ ماذا تريد؟

- هل أنهينا حديثنا؟ لأنني حقًّا يجب أن أستحم.

قالت لها ريسا: «نعم، لقد انتهينا. أردت فقط أن أشكرك على إعجابك بموسيقاي. وأن أهنئك على حصولك على المركز الثاني اليوم».

- لماذا ذهبتِ إلى هناك؟ أليس من المفترض أن تتدربي استعدادًا لاختبارك؟

قالت ريسا وهي تهز كتفيها: «وجدت غرف التدريب مشغولة بالكامل، إضافة إلى أنكِ توقفت للاستماع إليَّ. أعتقد أنني حضرت لأرد لك الجميل».

استدارت ريسا لتغادر الغرفة، ولأنها لم ترِد أن تترك لها الكلمة الأخيرة، قالت بروكلين: «لقد ارتكبتِ ثلاثة أخطاء».

التفتت إليها ريسا، وقالت: «معذرة؟».

- في أثناء عزفك، سمعتُ ثلاثة أخطاء. لكن إذا أصلحتِها، سيصبح الأمر مذهلًا.

جاءت ابتسامة ريسا حقيقية، وشبه مذهلة.

***

وجدت بروكلين ثور ينتظرها خارج الكافيتريا مباشرة، وأشار إليها: «لقد أفزعتِني».

- لماذا؟ أظننتَ أنهم فككوني قبل الغداء؟ أي شيء وارد.

مع مقاطعة ريسا واستحمامها، أمِلت بروكلين أن تتأخر بما يكفي كي لا تقابل فريقها بالكامل، لكن صف الغداء تحرك ببطء اليوم، ووجدتهم جميعًا ما زالوا هناك. أول من غادر القاعة فَتيان من فريقها، بعد أن شما رائحة طعامهما فحسب على ما يبدو. مرا بها في الردهة في أثناء خروجهما من قاعة الطعام، وبدا أنهما يريدان دفعها، أو ما هو أسوأ. حدق ثور إليهما ببرود، فتحركا، وكأنهما خائفان منه. من المضحك أن صبيًّا أصمَّ نحيفًا يتمتع بقوة أكبر من البوف.

بدا ثور مستسلمًا وهو يشير: «هل تورطتِ في معركة أخرى؟».

تجاهلت السؤال، وأشارت مرة أخرى: «ما مدى سوء الأمر؟».

- هذا تصنيف تمهيدي. إنه تصنيفك وفقًا لأعضاء هيئة التدريس والأكاديميين فحسب. لا يشمل طلبة الفنون بعد؛ الاختبار بعد الغداء.

في ظل تصحيح اختبارها التحريري فعلًا بواسطة الكمبيوتر، لا يوجد شيء آخر يمكنها فعله. أداؤها هو أداؤها، سواء في الميدان أو في قاعة الدراسة.

أشارت مرة أخرى: «ما مدى سوء الأمر؟».

نظر حولهما. من خلال الأبواب المتأرجحة، رأى قاعة الطعام مزدحمة وملأى بالأعين اليقظة، لكن الممر فارغ. لا أحد يستمع؛ لا أحد يراقب، وحتى لو حدث ذلك، لا يمكن لأحد فك رموز إيماءات أيديهما.

أشار ثور: «أحضري غداءك. سنجلس ونتحدث بعد ذلك».

لكنها أمسكت به قبل أن يتمكن من الابتعاد وأشارت بنفاد صبر: «أخبرني الآن!».

ثم رأت التشنج الصغير في زاوية فم ثور والرعب في عينيه. تردد لحظة أخرى، ثم أخبرها أخيرًا. أشار: «بلاك جاك. اعتبارًا من الآن، أنت رقم واحد وعشرين».

تراجعت بظهرها لتتكئ إلى الحائط، وانزلقت إلى أسفل حتى لامست مؤخرتها الأرض. لقد فشلت في اللحاق بخط الأمان بفارق مكان واحد. إنها الآن في قائمة الحصاد. ستُفَكك.

تجاهلت ثور الراكع إلى جوارها وأصابعه المتحركة بسرعة كأنما تطير. كل ما حدث في ذلك الصباح ينهار فوقها. وقف ثور أمام وجهها، وصرخ بيديه: «يمكننا إصلاح الأمر!».

فكرت: «يا له من صبي مسكين! إنه واهم. لا شيء يمكن أن يصلح هذا. ليس بعد شجار آخر. ليس بعد تلك النتيجة المنخفضة في الرماية».

ومع ذلك، تمكنت من الإشارة مرة واحدة: «كيف؟».

أشار: «قد يحل محلك في قائمة الحصاد أحد طلبة الفنون، بمجرد انتهاء الاختبار. وإذا لم يحدث ذلك، فيمكننا إضافة شخص آخر إلى القائمة».

عبس وجهها، وأشارت مرة أخرى: «كيف؟».

- اتركي الأمر لي.

***

امتلأت نصف مقاعد الكافيتريا فقط في وقت الغداء. بعد أن تناولوا طعامهم مبكرًا، بدأ طلبة الفنون الآن ماراثون الاختبارات. بدت القاعة مختلفة من دونهم. انخفضت الأصوات أكثر من المعتاد، مع صمت مفاجئ اختلط بأصوات أدوات المائدة وصرير المقاعد. جلس الصم في الطرف البعيد من القاعة، وشعروا بالارتياح وسط غابة إشاراتهم، لكن ثور غادر إلى مختبر الكمبيوتر في محاولة لإنقاذ حياة بروكلين. قد يتسم بالذكاء، لكن بروكلين شكت في قدرته على إحداث أي تغيير في القائمة.

فيما تخرج من صف الغداء بطبقها، هبط هدوء عشوائي آخر. جلس آكلو الطعام الأبطأ في مجموعتها إلى الطاولة تحت الساعة. غادر الأعضاء الأكثر عدائية فعلًا. يوجد حلفاء -أو على الأقل أولئك الذين ظلوا محايدين- إلى الطاولة، لكنها ظلت تماطل، لم تُرِد أن تسمعهم يعيدون مناقشة الاختبارات، أو الأسوأ من ذلك، شجارها مع بيكس. على الأقل هو ليس هناك. نظرت حولها بحثًا عن ملاذ آمن بعيدًا عن مجموعتها. لم

تستطع الجلوس مع إحدى الفرق الأخرى، ولا يمكنها الجلوس مع الصم في غياب ثور. في النهاية، بدأت تبحث عن طاولة فارغة. ومن عجيب المفارقات أنه لو وُجِدت ريسا هنا، لفكرت في الانضمام إليها. وبقدر ما احتقرتها بروكلين، لا يمكنها إنكار الصلة الواهية التي نشأت بينهما في غرفة نومها. وكل ذلك الميراث القديم -الأشياء التي جعلت بروكلين تشعر بالتوتر والاستياء والعار- تضاءل فجأة أمام قسوة العديد من إخفاقات هذا الصباح.

لكن قبل أن تضع صينيتها، سمعت صوتًا يقول: «هنا يا بروكس».

من طاولة فريقها، لوَّح إليها لوجان، فيما أولى ظهره إلى المدخل. لا بد أن أحدهم أخبره أنها هناك. سارت على مضض إلى الطاولة. قبل أن تصل إلى هناك، غادر العديد من الآخرين، وحولوا أعينهم عنهما، سواء الرجال أو الفتيات. لكن حتى أولئك الذين بقوا لم يبدُ عليهم الحماس للجلوس مع «منبوذة اليوم». وطبعًا يوجد كيب، بكعبه المُضمَّد، الذي حرص على إظهاره كإصابة حرب. جلس في نهاية الطاولة مع ثلاثي من المستجدين النحفاء؛ المستعدين لتملق أي شخص أكبر سنًّا يمنحهم الاهتمام، وهذا ما يفعله كيب دائمًا. إنه يستمتع بتمجيده. لو أن الناس يلعقون جراحهم، فهي واثقة أن كيب سيجعل المستجدين يلعقون جراحه.

شعرت بعدم الارتياح في داخلها، لكنها عجزت عن الفرار، فجلست بجوار لوجان، الذي أعلن بمرح: «لقد فشلتُ في الاختبار الكتابي».

شعرت بالامتنان لأنه خفف من وطأة إخفاقاتها من خلال بدء المحادثة بإخفاقاته. لم يسعها إلا أن تتساءل هل فشل حقًّا في الاختبار الكتابي، أم إنه يقول ذلك فقط ليشعرها بتحسن. هل يمكن أن يوجد

على قائمة مخيم الحصاد الأولية أيضًا؟ لم يخبرها ثور بترتيب أي شخص آخر.

قالت مجاملة: «ربما أبليت أفضل مما تعتقد».

بدا كمن يتأمل الأمر وهلة، ثم هز كتفيه: «لا أرى كيف يمكن أن يحدث ذلك.. لا يمكنني فعل أي شيء الآن».

فكرت أن لا شيء يمكن فعله حقًّا بالنسبة إليه، دون وجود ثور ليغير تصنيفه، ثم تناولت قضمة كبيرة من شطيرة البرجر.

قال كيب: «على الأقل لم يكسر أنف جندي زميل».

فجأة، أصبح طعم البرجر كالفضلات في فمها. وضحك أحد المستجدين في توتر.

حدج لوجان أفضل أصدقائه بنظرة عابسة، قائلًا: «هذا ليس لطيفًا يا رجل».

- حقًّا؟ حسنًا، ما فعلَته أسوأ.

ودون أن ينظر إليها، حمل كيب طبقه وغادر. وفي أثناء رحيله الدرامي، نسي أن يعرج. تسلل المستجدون خلفه، وحدجت إحدى الفتيات بروكلين بنظرة كريهة بعد أن أصبحت على مسافة آمنة.

نكز لوجان بروكلين بكتفه، قائلًا: «لا تقلقي بشأنه. إن تفوقك عليه في سباق الميلين يؤلمه فحسب. وماذا لو أنك عرقلتِه؛ لقد احتاج كيب إلى تقليل غروره بضع درجات على أي حال».

انتفضت بروكلين، وصاحت: «لقد أخبرتك؛ لم أعرقله. أقول لك شيئًا؟ لقد انتهى الأمر، وليس مهمًّا».

لكن الأمر مهم. لأن لوجان صدق كيب ولم يصدقها. رأى نفسه كريمًا بتسامحه معها، لكنه سامحها على شيء لم تفعله.

واصل لوجان حديثه، دون أن يلاحظ حتى غليان بروكلين البطيء: «أما بيكس، فلن أقلق بشأنه أيضًا. إنه سيغادر الملجأ قريبًا على أي حال. سيبلغ الثامنة عشرة في غضون ثلاثة أشهر»، ثم نظر إلى برجر بروكلين، وأضاف: «هل ستأكلينه؟».

وجدت شهيتها الضعيفة قد تلاشت تمامًا، فوضعت البرجر الذي أكلت نصفه في طبقه، قائلة: «إنه لك بالكامل».

التهمه مبتسمًا، وتحدث بفم ممتلئ، فأصبح من الصعب وصف ما قاله بحديث بشري.

- لم أفهم كلمة مما قلته.

مسح الشحوم والمايونيز عن فمه بيديه، قائلًا بوضوح مبالغ فيه: «لقد قلت ... إن عطل بندقيتك بدا غريبًا».

- نعم. غريب.

لم ترغب في التحدث عن ذلك. حتى التفكير في الأمر يجعلها تتصبب عرقًا.

- لم يحدث هذا مع أي شخص آخر. حسنًا، لقد علق سلاح شاندرا عدة مرات، لكنه يفعل ذلك دائمًا. لقد استخدمتِ بندقيتك الخاصة، أليس كذلك؟

- بلى.

ثم فكرت في الأمر. كانت في نهاية الصف، وما زالت ترتجف بسبب مواجهتها مع بيكس والسير الطويل بمفردها مع الرقيب. أحد المستجدين فتح خزانة أسلحتها قبل وصولها. هل بدلها بخزانة شخص آخر أو الأسوأ من ذلك، هل تلاعب أحدهم ببندقيتها بطريقة ما؟

أخذت الأفكار تدور في رأسها كالزنابير الغاضبة.

***

بعد الغداء، ذهب لوجان لمشاهدة أحد أصدقائه غير العسكريين في حفل لموسيقى الجاز. إنه صبي يُعلِّمه الرياضيات.

قال لها: «يجب أن تأتي. احصلي على القليل من الثقافة».

كادت تقول إنها تحب الموسيقى الكلاسيكية أكثر من الجاز لكنها قررت عدم الإفصاح عن رأيها، وقالت: «آسفة، الموسيقى ليست من اهتماماتي».

ثم مَثَّل أحد الصبية الآخرين مشهد كسر آلتها الموسيقية -أمر أسطوري على ما يبدو- وهو ما منحها كل العذر الذي تحتاج إليه لمغادرة المكان والبحث عن ثور. لكن حال وجودها بمفردها، ارتفع صوت شكها المرضي الطبيعي. هل أعطاها أحد المستجدين في عربة الأسلحة بندقية معطلة؟ قبل أن تدرك ذلك، انعطفت نحو السلم الذي يؤدي إلى خزانة الأسلحة في القبو. أدخلت الرقم السري -الذي تعرفه دائمًا، بغض النظر عن عدد المرات التي غيروه فيها- في القفل الرقمي، ونزلت السلم ثلاث درجات في كل مرة.

فتح رمز مختلف الباب في أسفل الدرج، ومن خلال التدريب الطويل، خفضت رأسها لتتجنب الكاميرا. القبو عبارة عن متاهة من مناطق التخزين. رائحة الورق القديم والمطاط المتعفن والوقود تنتشر في المكان. إنه أبرد من الطابق العلوي، لكن ليس كثيرًا.

يقع مخزن الأسلحة في الخلف. مرت بمصعد الشحن والصف الطويل من غرف الملفات خلف المزيد من الأبواب المغلقة. لقد استخدمت المعلومات الموجودة في تلك الملفات في مقابل السلع والخدمات. ربما يمكنها العثور على شيء هناك من شأنه أن ينقذها الآن، لكن لا يوجد وقت كافٍ. من المؤسف أنها لم تجد فضيحة بشعة يمكن أن تبقيها آمنة

حتى تبلغ الثامنة عشرة. إذا نجت من هذا الحصاد، فسوف تصبح هذه أولويتها الجديدة.

تُخزَّن الأسلحة في صفوف خلف قفص صلب من قضبان فولاذية وسياج من السلك. توقفت على الجانب الشمالي من الترسانة، وسمعت أصوات طرق في الداخل. بين الصف الثالث والرابع، رأت شخصًا يقف عند طاولة عمل، أسفل مصباح علوي يضيئه هو والمقعد. أدار ظهره لها، لكنه بدا كالمستجد المسؤول عن خزائن الأسلحة في ميدان الرماية، وهو صبي نحيف له أصابع قبيحة وأذنان كبيرتان. كان أيضًا جزءًا من حاشية كيب في وقت الغداء. توجد خزانتان مفتوحتان على المقعد، فيما يعمل المستجد على تفكيك بندقية.

إنها بعيدة جدًّا بحيث لا يمكنها تحديد هل أي من الخزانتين تخصها أم لا. أمسكت بقضبان القفص، واجتهدت للرؤية. عند التقاء القضبان مع الأرض الخرسانية، أصدر الفولاذ صريرًا بسبب ضغط وزنها عليه، فتراجعت هي تلقائيًّا إلى الظل.

وبصوت له صرير كقضبان القفص، صرخ المستجد: «من هناك؟».

هربت بصمت من خلال الممر الطويل، ثم انعطفت إلى قاعة جانبية، وهنا سمعت صوت باب القفص الثقيل يُفتح. وجدت درجًا ثانيًا، ولم تجرؤ على العودة إلى الدرج الرئيسي. أدخلت رمز الخروج وهي واثقة أن الكاميرا التقطت صورتها وهي تميل لتقترب من لوحة المفاتيح. هل يمكنهم تعرفها من صورة ظلية باهتة؟ إنه شيء آخر تمنت لو لم تضطر إلى التفكير فيه.

اتجهت إلى غرفة ثور الصغيرة وهي ممتنة لأنه ليس هناك. ربما أقنعها بالتخلي عن شكها المتفشي، وهي تريد تركه حرًّا.

أخذت أفكار غاضبة ومحيرة تطن برأسها. هل أفسد المستجد بندقيتها ويخفي الآن دليل تلاعبه؟ ولو أنه تخريب متعمد، فمن أمر بذلك؟ لن يتصرف مستجد في هذا العمر من تلقاء نفسه. لا بد أن هذا قد خُطط له سابقًا منذ وقت طويل، لذلك لا يمكن أن يكون كيب. أم ربما هو؟ لم ترقه قط، حتى قبل سقوطه الكارثي على المضمار. ربما الرقيب هو من أمر بذلك. بدا الرجل دائمًا وكأنه يحمل ضغينة تجاهها. يعاملها كما لو أنها ليست بوفًا حقيقية، بغض النظر عن مدى نجاحها في الاختبارات وأدائها في الميدان. ومستحيل أن يفعل ذلك بسبب شجارها فحسب.

لا مجال لتورط الملازم في المؤامرة، أليس كذلك؟ ربما الرقيب، لكن ليس الملازم. أرادت الاعتقاد أن شخصًا واحدًا على الأقل -إضافة إلى ثور- يقف في صفها. لوجان لا يُحتسب. لقد انتهت قوته الوقائية في اللحظة التي اختار فيها تصديق كيب بدلًا منها. ربما ستتحدث إلى الملازم بشأن البندقية. ربما يعاملها بإنصاف، وربما يمكن لثور إبعادها عن قائمة الحصاد هذه المرة. لكن ماذا عن المرة القادمة؟ ستحتاج إلى البحث بعمق عن معلومات مروعة للغاية يمكن أن تبقيها آمنة طوال العامين المقبلين. من الآن فصاعدًا يجب أن تحمي نفسها. لا يهم مَن سيُفكك بسبب ذلك.

***

انتهت الحفلات الموسيقية. وأُغلِقت صالات العرض الفني. وانشغلت اللجان بجمع النتائج النهائية لطلبة الفنون.

فيما تتجه بروكلين إلى مكاتب الموظفين، اضطرت إلى المرور بمجموعة من طلبة الفنون المتجمعين في بئر السلم. وجدت اثنين منهم

يبكيان. وخيل إليها أنها تسمع ريسا تهمس بصوت يائس، لكن بروكلين في مهمة، فمرت بجوارهم مسرعة.

نظرًا إلى أنها تملك وقتًا قبل أن يتمكن ثور من عرض النتائج، فقد قررت مقابلة ملازمها. لا ضرر من كسب الود في هذه الساعة الأخيرة.

مكتبه قريب من مكتب مدير المدرسة. استخدمت بروكلين تدابير سرية للتسلل من خلال مكتب المدير. ورغم أنها لم تُستدعَ للاستجواب بشأن شجارها مع بيكس، فإنها لا تريد أن يوبخها مدير المدرسة ارتجاليًّا لو رأته مصادفة.

طرقت برفق باب الملازم المفتوح، قائلة: «سيدي؟».

تغيرت ملامحه عندما رآها، وقال بلا ترحيب أو أي دفء: «نعم؟».

رأت أن حضورها إليه ربما ليس فكرة جيدة، ثم قالت: «هل يمكنني التحدث إليك لحظة يا سيدي؟».

أشار إلى المقعد المواجه لمكتبه بإيماءة رسمية كزيه، مرددًا: «لحظة».

- من الأفضل إنهاء ذلك الأمر المؤسف يا سيدي، إنني أعتقد أن شخصًا ما عبث ببندقيتي في ميدان الرماية هذا الصباح.

- ألديك دليل؟

- لا يوجد دليل يا سيدي. لكن توجد شكوك يمكن أن...

أشار إليها لتصمت، ثم لمعت عيناه ببرود، وهو يقول: «هل توجهين اتهامًا لا أساس له إلى أحد أفراد فريقك؟».

- سيدي...

- الجنود لا يفعلون ذلك. مهما كان الأمر، فإن الفريق هو عائلتك، وأفراده هم إخوتك وأخواتك. هل لديك أي فكرة عما يعنيه ذلك؟

- نعم يا سيدي.

سمعت نفسها بالكاد، لذا تنحنحت، وكررت بصوت مرتفع: «نعم يا سيدي!».

مال قليلًا إلى الأمام، وظلت كلماته باردة، وهو يقول: «يمكنني خفض مجموع نقاطك أكثر. أهذا ما تريدينه؟».

- لا سيدي.

- هل تفهمين ما يعنيه كونك لاعبة في فريق؟

- نعم يا سيدي!

أومأ برأسه، وأدار مقعده مرة أخرى إلى جهاز الكمبيوتر، قائلًا: «تذكري ذلك قبل أن تُضيعي وقتي مرة أخرى. انصرفي!».

***

في مختبر الكمبيوتر، أخذت ساق بروكلين اليسرى تهتز في توتر. هي وثور بمفردهما في وقت متأخر من العصر، لكن بعد ماراثون من الاختبارات، لا أحد يعمل على أي شيء عادي مثل الواجبات المنزلية. سمعت صراخًا مكتومًا من الملعب بالأسفل؛ الأطفال الصغار لا يدركون، لكن الجميع مصدومون.

لو أن ثور بدا متجهمًا من قبل، فقد بدا بائسًا للغاية الآن. أشار: «تذكري؛ يمكننا إصلاح هذا».

تحرك إلى اليسار حتى تتمكن من إلقاء نظرة أفضل على الشاشة. جف حلقها وتوقفت ساقها عن الاهتزاز. ما زالت في المركز الحادي والعشرين.

ولوجان يعلو خط التخفيض مباشرة، في المركز الثاني والعشرين.

أشار ثور في لا مبالاة شديدة: «يمكنني تبديل اسميكما».

ثم رأت الاسم السابق للوجان مباشرة. رقم ثلاثة وعشرون. إنها ريسا. هل أخطأت في عزف البيانو بشدة لدرجة وضعتها على بعد خطوتين فقط من التفكيك؟ حتى وهي تعاني صدمة العثور على اسمها هناك، لم تملك بروكلين إلا أن تستمتع بذلك أيضًا. هل عانت «الآنسة المثالية» رهبة المسرح؟ أو ربما تعرضت للتلاعب أيضًا.

ثم فكرت في مرور ريسا بغرفتها قبل الغداء. كيف تصرفت وكأنهما يمكن أن تصبحا صديقتين. لن يحدث ذلك أبدًا طبعًا، لكنهما ليستا عدوتين بعد الآن.

تسابقت أفكارها، وأشارت إليه: «هل يمكننا استبدال أي اسم باسمي؟».

هز ثور رأسه نفيًا، وأجابها: «يجب أن يكون شخصًا قريبًا جدًّا منك في القائمة، وإلا سيصبح ذلك جرس إنذار ضخم. سيعرفون أن القائمة قد اختُرِقَت، وسيكتشفون من فعل ذلك».

آخر شيء تريده بروكلين هو إيقاع ثور في مشكلة. بالتأكيد، لا يمكن تفكيكه، لكن توجد عقوبات أخرى. من الأسهل التخلص من لوجان، لكن هل يمكنها أن تفعل به ذلك؟ إنه ليس التعريف الأمثل للعناية بأخيها في الفريق، أليس كذلك؟

أشارت إلى اسم ريسا: «هل يمكننا استخدامها؟».

فكر ثور في الأمر. إنه يعرف ماضي بروكلين مع ريسا لكنه لم يتحدث عنه، بل أشار ببطء: «يمكننا ذلك»، ثم انتظر، تاركًا القرار بالكامل لبروكلين، التي سألته: «متى عليَّ اتخاذ القرار؟».

- أحتاج إلى الوصول إلى الكمبيوتر الرئيسي، لإجراء التبديل، ولا يمكنني الاقتراب منه حتى رحيل «النسر».

نظرت بروكلين إلى عامل غرفة الكمبيوتر ذي الأنف المعقوف. هذا الشخص أكثر انتباهًا من عامل عطلة نهاية الأسبوع. نظر «النسر» إليهما بمزيد من الشك مقارنة بنظراته إلى الصبية الآخرين. من الواضح أن لغة الإشارة تثير ريبته أكثر من الهمس.

أخبرها ثور: «ينتهي عمله في الخامسة والنصف. يمنحك هذا ساعة لاتخاذ القرار، لكن لا تتأخري. ستصبح النتائج نهائية في السادسة، وإذا فاتتك هذه الفرصة، فأنت في حكم المُفككة. امتلاك سلطة الحياة والموت يمنحك إحساسًا بالقوة والبشاعة في الوقت نفسه، وكذلك -لو أنك تؤمنين بدعاية سلطة الأحداث- أن تعيشي مكتملة أو مقسمة. لكن في كلتا الحالتين، إنها النهاية».

ارتجفت. من الأفضل أن تصبح نهاية شخص آخر؛ لا نهايتها.

قالت له: «سأقابلك هنا بعد ساعة».

امتلأت درجات السلم بالصبية الذين يبحثون عن أصدقاء في الطوابق الأخرى. يحتاج الجميع إلى شخص يستمع إليهم وهم ينتحبون بسبب الأداء السيئ أو يفرحون بالانتصارات. لا أحد يفهم الأخطار الحقيقية. لا أحد يعرف شيئًا عن الحصاد الإضافي هذا العام ما عدا هي وثور. لكن كل يتيم يعرف أن الترتيب السيئ قد يؤدي في النهاية إلى التفكيك.

تشعر بروكلين بالخوف من الأماكن المغلقة، فاتجهت إلى الملعب للتفكير، لكنها وجدت حرس المهجع يقيمون الطاولات هناك. يا للأسف، لأن في لحظة نادرة، أصبح المكان هادئًا فعلًا. لا كرة سلة في الملاعب، ولا أطفال يلعبون لعبة القفز على المربعات، ولا أحد على مجموعة الأرجوحات الصدئة. أخذت تدرس الأمر جيدًا في ضوء المعطيات،

وتذكرت الآيس كريم الذي أخبرها به لوجان. سيحصلون جميعًا على مفاجأة الليلة، وسيعرف الجميع أن شيئًا ما سيحدث عندما يعلنون ذلك. لا يقدمون الآيس كريم إلا في أيام الأسبوع عندما يحدث شيء سيئ حقًّا. آخر مرة قدموا إليهم الآيس كريم في اليوم السابق لوضع مجموعة أخرى من الصبية في حافلة لتفكيكهم.

جلست على مقعد دافئ تحت أشعة الشمس، وتخيلت أنه حتى مع ثرثرة حرس المهجع حول مكان وضع علب المناديل، لن تجد مكانًا أهدأ من هذا في ملجأ الولاية. أغمضت عينيها لتجنب المشتتات البصرية واتكأت على ضوء الشمس المرقط تحت شجرة القيقب الممتدة. تركت أوراق الشجرة تحيطها.

في غضون بضع سنوات، سيصبح اتخاذ قرارات الحياة والموت أمرًا شائعًا بالنسبة إليها. في ساحة المعركة، ستقتل الأعداء لحماية الأصدقاء. ومع تقدمها، ستضطر في النهاية إلى اختيار الأصدقاء الذين سيموتون لحماية فصيلتهم. ستنهي أوامرها حياة الأبرياء الذين وقعوا في نيران متقاطعة أو دُفنوا في غارة قصف.

القرار الذي ستتخذه في الساعة القادمة سيجهزها لتلك الأوقات، تمامًا كما يهيئها تدريب اللياقة البدنية والرماية جسديًّا. قالت لنفسها إنها ستجعل نفسها جندية أفضل، وقائدة أفضل.

ترك اسمها على قائمة الحصاد ليس خيارًا. إن وجود صديق يعرف كيفية تغيير خوارزمية الترتيب يمنحها هذه الميزة؛ هذا السلاح. إذا تعرضت للهجوم، فإنك تدافع عن نفسك.

ها هي تدافع عن نفسها.

بعد أن حصلت على الوقت الكافي لتهدئة أفكارها، أصبح اختيار من سيحل محلها في القائمة واضحًا.

ريسا ذكية وموهوبة. لا ينبغي معاقبتها على يوم سيئ. من ناحية أخرى، ربما يعتبر لوجان صديقًا جيدًا، لكنه ليس ذكيًّا للغاية، وهو مجرد رجل عادي. إنها مسألة وقت فقط قبل أن يفككوه على أي حال.

فكرت بعناية فيما قاله لها الملازم. مهما كان الأمر، فإن الفريق هو عائلتك. قَصَد أنه حتى لو كلف الأمر أرواح آخرين أكثر جدارة من زملائها الجنود، فإن رفاقها يأتون أولًا.

قد يصبح هذا صحيحًا بالنسبة إليها يومًا ما. لإنقاذ رفاقها، قد تحتاج يومًا إلى تدمير متحف، أو توجيه بندقيتها نحو شاعر، أو إطلاق النار على أوركسترا بأكملها.

لكن ليس اليوم. اليوم ستختار إنقاذ حياة عازفة بيانو بدلًا من رجل عادي.

في الخامسة، سمعت صافرة انتهاء العمل بأحد المصانع تدوي من بعيد، فضحكت. في النهاية، اتخذت قرارها في أقل من ثلاثين دقيقة. لديها الوقت لتغيير ملابسها وارتداء قميص «بارانا ريفر» الذي أعطاها إياه لوجان. بدا هذا شيئًا لطيفًا تفعله من أجله قبل تفكيكه.

***

قميصها من «بارانا ريفر» مفقود.

ارتدته بالأمس، لكن ليس طويلًا. لقد طوت القميص ووضعته في درج الطاولة المجاورة لسريرها. لم يعد هناك الآن. هل أخذته إحداهن؟

فحصت سلة غسيلها بانفعال. التصقت رائحة الملابس المتسخة بيديها وملأت أنفها. وصلت إلى قاع السلة. ليس موجودًا. لقد أخذه شخص ما.

تذكرت فورًا تلك المرة السابقة عندما اتهمت ريسا بسرقة قميصها، والإذلال الذي أعقب ذلك، لكنها حاولت إبعاد الفكرة.

دخلت نعومي واثنتان من صديقاتها. استشاطت بروكلين غضبًا. لقد غبطت نعومي ذلك القميص بالأمس. سرقته طبعًا!

انطلقت بروكلين نحو نعومي، فدفعتها إلى الحائط، وضغط ساعدها على حلق الفتاة. صرخت فتاة أخرى، لكن هدير بروكلين المهدد، تغلب على احتجاجاتها الصاخبة.

- أين قميصي؟

لم تستطع نعومي التنفس؛ عيناها متوحشتان، وأظفارها رسمت خطوطًا دموية على جلد بروكلين. قفزت نعومي بعنف تحت ساعدي بروكلين، ونجحت في تجاوزهما، فاصطدمت بروكلين جانبيًّا بسلة الغسيل.

قفزت نعومي بعيدًا عن بروكلين، وصاحت: «هل أنت مجنونة؟ كدتِ تقتلينني».

دفعت بروكلين سلة الغسيل بعيدًا، وبدأت تلاحق نعومي مرة أخرى، لكن إحدى الفتيات الأخريات، وهي فتاة ضخمة من الفريق «سي»، دخلت بينهما. إنها ضخمة تقريبًا مثل بيكس. استعادت بروكلين وعيها عندما تذكرت ذلك العراك، لكن غضبها ظل يتصاعد، وصرخت: «أعيدي لي قميصي من «بارانا ريفر». أعلم أنك أخذتِه».

نظرت نعومي إلى المرآة، وتحسست أصابعها برفق رقبتها الملتهبة، قائلة: «لم أمسَّ قميصك أيتها الحمقاء.. انتظري حتى أخبرهم بما فعلتِه بي. يا إلهي! سأصاب بكدمات».

قالت الفتاة الأخرى، مشيرة إلى قميص ملقى على الأرض خلف سلة الغسيل المقلوبة: «أهذا قميصك المفقود؟».

نظرت بروكلين في صدمة، وارتجفت يداها وهي تلتقطه. رأت الشعار المألوف على الخلفية الرمادية والخضراء: «ب- ر».. «بارانا ريفر».

نظرت نعومي في حدة إلى بروكلين، وقالت: «لقد سمعت عن شجارك مع ذلك الصبي هذا الصباح. والآن تهاجمينني؟ يا ويلك، عندما ينتهون منك، لن يبقى منك سوى دماء وعظام على الأرض».

- تغاضي عن الأمر يا نعومي.

بدهشة متساوية، حدقت بروكلين ونعومي إلى إحدى الفتيات البوف من الفريق «سي».

هزت الفتاة الأكبر حجمًا كتفيها، قائلة: «حرس المهجع ومدير المدرسة في مزاج سيئ اليوم. لن يهتموا من المخطئ. إذا لم تنهِيا هذا الأمر الآن، فسيعاقبونكما معًا».

نظرت نعومي بحدة، ثم زفرت بقوة وركلت بروكلين. إنها طالبة فنون، لذا فإن الأمر لا يؤلمها كثيرًا. بعد أن أخذت أدوات استحمامها، خرجت نعومي وأصدقاؤها من الغرفة.

ظلت بروكلين ممسكة بقميص «بارانا ريفر»، وهي تتفحص البوف في شك، قائلة: «شكرًا لكِ. لا أعرف لماذا فعلتِ ذلك، لكن شكرًا».

قالت: «يجب على الجنود أن يتحدوا معًا.. إضافة إلى أن بيكس يستحق كسر أنفه».

اتجهت بروكلين نحو الحمامات، ومسحت على القميص، وهي تفكر بعمق. لقد جعلتها الفتاة البوف من الفريق «سي» تشعر بالسوء نوعًا ما لإدراج لوجان -زميلها الجندي- في قائمة الحصاد. لكن إحساسها ليس قويًّا بما يكفي لتغيير رأيها، وإنما يكفي فقط لأن تشعر بالتعاسة حيال ذلك. ومع ذلك، فإن تفكيرها حول من يعيش مكتملًا أو مقسمًا ظل قائمًا.

توقفت يدها عن محاولة إزالة التجاعيد من القميص. اتهمت ريسا بسرقة قميصها وهما في السابعة من العمر. هل أخطأت أيضًا في ذلك الوقت؟ اقشعرت بشرة بروكلين عندما فكرت في أن كل ذكرى للحدث وكل ما شعرت به تجاه فتاة البيانو منذ ذلك الحين قد يكون خاطئًا.

تخلصت من الفكرة. ما فعلته ريسا بعد ذلك -أمام حشد من الأيتام الآخرين- أسوأ. لكن عندما مرت للتحدث إلى بروكلين اليوم، أظهر ذلك أن ريسا ناضجة بما يكفي لنسيان مشاجرات الطفولة. إن قرار بروكلين بعدم وضع ريسا في قائمة الحصاد يُظهر أنها نضجت أيضًا.

إنها تعلم أنها لا تستطيع الوصول إلى غرفة الكمبيوتر مبكرًا جدًّا، وإلا فإن المراقب سيشك في الأمر. من الأفضل الانتظار حتى رحيله. قررت بروكلين أنها ستذهب إلى ثور في غرفته وتخبره بقرارها، بدلًا من الانتظار، لكن في أثناء مرورها بالحمامات، سمعت نعومي تتحدث عن شجارهما الصغير الغبي.

أثار هذا غضب بروكلين، لكنها -لأول مرة- سيطرت على أعصابها. اعترفت بروكلين بأنها مخطئة، ورغم أن الاعتذار ليس من عاداتها أبدًا، فإنه قد يجلب لها في النهاية بعض الحظ الجيد. هذا إضافة إلى أن الاعتذار السريع لنعومي، قد يمنع المزيد من الانتقام وأي إجراء تأديبي قد يتبعه. لذا قررت ابتلاع كبريائها والاعتذار. ثم تسرع للبحث عن ثور.

تحركت نحو صف الفتيات اللاتي ينتظرن دورهن في منطقة الاستحمام المبلطة، حيث يتصاعد البخار من الدش كالضباب الساخن، تاركًا البلاط زلقًا. اقتربت بروكلين من نعومي، وقد فكرت فعلًا في صيغة اعتذار، وتدربت عليها في ذهنها، لكنها لم تصل إلى هناك قط، بل التقت فتاة أخرى في الصف.

- أوه، مرحبًا.

رفعت بروكلين رأسها. إنها ريسا.

قالت بروكلين: «مرحبًا»، ورغم أنها تعرف فعلًا، سألت: «كيف سار حفلك؟».

تجهمت ريسا، وأجابت: «مروعًا. آمل أن يمنحوا نقاطًا لأداء مقطوعة صعبة».

لم تستطع بروكلين أن تقول إنهم لم يفعلوا. يبدو أنها شعرت بعاطفة تجاه فتاة البيانو، كما قد يشعر منقذ حياة تجاه شخص أنقذه من الغرق. لكنها قالت: «ربما يفعلون».

تحركت ريسا إلى الحوض بجوار نعومي وفتحت علبة أدوات النظافة الخاصة بها. وعندما رأت العلامات المؤلمة على عنق نعومي، سألتها: «ماذا حدث لك؟».

سحبت نعومي ياقة قميصها وتمتمت: «لا شيء». الآن وقد أصبحت بروكلين هنا، لم تندفع بالحديث عن الأمر، وتمنت بروكلين أن تتجاهل ريسا الأمر، لكنها لم تفعل.

سحبت ريسا ياقة نعومي جانبًا برفق، قائلة: «لا، حقًّا. هذا يبدو سيئًا. يجب أن تزوري الممرضة»، ثم أضافت في خفوت: «أهي فعلة أحد الفتيان؟ يجب أن تبلغي عن ذلك».

ابتعدت نعومي في غضب وحدقت أخيرًا إلى بروكلين، قائلة: «لقد كادت تخنقني دون سبب. هذا ما حدث، لكن الممرضة ستضطر إلى الإبلاغ عن ذلك، ولا أريد أن أقع في مشكلة».

نظرت ريسا إلى بروكلين في دهشة. أدركت بروكلين أن الغرفة أصبحت هادئة باستثناء صوت مياه الاستحمام المتدفقة. جميع الفتيات يحدقن إليها.

سألتها ريسا: «لماذا؟».

تمتمت بروكلين: «لا يهم»، ثم نظرت نحو المدخل، على أمل الهرب، لكن هناك توجد الكثير من الفتيات اللاتي يسددن الطريق. كل ما تحتاج إليه هو دفعهن بعيدًا وإلقاء إحداهن على البلاط الزلق. سيقولن إنها فعلت ذلك عمدًا.

قالت نعومي: «اتهمتني بسرقة قميصها، لكنه كان خلف سلة الغسيل طوال الوقت».

نظرت ريسا بين نعومي وبروكلين ثم انفجرت ضاحكة، وهي تقول: «ليس مرة أخرى!».

شعرت بروكلين بحرارة تتدفق على وجهها، فقالت بسرعة: «دعانا ننهي الحديث عن هذا الأمر! لقد ارتكبت خطأً، اتفقنا؟».

وهنا سألت فتاة خلف بروكلين ريسا: «ماذا تقصدين بـ«مرة أخرى»؟».

نبض قلب بروكلين بقوة. لا يمكنها تحمل خزيها لو سمعت القصة بصوت مرتفع.

قالت ريسا بابتسامة لطيفة؛ ربما محسوبة بعض الشيء: «في طفولتنا، اعتقدت بروكلين أنني أخذت قميصها أيضًا. لقد دفعتني، فدفعتها إلى الخلف. ليس أمرًا كبيرًا».

شعرت بروكلين كأن النار تشتعل بها، وفكرت: «لا تخبريهن»، لكنها أدركت أنها تتحدث بلغة الإشارة. وهذا سيعود عليها بالكثير من الخير. أغلقت قبضتيها وأجبرتهما على الاسترخاء إلى جانبها.

ثم قالت فتاة أخرى ما لم تقله ريسا، عندما سألت تلك الأخيرة: «ألم تبصقي عليها؟».

شعرت بروكلين كأنما يوجد نمل يسير أسفل جلدها.

قالت الفتاة: «بلى، أتذكر ذلك. لقد ثبتتها على الأرض وبصقتِ على وجهها. إنه مشهد كلاسيكي لا ينسى».

أدارت ريسا رأسها، وقالت: «نعم. أعتقد أنني فعلت ذلك. ماذا يمكنني أن أقول؟ الأطفال يفعلون أشياء غبية».

وضحكت الفتيات الأخريات. ضحكات معدومة العقل والقلب كتغريدات الطيور. لكن ضحكاتهن ليست ما أثر على بروكلين. بل الابتسامة البطيئة التي ارتسمت على وجه ريسا. ابتسامة ساخرة. ابتسامة تقول: «كنتُ أفضل منك حينها، وأنا أفضل منك الآن، وسأظل دائمًا أعلى منك درجة، مستعدة لدعس وجهك. أو البصق عليه».

قالت ريسا: «لقد حدث ذلك منذ زمن طويل يا بروكس».

- نعم، صحيح، هذا ليس مهمًّا.

استدارت بروكلين لتغادر، دون أن تبالي هذه المرة بمن ستطيح به. رجتهن أن يفسحن لها طريق الخروج. لم يسقط أحد، لأن الفتيات فتحن لها طريقًا بينهن.

بعد دقائق، فتحت باب مختبر الكمبيوتر. وجدت ثور يجلس بمفرده أمام الكمبيوتر الرئيسي، ولا يوجد أحد في الأفق. أشارت الساعة على الحائط فوقه إلى الخامسة وإحدى وأربعين دقيقة.

أشار إليها ببساطة: «مَن؟».

كتبت بروكلين الاسم حتى لا يحدث أي لبس.

ريسا

***

في ذلك المساء بالملعب المزدحم، تناولت بروكلين وورد الآيس كريم وهي تقف بالقرب من لوجان، الذي ضحك على شيء يقوله كيب.

في أثناء تقديم الآيس كريم، خرج رسول من مكتب مدير المدرسة من المبنى ووزع ملاحظات على 21 يتيمًا.

فكرت بروكلين: «لو أنني أدير الأمور هنا، فسأنتظر على الأقل حتى ينتهوا من تناول الآيس كريم. لكن التعاطف لا وجود له في ملجأ الولاية».

وقف أحد الصبية الذين حصلوا على ملاحظة بالقرب منهم. إنه سامسون. تذكرت بروكلين أنه رقم اثنين في قائمة الحصاد. يُفترض أنه عبقري في الرياضيات، لكنه أيضًا معروف بعدم القدرة على إنجاز المهمات. العبقرية لا تخدم أحدًا إذا لم تخرج من نطاق التفكير إلى حيز التنفيذ.

سأله كيب: «ماذا لديك هناك؟».

- مدير المدرسة يريد رؤيتي.

وضع سامسون المذكرة في جيبه، وعاد إلى تناول الآيس كريم مرة أخرى.

سأله لوجان، وهو يحيط بروكلين بذراعه، دون اعتراض من جانبها: «ولِمَ يريد رؤيتك؟».

هز سامسون كتفيه، وقال: «ربما يريد أحدهم أن يتبناني».

ضحكوا جميعًا. مزح كيب قائلًا إن سامسون ربما فاز باليانصيب، ثم قدم الجميع أفكارًا حول كيفية إنفاق سامسون أرباحه.

ابتسم سامسون فحسب، وكخاسر مثالي، استمتع بلحظته النادرة في دائرة الضوء. لم تقل بروكلين شيئًا، وجالت نظراتها بين حشد الصبية.

بالقرب من مجموعة الأرجوحات، وقفت ريسا محاطة ببعض طلبة الفنون الآخرين. حدقت إلى المذكرة الموجودة بيدها، وقد نسيت قرطاس الآيس كريم، وتركته يقطر على يدها الأخرى.

اختفت الابتسامة السابقة من وجهها. سُرقَت منها. سترحل قريبًا، ولن يروي أحد قصة ما حدث في السابعة من عمرهما. لأن لا أحد يتحدث عن الصبية المحصودين.

انتقلت نظرة بروكلين من ريسا إلى حيث يجلس الصم تحت شجرة الملعب الوحيدة. التقت عيناها عيني ثور. غطت ساقه يده اليسرى فلم يرها الصم الآخرون، وأشار إليها: «هل كل شيء على ما يرام؟».

وبدلًا من الإشارة إليه، أومأت إليه برأسها بخفة.

اتكأت بروكلين على ذراع لوجان القوية، وتركت نظراتها تتنقل عبر الحشد. بعد تفكيك الواحد والعشرين مراهقًا، سيتركها تصنيفها في مرتبة المهددين بشدة بالحصاد. لا مشكلة، فأمامها ستة أشهر لتحسين تصنيفها. لا بد أن هذا سيغدو سهلًا، حال تعاملها مع ذلك الشخص المتعجرف الذي غير بندقيتها، وحال عثورها على بعض الخطايا المناسبة للابتزاز، التي يمكنها استخدامها ضد من يمكنه تأمين سلامتها.

أما بالنسبة إلى ريسا وورد، فستختفي، كأنها لم تولد قط، وهذه ليست خسارة كبيرة. ليس الأمر وكأنها ستغير العالم.

فيما تنظر بروكلين إلى الصبية في الفناء، تساءلت مَن ستضمه القائمة التالية. أو من قد تضعه هي فيها لإنقاذ نفسها. في عالم لا يملك فيه الصبية مثلها أي سلطة، من الجيد أن تعرف بوجود بعض الأشياء التي يمكنها التحكم فيها.

مَن الذي ستستبدله في المرة القادمة؟

***

انتهت القصة

ناجٍ

شارك في تأليف هذه القصة

جارود شُسترمان

1 - سبعة عشر

عندما خطا رولاند تاجارت على بساط المصارعة، شعر كأنه حيوان. إنه شيء يتعلق بالطريقة التي يُضَخ بها الأدرينالين في عروقه، واللسعة المريرة للمواد الكيميائية المنظفة التي تملأ أنفه، والطريقة التي يلتصق بها العرق البارد ببشرته بعد المباراة؛ إنه أمر محفز يشعره بالحيوية.

حدق رولاند إلى عيني خصمه بحثًا عن أي علامة على الخوف، لكنه لم يجد شيئًا، فقط احمرارًا عميقًا مع بقع أرجوانية؛ حقن الصبغيات موضة شائعة للطلبة هذه الأيام في مدرسة «كونتيننتال» الثانوية. وكأن تعصب مشجعي الرياضة في المدرسة ليس كافيًا. لطالما سخر رولاند من المتعصبين الذين يرسمون على وجوههم. اليوم، امتلأت مدرجات الصالة الرياضية بهؤلاء المشجعين، وهم يهتفون ويلوحون بالكرات الصغيرة، ويتردد صدى صراخهم في غلاف واقي أذنيه. وهو يعلم أن صوت والدته ليس من بينهم، ولا يعنيه ذلك. في الآونة الأخيرة، بدا أن النشاط اللامنهجي الوحيد الذي تهتم به هو الشجار مع زوجها الحالي.

أخبر الناس رولاند أنه قد تجاوز حدوده، عندما تحدى مصارعًا مؤهلًا لبطولة الولاية. من المؤكد أن هزيمة النجم زين دوربين تعني احتلال مكانه في الفريق، لكن بالنسبة إلى رولاند، فإن هذا يعني أكثر من ذلك بكثير. إنه يعني الاحترام.. والقوة.

انطلقت صافرة البداية، ومد زين يده لمصافحة رولاند قبل المباراة. لاحظ وشم سمكة القرش على ساعد رولاند الأيمن، فابتسم ساخرًا، وقال وهو يضحك: «يا لها من سمكة جميلة!».

احتفظ رولاند بهدوئه، وابتسم في ود، ممسكًا يد زين، وبدأت المباراة. تحرك رولاند أولًا وصارع، وفي النهاية اتخذ وضعية مميزة لحركته؛ إحاطة جسم المنافس والسيطرة عليه. استخدم كامل قوته للضغط على جذع زين، وضغط عموده الفقري، مما أجبره على الانحناء للخلف والانهيار على الحصيرة. انقض رولاند عليه وثبته. لكن رغم قوة عضلات رولاند، اندفع خصمه إلى الأمام، وتحرر من قبضته، متجنبًا ما بدا فوزًا مؤكدًا.

سب رولاند نفسه؛ ليس فقط لأنه سمح لزين بالهرب، لكن لأنه فقد السيطرة. تخلص من لوم الذات، وعاد إلى وضعه، وبدأ يدور منهجيًّا. خطا رولاند إلى اليسار، مما أجبر زين على تحويل وزنه إلى اليمين. تحرك رولاند بإيقاع محسوب للغاية يكاد يتسبب في تنويم الخصم مغناطيسيًّا، وشعر بأنه يكتسب السيطرة على المباراة. خفض رولاند مركز ثقله فجأة في حركة واحدة، وهجم على زين، لكن خصمه انزلق بسهولة، وتعثر رولاند على الأرض. بدا كما لو أن كل ذرة طاقة يبذلها رولاند، تُكسب زين قوة، والآن يرقص زين حوله، ويسخر منه.

رأى المرح في نظرة زين، وتذكر نظرة زوج أمه إليه بعد شجار كبير مع والدته. وقتها بكت على أرضية المطبخ الباردة، ثم وجد رولاند وزوج الأم نفسيهما وجهًا لوجه في المدخل، ونظر زوج أمه إليه بالبريق نفسه المريض المستمتع في عينيه، الذي يصرخ: «أنت في قبضة يدي، ولا يوجد ما يمكنك فعله حيال ذلك».

بحلول هذا الوقت، شعر رولاند برنين في أذنيه. زأر الجمهور من المدرجات، أو ربما هو صوت الدم المتدفق في رأسه فحسب، لأنه في غضون ثوانٍ شعر بموجة لا يمكن السيطرة عليها من العاطفة تتدفق في كيانه. إنها القوة نفسها التي لا توصف التي جعلت يديه تتحولان إلى قبضتين مغلقتين. وهذا جعله يحافظ على التواصل البصري لثانية أطول مما ينبغي، وأغراه بالمواجهة، وهو شعور يعرفه جيدًا.

اندفع رولاند إلى الأمام بقوة، وعدوانية أكبر من أي وقت مضى. لكن زين ظل هادئًا وفي حركة رشيقة واحدة، انحنى إلى اليمين، وشبك ذراعيه أسفل ذراعي رولاند. مال زين إلى الخلف، مستخدمًا قوة رولاند ضده. بمجرد أن شعر رولاند بارتفاع قدميه عن الحصيرة، عرف بالضبط ما سيأتي بعد ذلك، وهو عاجز عن إيقافه. حتى قبل أن يسقط على الحصيرة، عرف أن هذه المباراة انتهت.

وعاد بذاكرته إلى وقت ما في طفولته، حيث وقف على حافة جسر وسط الماء، في تلك اللحظة العاطفية الهشة قبل القفز مباشرة. ذكرى النظر إلى الأسفل، عاجزًا ويائسًا. ليس بسبب مدى سقوطه، لكن لأنه يعرف بالضبط ما سيحدث في اللحظة التي يصطدم فيها بالماء.

***

2 - ثمانية

هذا هو اليوم الذي سيصبح فيه رولاند «رجلًا بحق»، أو على الأقل هذا ما قاله له زوج والدته وهو ينظر إلى الأفق. من المؤكد أن الكثير من الأطفال في سنه يقفزون من الجسر، لكن المرتفعات ليست بالضبط من نقاط قوة رولاند في سن الثامنة. انتقلت جدة رولاند إلى جنوب كاليفورنيا بعد التقاعد، مما شكل عذرًا جيدًا للهرب من حر الصيف في إنديانابوليس إلى حر ألطف وأخف وطأة، وكان يوم على الشاطئ هو السبيل الوحيد لرولاند وأخته الصغرى للهروب من والديهما وإدمانهما الكحول. من المؤسف بالنسبة إلى رولاند أن زوج والدته دائمًا يبتكر أكثر أنشطة «بناء الشخصية» إبداعًا وهو مخمور، والآن يجد رولاند نفسه على حافة رجولته المفترضة، أي جسر سان كليمنتي. إن زوج أم رولاند دائمًا من النوع الذي يلقي بك في المياه العميقة، ومع ذلك، فإن هذا يضفي معنى جديدًا تمامًا على العبارة.

رفع رولاند فوق السور، ووضعه على الحافة الرفيعة على الجانب الآخر، قائلًا في تلعثم: «انظر. الجميع يفعلون ذلك»، وفشل في رؤية أن مثل هذه القيم تتعارض مع قيم الوالدين جميعًا في تاريخ الأبوة والأمومة.

يُعرَف عن زوج أمه أنه سريع الانفعال، وشمَّ رولاند أكثر من مجرد رائحة البيرة في أنفاسه.

قال زوج الأم وهو يمسك بمؤخرة عنق رولاند، مما زاد من توتر ذلك الأخير: «إذا قفزت، فسأقفز أيضًا. ماذا عن ذلك؟ أعدك».

ظل رولاند قابضًا بإحكام على السور المتشقق، مرعوبًا.

أمره الرجل: «افعلها»، وغرز أظفاره بقوة في ذراع رولاند، فبدأ الألم، وبدأ رولاند يبكي. التقط النسيم دموعه، وتمنى رولاند أن تجرف الرياح خوفه معها -ربما إلى مكان آخر تمامًا- لكن قبضة زوج والدته أبقته عالقًا في الواقع. لاحظ الآخرون المشهد، مما أدى فقط إلى تأجيج غضب زوج الأم، لذلك حاول انتزاع أصابع رولاند من السور، فتحولت صيحات الصغير بسرعة إلى صراخ.

زفر في أذن رولاند، قائلًا: «أنا والدك. عليك أن تثق بي».

لكن رولاند لا يثق به، ويعلم أن هذا الرجل ليس والده حقًّا، لذلك لف ذراعيه حول السور، متشبثًا بكل ما أوتي من قوة، لكن زوج أمه أقوى بكثير. جذب رولاند ورفعه وألقاه في الماء.

السقوط المرعب. لدغة قصيرة. اعتقاد راسخ بأنه سيواصل الغرق. لكن بعد ذلك، ظهر رولاند على سطح الماء، ولهث بحثًا عن الهواء. ذكَّر نفسه بأنه يستطيع السباحة. وأكد أنه ما زال حيًّا. شق الماء البارد بأفضل ما يمكنه وانتظر الرذاذ المتناثر الذي سيبشره بوصول زوج أمه إلى الماء. «سأقفز أيضًا»؛ هذا ما وعد به. لكن الرذاذ الذي سيخبره بذلك لم يحدث. وعندما نظر رولاند إلى الأعلى فحسب، أدرك السبب؛ وجد زوج والدته متجمدًا على حافة السور، وما زال يحاول بوضوح استجماع شجاعته للقفز. مال إلى الأمام وكأنه يتحدى نفسه، لكن يبدو أنه قد وقع تحت سيطرة خوف لم يستطع التغلب عليه. لم يقفز خلف رولاند كما وعد. لم يفعل، ولن يفعل أبدًا.

***

3 - سبعة عشر

في العام الماضي، اقترح مستشار توجيه السلوك على رولاند أن يوجه طاقته إلى شيء يبني الشخصية، بدلًا من لكم الجميع لإخضاعهم. لذا، أصبح بإمكانه الآن لكم من يدعي معرفة كل شيء من طلبة الصف الثالث، وإذا فعل ذلك بقدر كافٍ من الإقناع، فقد يُكسبه ذلك درجة الامتياز. لقد مر ما يقرب من أسبوعين منذ تحديات المدرسة، وهي مدة كافية لكي ينسى الجميع خسارة رولاند أمام زين؛ الجميع، ما عدا رولاند. رغم أن التدريب مع فريق المدرسة كل يوم يذكره دائمًا بفشله، فإن رولاند لا يسمح له بالتأثير عليه. إنه يعلم في أعماقه أنه ينتظر الوقت المناسب فحسب، وينتظر اللحظة المناسبة لاتخاذ خطوته التالية.

يتمتع رولاند بشعبية في المدرسة، ليس لأنه محبوب بشكل خاص، لكن لأن لا أحد لديه الشجاعة لإخباره بخلاف ذلك. إن رولاند ومجموعته من الأصدقاء -الذين يبلغ عددهم عشرة تقريبًا- يقضون أوقاتهم في المكان الذي يحبون أن يطلقوا عليه اسم «التل»، وهو اسم غير ذكي لرقعة كبيرة مرتفعة من العشب تقع في وسط المدرسة. والفتيان الذين يختلط بهم من النوع المثير للمشاكل، حيث تحمر أعينهم بسبب حقن الصبغيات وتبدو أجسادهم كتقاطع طرق حضري. وكأن مظهرهم الأقل إنسانية قد يمنع تفكيكهم. ويسخر الناس قائلين إن رجال شرطة الأحداث عندما يحتاجون إلى حصة من المفككين، يأتون إلى «التل» ويختارون من بين أولئك الفتيان. والنكات من هذا القبيل لا تزعج

رولاند حقًّا، فحتى لو أنها حقيقية، يعلم أنه سيصبح آخر من يرحل. إن رولاند لم يعد يتورط في المشاجرات. فلماذا يفعل ذلك عندما يحظى بأشخاص مستعدين وراغبين في تنفيذ أعماله القذرة نيابة عنه؟ وفي نظر جميع الصبية، يعتبر رولاند زعيم المجموعة. وهو يحظى بالاحترام لأنه عادل، وفوق كل شيء، ذكي إلى حدٍّ خطِر، والجميع يعلم ذلك. لقد رأى رولاند زين من الجانب الآخر من الساحة، وهو يرتدي سترة فريق المدرسة، المرصعة بالكامل بملصقات تزهو بكل إنجازاته على الأرض. إنه رياضي أمريكي، وطالب متفوق، وقائد فريق المناظرة، وربما الصبي الأكثر شعبية في المدرسة. حتى أنه فاز بلقب ملك العودة إلى الوطن هذا العام، كما لو أن رولاند يهتم حقًّا بهذا النوع من الأشياء!

لقد وضع رولاند زين نصب عينيه بالتأكيد منذ يوم المباراة، لكن اليوم مختلف، لأن زين بدا متوترًا؛ ضعيفًا. لم يدرك رولاند إلا عندما اقترب منه أن السبب هو شجار زين مع حبيبته -فاليري ميلز- وهي فتاة واعدها رولاند منذ عامين. راقب زين وهو يسير جيئة وذهابًا، ويشير بإصبع الاتهام إليها. في النهاية، غادرت فاليري، وعيناها دامعتان وملطختان بالسواد بسبب الماسكارا.

بالنسبة إلى بقية المدرسة، قد يتحول هذا الشجار الصغير إلى ثرثرة في الحصة الخامسة، لكن بالنسبة إلى رولاند، فهذا يعني أكثر من ذلك بكثير. يعني الفرصة، ليس للانتقام، بل لأخذ ما يخصه. راقب رولاند من أعلى التل بعينين لامعتين، لأنه أصبح يعرف الآن بالضبط ما يجب عليه فعله.

***

4 - أحد عشر

من المفترض أن الإنسان مجموع جيناته وبيئته، ومع ذلك، شعر رولاند بأنه عبد لبيئته الأم ومنفصل عن نصف كيانه البيولوجي على الأقل، لأنه لم يقابل والده الحقيقي قط. بالنسبة إلى رولاند، بدت معادلة حياته بعيدة كل البعد عن التوازن، رغم أن عائلته قد تبدو متوازنة نسبيًّا في نظر بقية العالم.

رغم أن رولاند يكره أن يرتكب الناس خطأً بريئًا، عندما يعتقدون أن زوج أمه هو والده البيولوجي، فإن جزءًا منه يحب التظاهر بأنه كذلك. لكن جزءًا آخر يلعن الجزء الذي يتظاهر.

إنه فصل الصيف؛ جاءت عائلة تاجارت إلى كاليفورنيا مرة أخرى، وساءت الأمور أكثر. هذا الصيف، أجبر زوج الأم رولاند وأخته على البقاء بملابسهما على الشاطئ. يمكن دائمًا التغاضي عن بعض الندوب المنتفخة، لكن في هذه المرحلة لم يستطع رولاند حتى إخفاء الندوب.

الآن أكثر من أي وقت مضى، وجد رولاند وأخته نفسيهما خارج المنزل. واليوم شيء ما يعيد رولاند إلى الجسر. أدرك رولاند أنه لم يعد إلى هذا المكان منذ اليوم الذي ألقاه فيه زوج أمه في الماء في الصيف منذ ثلاث سنوات. ما زال يتذكر المكان المحدد الذي حدث فيه ذلك. الغريب في الأمر هو أنه بالكاد يستطيع إلقاء نظرة من الحافة؛ لقد ازداد رعبه من المرتفعات منذ ذلك الحين. لم يتحدث رولاند وزوج أمه عن

ذلك اليوم مرة أخرى. في الواقع، لم يخبر أحدًا عنه قط، لكنه يطارده. يكفي أنه استُدرِج إلى هنا مرة أخرى. هذه المرة مع أخته.

التفت رولاند إليها، قائلًا: «أتحداكِ أن تقفزي».

هزت رأسها رافضة، وتراجعت إلى الخلف، مبتعدة عنه.

- هيا، كل الصبية الآخرين يفعلون ذلك.

- المسافة بعيدة جدًّا. وأنا لا أجيد السباحة.

نظر رولاند بعمق إلى عينيها، قائلًا: «سأتبعك. أعدُكِ».

حاولت أخته التراجع، لكن رولاند أكبر منها ببضع سنوات وأقوى بكثير. صرخت عندما أمسك بها، لكن لا أحد قريب بما يكفي لمنعه.

- لن تجدي الأمر سيئًا للغاية؛ سترين.

ثم رفعها وألقاها بحركة سلسة واحدة من الحافة. ثم قبل حتى أن يسمعها تصطدم بالمياه، أغلق عينيه، وجمع كل ذرة شجاعة لديه، وقفز، كما وعدها.

ظهر على سطح الماء بجوارها مباشرة، فتعلقت بعنقه، وعانقته بكل ما أوتيت من قوة، فقال لها: «أرأيتِ؟ الأمر ليس مؤلمًا، أليس كذلك؟».

ساعد رولاند أخته في الوصول إلى الشاطئ. ورغم أن والدته -التي رأت المشهد- فقدت صوابها، ورغم أن زوج أمه أعطاه جرعة مضاعفة من ضربات الحزام ليلقي أخته من الحافة نفسها، فإن كل شيء على ما يرام، لأن رولاند احتاج إلى معرفة من هو، لكن الأهم، معرفة ما ليس من شِيمه. لقد قفز. لقد أوفى بوعده. وللمرة الأولى، أصبحت كل ضربة أقل إيلامًا من سابقتها.

***

5 - سبعة عشر

لم يصعب على رولاند العثور على سيارة فاليري في وقت لاحق من ذلك المساء، فقد ميزت صداداتها ملصقات جديدة تحمل شعارات متمردة تدمي القلوب؛ مواطنون استباقيون ضد التفكيك، وتحالف الاكتمال، وما شابه ذلك. راقب رولاند السيارات المصطفة في مرأب المدرسة، فيما تودع فاليري صديقاتها بعد تمرين التشجيع. شق رولاند طريقه نحوها، متواريًا عن الأنظار خلف سيارات الدفع الرباعي والشاحنات الصغيرة. قفزت فاليري داخل سيارتها وأغلقت الباب، لكن قبل أن يُغلَق، أوقفه رولاند. رآها تنظر إلى ذراعه التي تمسك الباب. رأت وشم سمكة قرش النمر حتى قبل أن تراه، فعرفت بالضبط من هو.

فتح رولاند باب السيارة برفق ونظر إليها، قائلًا: «مرحبًا يا فاليري. سمعتُ أنكِ مررتِ بيوم عصيب».

تأخر ردها قليلًا بسبب تأثير المفاجأة. هذا جيد، لأنه يمنحه تفوقًا عليها.

- ماذا تفعل هنا؟

وبدلًا من إجابة سؤالها فورًا، تقدم رولاند إلى الأمام، وركع على إحدى ركبتيه قبالتها، قائلًا: «لقد رأيتك تبكين اليوم، وأردت فقط التأكد أن كل شيء على ما يرام».

أمسك يدها وابتسم، كاشفًا عن أسنانه. ابتعدت فاليري في انزعاج، فشعر رولاند أنه يسيطر على الموقف فعلًا. لذلك أدى حركته المحسوبة التالية، وقال: «لا أعرف.. شعرت برغبة في حمايتك. لا أعرف ماذا يعني ذلك».

لقد واعد رولاند فاليري لمدة تكفي لأن يعرف أن الأمر سيستلزم أكثر من الحديث المعسول للفوز بهذه اللعبة، وكما هو متوقع، حافظت الفتاة على هدوئها، وقالت: «هذا لا يعني شيئًا. لقد انفصلتَ عني. أم إنك نسيت ذلك؟».

قد يثير تعليقها بعض المشاعر إذا سمح رولاند بذلك، لكنه لم يفعل. تجاهل كلماتها، واقترب من أذنها، مما جعل صوته متهدجًا. إنه يعرف أنها تشعر بالدفء في أذنها عندما يتحدث، تشعر بشحنة العاطفة في صوته، وهو يقول: «أفتقد الكثير.. أفتقد تقبيلك. أفتقد الشعور بذلك».

حركت كتفيها في انزعاج، لكنها لم تمنعه. لذا لمس وجنتها برفق، مضيفًا: «هل من الجنون أن أرغب في ذلك مرة أخرى؟».

لقد وضع فاليري في المكان الذي يريدها فيه تمامًا؛ عالقة في تأثيره، منومة مغناطيسيًّا بتظاهره بالضعف. حرك يده على عنقها وأمسك شعرها من الخلف ببدائية شديدة. هنا، استفاقت وعادت إلى رشدها، لتدفع يده بعيدًا، فتركها مؤقتًا.

- أنا آسفة يا رولاند. إنني مع زين الآن، وهذا لن يتغير، بغض النظر عما تعتقد.

أمسكت مقبض الباب لإغلاقه، لكن رولاند فتحه.

- وكم حبيبًا يلزمك لاستبدال جميع أجزاء الحبيب الذي تركته يُفكك؟

إنها ضربة قذرة، لكنها ضرورية. لا أحد يتحدث عن الأمر، على الأقل ليس لفاليري، لكن الجميع يعلم. إنه يقصد الخاسر غير المحظوظ الذي اختارته بين رولاند وزين. ما اسمه؟ لم يستطع رولاند أن يتذكر. هكذا ينتهي الأمر بالمفككين. وبقدر ما يجب أن تكرهه فاليري الآن، عرف رولاند أنها لن تنظر إلى عينيه. لأنه في أعماقه يدرك أنها لن تعرف أبدًا إجابة هذا السؤال، أو هل لعبت دورًا حقيقيًّا في قرار والدي ذلك الصبي بتوقيع أمر التفكيك. هذا هو الزر الدقيق الذي انتظر رولاند الضغط عليه، لتفجير الموقف بأكمله. وانفجرت فاليري فعلًا، وأخذت تقاتل بكل كيانها لإغلاق باب السيارة، لكن رولاند لم يسمح لها بذلك.

صرخت: «اذهب إلى الجحيم!».

لكن رولاند لم ينتهِ بعد. وضع يده خلف رأسها، وشفتيه على شفتيها، وأجبرها على تقبيله. قاومت، لكنه أقوى منها بكثير. حاولت أن تضربه بقوة، لكن هذا لم يجدِ نفعًا، وفيما تلتصق شفاههما، غرزت أسنانها في شفته السفلى، وعضتها. حاول أن يسحبها بعيدًا، لكنها لم تتركه؛ ليس قبل أن تؤلمه حقًّا. ليس قبل أن تسيل من شفته كمية كافية من الدماء.

أخيرًا، دفعها رولاند بعيدًا وهو يئن. مسح الدم من فمه واستمتع باللحظة، مبتسمًا لها ابتسامة دامية، وهو يقول: «أتعلمين؟ الأمر ليس جيدًا كما أتذكره».

أغلقت فاليري الباب بقوة، وشغلت المحرك، وانطلقت مبتعدة بسيارتها.

زفر رولاند منتعشًا، وبدأت شفته السفلى تنتفخ. نظر حوله، ولاحظ أن بعض زملاء فاليري في الفريق رأوا الأمر برمته -ثلاثة على وجه التحديد- فابتسم لنفسه، لأن في نظره، هذا هو العدد الصحيح من الشهود.

***

6 - ثلاثة عشر

لا يُحسَب حجم موجة المحيط من خلال واجهتها، وإنما بعمق المنحنى في ظهرها، مما يوهم الناظر بأنها أكبر بكثير من حجمها الفعلي. لكن في الوقت الحالي، بالنسبة إلى رولاند، لا يمكن قياس الموجة التي تتضخم أمامه بالأقدام أو البوصات، وإنما بازدياد الخوف.

لم يعد يخشى المرتفعات، ولم يعد يخشى القفز من الجسر. لقد تغلب على ذلك. الآن انتقل إلى تحديات أكبر. سحب رولاند لوح تزلجه إلى صدره، واتخذ قرارًا في جزء من الثانية وغاص تحت الماء، مستعدًّا للاصطدام. غاص تحت الماء ثم خرج بعد لحظة. لم يجد الأمر سيئًا كما تصور. ليس سيئًا كما يمكن أن يكون، فشعر بالارتياح. قاس رولاند الموجة التالية؛ إنها مخيفة، لكنه سينجو منها أيضًا. جدار الماء المتلاطم جميل حتى في طبيعته الوحشية؛ الطريقة التي تتوهج بها الشمس الغاربة على سطح الماء؛ الطريقة التي ترقص بها الومضات بطول قمتها الرغوية.

كان ينبغي لرولاند أن يعرف أن عاصفة قادمة. العلامات واضحة، لكنه من جهة أخرى، اتسم بالعناد الشديد، لدرجة منعته من التراجع عن قرار اتخذه. إن هذا هو اليوم الذي سيركب فيه لوح التزلج على الأمواج الكبيرة. ونظرًا إلى انطلاق مباراة صراخ أخرى بين والدته وزوجها، فقد عرف رولاند أنه لا يوجد سوى مكان واحد يمكنه الذهاب إليه لإخراج عدوانيته: البحر.

- ها هي موجة أخرى قادمة!

هكذا صرخت أخته من أعلى الجسر، وكأنها منقذته الشخصية، رغم أن قفزها في الماء أمر غير وارد. لقد فعلت ذلك مرة واحدة فقط. ولم تقفز بالضبط. ركز رولاند على الموجة التالية. إنها أكبر من غيرها. فكر: «ربما يبلغ ارتفاعها عشرة أقدام». استعد لمواجهتها، فسحبه مد المحيط إلى أسفل وضربه كما لو أنه دمية ممزقة. طار لوح التزلج، وشعر به يسحب الحبل المطاطي حول معصمه. بحلول الوقت الذي وصل فيه إلى سطح الماء، سمع رنينًا في أذنيه؛ صرخة حادة تتصاعد إلى ما يبدو كصرخات بعيدة، ولم يدرك رولاند أنها قادمة من أخته إلا عندما نظر إلى الأعلى. وجدها تشير في حماس إلى الماء. شعر رولاند بطفرة من الأدرينالين. سحب لوح التزلج إليه وركز انتباهه على الماء، لكن الشمس أعمته مؤقتًا، بسبب انكسار الضوء من خلال سطح الماء مثل منشور زجاجي. أصابه الذعر، وحاول تقييم محيطه، وتفسير سبب هستيريا أخته، لكنه لم يدرك ذلك إلا عندما شعر بشيء ضخم يمس ساقه في أثناء مروره بجوارها...

***

7 - سبعة عشر

تشغل المصارعة دائمًا الفترة الأولى من اليوم، ويعلم رولاند أن زين سيكون هناك. كما يعلم أن الشائعات تنتشر بمعدل هائل. لذا حرص على الحضور إلى التدريب متأخرًا عشر دقائق، بعد وصول المصارعين كلهم فعلًا، في بيئة خاضعة للرقابة حيث يشاهد الجميع.

فتح رولاند باب صالة الألعاب الرياضية وفحص الغرفة. صفوف من المصارعين يتمددون على الحصائر، كالمعتاد. سار بعناية، وفحص وجوه كل زملائه في الفريق؛ ومع ذلك، لم يجد وجه زين بينهم، وعندها فقط أدرك أن المدربين أيضًا غير موجودين.

دون سابق إنذار، اندفع أحدهم إلى جانب رولاند، ودفعه ليسقط على الحصيرة. لم يحتج رولاند إلى النظر إلى أعلى لمعرفة الفاعل.

وقف زين فوقه، وعيناه الحمراوان أكثر شراسة من أي وقت مضى، وزأر قائلًا: «ابتعد عن فاليري».

قفز رولاند انعكاسيًّا على قدميه، ليجد وجه زين قبالته. أغلق قبضتيه، ممتلئًا بالغضب، لكن الأمر بدا مألوفًا للغاية، وذكَّره بآخر مرة التقت فيها أعينهما. الوقت الذي سمح فيه رولاند لمشاعره باستهلاكه. الوقت الذي رُفِعَ فيه عن الأرض وأُلقيَ على ظهره. لذلك قرر هذه المرة أن يسيطر على أعصابه. بدلًا من التلويح بقبضتيه، أجبرهما أن يسترخيا، ورد بهدوء: «لا أعرف ما الذي تتحدث عنه».

بدا واضحًا أن هذا ليس رد الفعل الذي بحث عنه زين، لأنه دفع رولاند بقوة أكبر وزأر مجددًا: «لا تكذب عليَّ».

تقدم رولاند مرة أخرى، رافضًا التراجع. إنه يعلم أن القتال هو بالضبط ما يريد زين أن يدفعه إليه؛ إنه بالضبط ما يتوقعه منه. وبعد فترة وجيزة، تجمع زملاؤهما في الفريق حولهما، وطوقوهما، دافعين الموقف نحو التصعيد. تكيف رولاند مع ذلك وتلاعب بالحشد.

هز رأسه بإقناع، قائلًا: «ما الذي تتحدث عنه بحق الجحيم؟».

بعد أن وصل إلى قمة الغضب، لم يصدق زين تمثيل رولاند. أطاح بقبضته اليمنى، لتصطدم بفك رولاند، وقبل أن يتمكن هذا الأخير من الرد، سارع زملاؤه في الفريق إلى التدخل لفض الاشتباك.

قاومهم زين، دون أن يرفع عينيه عن رولاند، وصاح: «اذهب لتتفكك».

اتجه المصارعون إلى رولاند لمنعه من رد الهجوم، لكنه ظل هادئًا، ولم يقاوم، بل ابتسم، متجاهلًا كلمات زين، ولمس فمه بأصابعه، متذوقًا الدماء، وكأنه مفتون.

دخل المدرب برات من بوابة الصالة الرياضية، واتجه إلى منتصف الحلبة، وهو يسأل: «ماذا يحدث هنا؟».

تلعثم زين، لأن غضبه الشديد منعه من صياغة جملة متماسكة. لذا قرر رولاند التحدث نيابة عنه، قائلًا بهدوء: «لقد تصارعنا». ألجمت الدهشة الشديدة زين، فواصل رولاند: «تصارعنا، وخرجت الأمور عن السيطرة».

نظر المدرب إلى شفتي رولاند المتورمتين، وعاد إلى زين، الذي ما زال يغلق قبضته: «يجب أن أُجلِسك على مقاعد البدلاء حتى البطولة القادمة».

لكن رولاند دافع عنه، قائلًا للمدرب: «لا، لا داعي لذلك. كل شيء على ما يرام. إنه سوء تفاهم فحسب».

عاد المدرب برات يوجه حديثه إلى زين: «هل هذا صحيح؟».

أومأ زين برأسه. ليس لديه خيار حقًّا. ورغم أن برات لا يصدق القصة تمامًا، فإن التفسير كفاه للتغاضي عن معركتهما. من المعتاد أن تحدث مشاجرات كهذه على الحلبة.

وكأن شيئًا لم يحدث، اتجه رولاند بهدوء إلى منتصف الحلبة وبدأ تمارين التمدد، لأن رغم أن الأمور لم تسر كما خطط لها تمامًا، فإنه يعلم أن هذه هي الجولة الأولى فحسب. من المؤكد أن معظم الناس يحبون تشجيع القوي، لكن من طبيعة البشر أن يقفوا إلى جانب الضحية. لذا ابتسم، كاشفًا عن ابتسامة ملطخة بالدماء، لأن هذه لعبته، والآن أحكم سيطرته عليها تمامًا.

***

8 - ثلاثة عشر

بحث رولاند في الماء مرعوبًا. بالنسبة إليه، كل ظل مظلم هو كائن سيفترسه فورًا؛ كل رذاذ يبدو كوحش مفترس. حاول إقناع نفسه بأنها سمكة، أو ربما حتى فقمة. من ناحية أخرى، لم تكن أخته لتصرخ لو أن هذا كل ما في الأمر. ضرب رولاند الماء بذراعيه، سابحًا بعنف، وجسده مشدود إلى لوح تزلجه، وأخذ يقاوم تيار المد، الذي سحبه بعيدًا جدًّا. تضخمت السحب الداكنة في الأعلى، وازداد الرصيف ضبابية في المسافة. قرر أن أفضل فرصة له للبقاء حيًّا هي تغيير الاتجاه والسباحة مع التيار، نحو المنحدرات الصخرية المجاورة. لكن قوته نفدت فعلًا، وازدادت ذراعاه ثقلًا مع كل ضربة يوجهها إلى الماء. ورغم تحركه مع التيار، فإنه كلما سبح، شعر أنه أبعد عن الأرض.

أيًّا كان الشيء الذي احتك به، فقد ذهب. لا بد أنه ذهب. البحر هو المفترس الوحيد الآن.

شعر رولاند بظل موجة تبدأ في الالتفاف فوق رأسه. أغلق عينيه فجأة وتمسك بلوحه بقوة، وترك البحر يلتهمه. تخبط في بطن المحيط حتى تقيأه على السطح مرة أخرى.

استعد رولاند للموجة التالية، لكنها لم تأتِ قط، بل سمع فحسب رنين الصمت. ارتجف جسده، وهو ما زال في طور انحسار اندفاع الأدرينالين القبيح. وعندما فتح عينيه أخيرًا، وجد كل شيء ساكنًا. استغرق لحظة لالتقاط أنفاسه وتأمل محيطه. إنه وحيد. الأجواء شبه

مظلمة. لم يعد الجسر ظاهرًا في الأفق. كل مكان ينظر إليه ضبابي وأزرق، كأنه محاصر في اللانهاية حيث يلتقي المحيط السماء.

صرخ رولاند، لكنه الماء سحبه بعيدًا للغاية، فلم يسمعه أحد. حاول السباحة، لكن ذراعيه ضعفتا، وشعر كأن الماء قد أصبح هلامًا لزجًا. لذلك بكى، لكن البحر الجاحد ابتلع دموعه فحسب.

وفجأة، اصطدم شيء ما بقاع لوح تزلجه.

تسارعت دقات قلب رولاند، وبدأ تنفسه يضطرب. شعر بنبض في الماء تحته. تموجات تزداد شدة. تضخم الضغط حتى انفجرت قوة ما بشدة إلى أعلى، فدفعت رولاند في الهواء، وانتزعته من لوحه.

***

9 - سبعة عشر

راقب رولاند زين من كثب طوال التدريب، ولم ينفذ خطوته التالية إلا في آخر استراحة لتناول المياه. لاحظ رولاند أن فاليري تجلس في المدرجات مع عدد قليل من الأصدقاء، في انتظار انتهاء تدريب زين. الآن هو الوقت المثالي للاقتراب. رأى زين في الجهة المقابلة من الغرفة، بعيدًا عن الحصيرة على الأرضية الخشبية الصلبة، فتنقل متجاوزًا بحرًا من المصارعين، حتى استقر عنده.

رفع زين رأسه من زجاجة المياه، وقال ساخرًا: «ماذا تريد؟».

بدا رولاند واثقًا من نفسه ومتماسكًا، وهو يجيب: «أريد تسوية هذا الأمر».

سخر منه زين: «أتريد كدمة سوداء أسفل عينك الآن؟».

قرر رولاند إنهاء الأمر مباشرة، فقال: «لا، أريد أن أحسم الأمر مثل الرجال. على الحلبة. أريد مباراة إعادة».

قال زين في غطرسة: «لقد هزمتك فعلًا»، وأدار ظهره، فوخزته الأرضية الصلبة.

- لو فزتَ، سأتركها وشأنها.

لفت هذا انتباه زين، فصمت لحظة، ثم صاح هادرًا: «ستبتعد عنها في جميع الأحوال».

عرف رولاند أن كل الأعين ترصدهما، لذا خاض مجازفة محسوبة أخرى، قائلًا: «وماذا سيحدث لو لم أفعل؟».

توهجت عينا زين غضبًا، واستدار مرة أخرى، فابتسم رولاند، قائلًا: «الآن نتحدث».

علم رولاند أن زين يريد إظهار قوته، وبخاصة في وجود فاليري بالمدرجات. ومع ذلك، نظر زين إلى محيطه وأدرك أنه محاصر، وغير قادر على بدء قتال آخر أمام الجميع، فهز رأسه، غير مصدق، وقال: «لا أفهمك يا تاجارت. ما الذي ستجنيه من هذا كله؟».

قال رولاند: «إذا فزتُ، سأحتل مكانك في الفريق».

ضحك زين بتفاخر مصطنع، لكن رولاند عرف في نهاية اليوم أنه لا يستطيع التراجع عن التحدي، وبخاصة لأن فاليري تشاهد. لذا ابتلع زين الطُّعم وارتدى غطاء الرأس، قائلًا: «هل أنت مستعد لتلقي الإهانة مرة أخرى؟».

أظهر رولاند أسنانه، ومنحه ابتسامة دموية، ثم بدأ يدور في وضع المصارعة، مستعدًّا للهجوم في أي لحظة، والاقتراب من فريسته.

***

10 - ثلاثة عشر

لقد أخطأه القرش في الهجوم الأول، لكن فقط لأنه أطبق أسنانه على حافة لوح التزلج، فقضم قطعة منه. والآن ها هو يدور حوله، وزعانفه الفولاذية تشق الماء في المسافة بينهما. اقترب رولاند أكثر فأكثر من المنحدرات الصخرية. تشبث بما تبقى من لوح التزلج وركل الماء، وساقه تنزف، بعد أن جرحها الوحش. فكر في أخته، وتساءل هل وجدت مساعدة في مواجهة زوج أمهما -الذي ربما ضرب رأس والدته بالحائط الآن- وفي مواجهة صراخه، الذي اجتاحته الرياح وأكلته.

عندما وصل رولاند أخيرًا إلى المنحدرات الصخرية، شعر بألم في صدره. بحث في لهفة على طول الجدار الحجري عن أخاديد قد تساعده في التسلق، لكنه وجد المنحدر شديد الانحدار ولزجًا، ولا يوفر سوى القليل مما يمكن الإمساك به. تمكن رولاند من الوقوف على لوحه ورفع نفسه إلى أعلى، لكن موجة جرفته عن سطح الصخرة الزلق، وعاد إلى الماء.

الوحش قادم نحوه. إنه يشعر به، وسبَّب هذا الإحساس تقلصات في معدته.

تموجت الكتلة المظلمة خلسة في الماء، وبدت مرعبة في صمتها.

خمش رولاند الجدار الصخري الزلق، فجُرِحَت أصابعه ونزفت. أطبق الوحش المفترس فكيه، ممزقًا بقية لوح التزلج، وتركه أشلاء متناثرة.

أغمض رولاند عينيه، متمنيًا لو أن هذا كله مجرد حلم سيفتح عينيه ويستيقظ منه آمنًا ودافئًا في فراشه، لكن الواقع صدمه بسرعة.

عاد القرش مرة أخرى، واحتك بجانبه.

حاول رولاند تسلق الصخور مرة أخرى، وحفر بأصابعه المجروحة في الصخر الزلق. وهذه المرة رفع نفسه، وكاد يخرج من الماء.

اقترب القرش مرة أخيرة، أسرع من ذي قبل. أمسك رولاند الصخرة البارزة التالية وجذبها بقوة أكبر. تحطمت الصخرة، فسقط رولاند، والصخرة في يده، فسقط قلبه في قدميه، وشعر كأنه سيُجَر إلى قاع المحيط. ربما هذه طريقة أفضل للرحيل. التفكير في الأمر جعله يتمنى لو أنه ميت. وجد نفسه مليئًا بالكراهية. يكره المحيط لأنه خطط لزواله. يكره الجدار الصخري الذي سخر منه. يكره الوحش. ولكن الأهم من ذلك كله أنه يكره نفسه لأن قواه خارت.

ثم بدأ شيء ما ينمو بداخله؛ قوة لا يمكن وصفها؛ موجة قوية من الطاقة لم يشعر بها من قبل. وجعلت أصابع رولاند تقبض على قطعة الصخر الموجودة في يده.

وفي قرار اتخذه في جزء من الثانية -بعد لحظة فحسب من اصطدامه بالمياه- ركل رولاند الجدار الصخري، ممسكًا بقطعة الحجر بإحكام شديد حتى إنها انغرزت في جلده. لكن الألم لا يهم، لأنه المسيطر في هذه اللحظة. إما أن تأكل وإما أن تؤكل. والآن أصبح رولاند الوحش المفترس. في غضون ثوانٍ حدق إلى عيني الوحش، الأكثر سوادًا من اللانهائية نفسها.

حدث كل شيء بسرعة كبيرة...

فجأة شعر بألم يطعن كعبه ويسحبه إلى عمق الهاوية...

بدأ رولاند يشعر بالغرق في دوامة الدوار...

لكن هذا لم يمنعه أن يضرب ويركل ويطعن بكل قوته...

أعمق وأعمق...

إلى أن...

تركه الشيء في النهاية...

***

11 - سبعة عشر

اندفع زين إلى الأمام، فمال رولاند أمامه وتجاوزه بسهولة. سدد زين ضربة إسقاط مزدوجة الساقين، وغاص رولاند، ممسكًا رأس زين، الذي حاول التحرر من قبضته، لكن رولاند لم يتركه. بل انثنى بقوة أكبر، وضغط على قصبة غريمه الهوائية، فمنع عنه الهواء تمامًا. احتقن وجه زين، وبدأت عروقه تبرز مع تجمع الدم في رأسه. ولهث بحثًا عن الهواء، لكن رولاند لم يرحمه. وقبل أن يفقد زين وعيه، أطلق رولاند سراحه.

والآن أصبح زين متعطشًا للدماء. حاول الوقوف، لكن حركته أصبحت بطيئة، وفشل نظامه الحركي. ضرب رولاند في وجهه مرة، ثم أخرى، فتحمل ذلك الأخير، لأنه يعلم أنه مع كل ضربة يفقد زين زمام المبادرة. وبحلول هذا الوقت، لفتا انتباه الغرفة بأكملها. خفض رولاند فخذيه، ووجه ضربة مزدوجة بساقيه؛ أقوى من ضربة زين، ثم رفع ذلك الأخير فوق كتفه، ودفعه إلى الأمام، خارج الحصيرة. وفي حركة واحدة خاطفة، وجه رولاند إليه أقوى ضربة لديه، التي لم يوجهها إلى أي شخص من قبل. سمع صوت تحطم عظام زين في لحظة اصطدامه بالأرضية الخشبية الصلبة.

صرخ زين ألمًا، بصوت حاد يصم الآذان، وتردد صداه في طبلة أذن رولاند. تقوس ظهر زين، وتشنج من الألم. لم يلاحظ رولاند أن ذراع زين قد كُسِرَت، إلا عندما تدحرج ذلك الأخير على الأرض. رأى ذراعه تمتد خلف ظهره بزاوية خطِرة، حتى إنها تنحني في الاتجاه المعاكس تمامًا.

وقف رولاند منتعشًا، والأدرينالين ما زال يتدفق في عروقه، فيما يركل زين ويصرخ. وفي غضون ثوانٍ، احتشد الجميع هناك. المدربون، وزملاء الفريق، والمتفرجون.

نظر المدرب برات إلى رولاند، لكن رولاند تحدث أولًا: «لقد ضربني مرة أخرى. لقد رأيتَ ذلك؛ لقد واصل ضربي. ما فعلته يعتبر دفاعًا عن النفس».

وكما حسب تمامًا، دعمه زملاؤه في الفريق. هرع المدرب المساعد، وحاول تقديم أي إسعافات أولية ممكنة. ضغط زين على أسنانه، وامتلأت عيناه بالدموع. بدأ المدرب برات يسير جيئة وذهابًا، وهو يدفن وجهه بين كفيه ويهز رأسه، كأنما أصابته صاعقة؛ لقد سقط مصارعه النجم.

- إن زرع ذراع جديدة قد يستغرق أشهر.

اندفعت فاليري إلى زين وعانقته في هستيريا، ثم نظرت إلى رولاند، وصرخت: «ماذا فعلت بحق الجحيم؟!».

لم تهتز شعرة في رأس رولاند؛ بل نظر إلى أسفل، ومسح الدم عن ساعده، كاشفًا عن وشم سمكة قرش النمر. ثم واجه نظراتها، مبتسمًا وهو يقول: «لقد فزت».

ثم أدار ظهره، مبتسمًا لنفسه، لأنه الآن يعرف أنه المفترس الأشرس.. يعرف أنه القرش.

***

مُلوَّث

كُتِبَت بالتعاون مع تيري بلاك

1 - جوب

لم يفاجأ جوب مارين بأمر التفكيك.

لم يشعر بالغضب، بل استسلم فحسب. ما زال صدى عظة والده يتردد: «هذه ليست رحلة مجانية يا بني. يجب على الرجل أن يكسب مقعده». يرى الأب العالم من منظور دارويني؛ عليك أن تقاتل للحصول على ما هو لك، وجوب يقف إلى جانب الديناصورات. أضعف موقفه أن شقيقه وشقيقته ناجحان للغاية، فجريج في طريقه إلى الحصول على منحة كرة السلة، وبريتاني على قائمة العمداء في كلية «ويلسلي».

وعلى النقيض من ذلك، فإن درجات جوب الدراسية بائسة؛ لا جوائز أو كؤوس أو حتى أصدقاء يُذكرون. إنه بالضبط ذلك النوع من الأبناء الذي لم يرده والده، فهو ابن غير ناجح وليس له هوايات أو اهتمامات أو أنشطة خارج المدرسة. كان ينبغي له أن يتوقع هذا.

عندما تلقى جوب الأمر، وظهر رجال شرطة الأحداث على عتبة بابه، لم يحاول حتى مقاومتهم. كل ما شعر به هو التعب واليأس والاستنزاف.

قال أحد رجال شرطة الأحداث، وقد ارتجف حاجبه: «أكِّد لفظيًّا أنك جوب أندرو مارين».

أومأ جوب برأسه.

- قلت لفظيًّا.

- نعم، إنه أنا.

أخرج ذو الحاجب المرتجف بطاقة وقرأ منها: «جوب أندرو مارين، بتوقيع هذا الأمر، أنهى والداك و/أو الأوصياء القانونيون فترة وصايتهم عليك بأثر رجعي، بتاريخ يرجع إلى ستة أيام بعد الحمل، تاركين إياك...».

واصل قراءة النصوص المعتادة، لكن جوب لم يستمع. نظر إلى والديه وهما يقفان في حرج في بهو منزلهما المتواضع. بدا والده متغطرسًا، أما والدته فغير واثقة من صحة موقفهما. في وجود أخته في الكلية وشقيقه في بطولة كرة السلة، فإن والديه فقط الموجودان هنا ليشهدا هذا. أسعده أن شقيقه وشقيقته ليسا هنا ليشاهدا هذا المشهد المؤسف.

أخيرًا، وصل مرتجف الحاجب إلى النهاية: «... أُلغِيَت جميع حقوقك كمواطن رسميًّا ودائمًا».

ساد صمت محرج. تقدمت والدة جوب وكأنها تريد احتضانه، لكن والده أمسك مرفقها، وهز رأسه رفضًا.

ارتجف حاجب شرطي الأحداث، وقال: «حسنًا، إذا لم يوجد شيء آخر، فسنذهب. شكرًا على تعاونكما».

قال والده: «حسنًا».

دفع شرطيو الأحداث جوب في شاحنة صغيرة، نقلته إلى حافلة محملة بالعشرات من الصبية الآخرين مثله، جميعهم متجمدون في أماكنهم، ولا يعرفون كيف وصلوا إلى هنا. نُقِلوا إلى مخيم حصاد «وودلاند باونتي» في شمال شرق ولاية بنسلفانيا، خارج ويلكس باري؛ ضيعة مترامية الأطراف تفوح منها رائحة الورد والعرعر، ومحاطة بسياج. أظهرت سياجات نباتات الزينة مجموعة متنوعة من حيوانات الغابة. نُقِلوا إلى منطقة انتظار وأجلسوهم أبجديًّا إلى طاولات طويلة، فيما بدا نوعًا من الاختبار الموحد.

ناداه شخص ما بعد فترة وجيزة: «جوب مارين». اصطحبوه عبر ممر مفروش بالسجاد ودخل من باب مكتوب عليه غرفة الاختبار.

قال رجل مبتسم يرتدي معطفًا معمليًّا، دون أن يمد يده لمصافحته: «صباح الخير يا جوب».

حمل صدره بطاقة عليها اسمه؛ د. فريندل. تخيل جوب أنه يرسم حرف «الياء» بقلم رصاص ليصبح اسمه د. فريندلي.

جلس جوب إلى طاولة فحص مغطاة بورق أبيض معقم، تجعد عندما جلس. الأمر أشبه بالذهاب إلى الطبيب، لو أن الطبيب يخطط لاستخراج أعضائك الداخلية وتوزيعها مثل المصاصات على الأطفال.

قال الطبيب فريندلي، وهو يلف شريطًا مطاطيًّا حول عضلة جوب ويستخرج عينة دم: «لن يؤلمك هذا»، ثم وضع القارورة في جيبه، وأضاف: «انتظر هنا»، واختفى لفترة طويلة ومزعجة.

نظر جوب حوله في توتر. أظهرت النافذة ساحة التمارين الرياضية في المخيم، حيث يلعب المراهقون لعبة «السوفت بول»، ويرفعون الأثقال، ويؤدون تمارين الجمباز الإجبارية. انطلقت موسيقى مبهجة من مكبرات صوت مثبتة على أعمدة، ويمكن سماعها حتى من خلال النافذة ذات الزجاج المزدوج. تساءل جوب كيف سيتمكن من الصمود، لأنه لا يشعر بأنه في حالة جيدة بما يكفي لممارسة الرياضة.

أخيرًا، عاد الطبيب فريندلي ومعه مساعد طبي ضخم وممرضة تحمل صينية بها أدوات طبية؛ أبرزها مُحقنان، أحدهما صغير والآخر كبير بشكل غير سار.

قال المساعد الطبي: «إنها خزعة عادية. فقط لتأكيد نتائج فحص الدم». جهز المحقن الأول، مضيفًا: «إنه مخدر. لن يؤلم هذا إلا قليلًا».

شعر بألم أكثر من القليل، لكن هذا ليس ما أزعج جوب. ما أزعجه هو أن الطبيب فريندلي لم يقل أي شيء عندما اقترب منه بالمُحقن الأكبر. ربما لأن هذه الإبرة ستؤلمه كثيرًا.

أمسكه المساعد بقوة لمنعه من الارتجاف.

قال الطبيب: «سيمر الأمر سريعًا».

غرز إبرة المحقن. تجهم جوب، رافضًا الصراخ، رغم أن الألم مُبرح. تساءل ما مقدار الألم الذي سيشعر به دون المخدر.

على الأقل قال المساعد الطبي الحقيقة. أُزيلت الإبرة من جسده، فبدأ الألم يقل. سمحوا له بالذهاب.

قال المساعد: «إنك حقًّا قوي التحمل».

استأذن الطبيب وغادر، حاملًا وعاء عينات مكتوبًا عليه «مارين. ج»، وتبعه فريقه إلى الخارج، تاركين جوب بمفرده.

عندما عاد الطبيب فريندلي، بعد عشرين دقيقة، ابتسم، لكنها بدت ابتسامة مُغتصبة.

قال بأسف حقيقي: «أخشى أننا لن نتمكن من تفكيكك. لتبسيط الأمر؛ نجد عددًا معينًا من المتقدمين غير مؤهلين للتفكيك. من فضلك لا تعتبر هذا انعكاسًا لقيمتك».

سأل جوب: «لماذا؟ ماذا وجدت؟».

منحه الدكتور فريندلي ابتسامة اعتذار، وقال: «ليس من حقي أن أقول. سيأتي أحدهم ليأخذك قريبًا».

أغلق الباب، وترك جوب وحده مرة أخرى في غرفة الفحص. نظر من النافذة، وراقب الآخرين وهم يستعدون لإجراء لن يخضع له، لأنه لا يستحق حتى عناء تفكيكه.

***

2 - هيث

- لدينا واحد آخر يا هيث.

تنهد هيث كالديرون. إنه يجلس في مكتب بمحطة إطفاء سينتراليا -هكذا كانت في السابق- ويحظى بإطلالة شاملة على المدينة أدناه. لكن سينتراليا الآن مدينة أشباح. لقد هجرها الجميع عندما اندلع حريق في الكهوف التي تحوي الفحم تحت المدينة، مما أدى إلى قذف الغاز السام من عشرات الآبار. اعتُبر العيش هنا غير آمن. أدان كومنولث بنسلفانيا المدينة بأكملها، مما أدى إلى إخلاء عائلات بأكملها، وتركِ مشهدٍ ممتلئٍ بالأنقاض والخراب.

إنه المكان المثالي لاختباء الهاربين من التفكيك، لأن لا أحد يهتم بما يحدث هنا.

سأل هيث: «من هو الفتى الجديد؟».

تحقق مساعده المجتهد -ويدعى سيباستيان- من دفتر ملاحظات مكتوب بخط اليد، وأجاب: «جوب واسمه الأخير مجهول، عمره أربعة عشر عامًا. إنه مريض في حالة سيئة. لقد طردوه من قائمة التفكيك لأن أجزاءه لم تصلح للحصاد. لقد وجدناه في مستشفى «ويلكس باري العام»».

- كيف تمكنت من تمريره تحت أعين الحرس؟

- لم نجد حرسًا. لماذا يحرسون معدومي القيمة؟

أومأ هيث برأسه، قائلًا: «أحسنت يا سيباستيان. أعتقد أنه قد يفيدنا».

أشرق وجه سيباستيان، ففكر هيث: *هذا الصبي فخور بعمله. حتى لو أن هذا العمل يتضمن تعقب الأشخاص الذين يقتربون من نهاية حياتهم الطبيعية وإحضارهم إلى هذا المخبأ في الغابة.* يملك هيث خطة لكيفية استخدامهم، وهو أمر يتردد في التحدث عنه، إلا مع حلفائه الموثوق بهم للغاية. حتى أنيسا لا تعرف خطته.

فكر بمرارة: *إنه ثمن القيادة.* إنه معجب بأنيسا كثيرًا ويتمنى أن يتمكن من مشاركة ما يفعله معها. إنها أذكى هاربة من التفكيك يعرفها، وجميلة أيضًا. لكن خطة هيث سرية، والمعلومات تُكشَف على أساس الحاجة إلى المعرفة. ستكتشف أنيسا الأمر -مثل أي شخص آخر- قريبًا جدًّا... لأنه يوشك على الرد على سلطة الأحداث بطريقة لن تتوقعها أبدًا.

***

3 - أنيسا

قالت أنيسا، وهي تفحص جرح برينت لينش أسفل الركبة بعين مدربة: «لن تضطر إلى فقدان ساقك. لقد قلَّ التورم، وكذلك الحمى، ويبدو لون الجلد أفضل بكثير. المضادات الحيوية تؤدي عملها».

قال برينت، وهو يرفع شعره الطويل بعيدًا عن عينيه: «شكرًا لكِ يا أنيسا».

لقد احتُجِزَ في الفراش للراحة في منزل سنتراليا الريفي هذا منذ ثلاثة أيام؛ في غرفة نوم ليست جيدة التهوية، على مرتبة متعفنة لكنها تؤدي الغرض. تأكدت أنيسا من حصوله على ملاءات نظيفة ومياه عذبة والأدوية الصحيحة من السوق السوداء، لأنه احتاج إليها بعد إصابته بسهم تهدئة ملوث.

فكرت أنيسا: *من الغباء أن يلوثوا الأعضاء التي يريدون حصادها*، مضيفة ذلك إلى قائمة الأشياء التي تكرهها بشأن شرطيي الأحداث.

ابتسمت، وأعادت تضميد الجرح، قائلة: «قد لا تصبح بطلًا في العدو أبدًا يا برنت، لكن يجب أن تصبح قادرًا على الاختيار بين «المشي» و«العجز عن السير»»، ثم أضافت بنبرة تحذيرية شديدة: «هذا لو لم تحاول بذل الكثير من المجهود في القريب العاجل. امنح جسدك الوقت اللازم للشفاء. لن تفيد أحدًا بخلاف ذلك».

أومأ برينت برأسه، ومسح شعره، قائلًا: «مفهوم. يسعدني فحسب وجودك هنا لمساعدتي. هل درستِ، مثلًا، في كلية الطب، قبل ...؟».

قالت: «بل تعلمت ذلك من والدي».

- أهو طبيب؟

ابتسمت أنيسا وهي تتذكر: «لا، بل رجل إطفاء».

***

4 - جوب

نام جوب بهدوء أكثر من ذي قبل، الآن بعد أن أنقذته مجموعة الهاربين من التفكيك هذه. إنه سعيد بالملاذ الذي توفره له سينتراليا، لكنه لا يعرف كيفية رد صنيعهم، لو أنه يستطيع ذلك على الإطلاق. كل يوم يمر، يستنزف المزيد من قوته؛ أصبح كسيارة خردة يتجه مؤشر البنزين فيها نحو الشرق. إنه يعرف أنه يحتضر، ويعلم أنه لم يتبقَّ له سوى أسابيع ليعيشها، لو حالفه الحظ، وهو أمر يفضل عدم التفكير فيه. لا يستطيع أن يفهم سبب نقله من مستشفى «ويلكس باري العام» إلى هذه الأرض القاحلة النائية الملوثة.

لا يتوقعون منه شيئًا. تمامًا كما هو الحال في المستشفى، يقدمون له وجبات منتظمة -مصدرها أي شيء تمكن الآخرون من سرقته أو مقايضته من الأحياء النائية- ويتركونه بمفرده بخلاف ذلك. غرفته صغيرة وقاحلة، مع جص متصدع ونافذة مسدودة بألواح خشبية، لكن الأجواء هنا مختلفة عن المستشفى. هناك، قدموا له الرعاية إلزاميًّا، وكان غير مرغوب فيه، لكنه هنا موضع تقدير واضح لأسباب لم يستطع تخمينها... حتى زاره هيث كالديرون، زعيم المجموعة.

إنه يتمتع بشخصية قيادية جذابة، وأدرك جوب منذ اللحظة التي التقيا فيها أن هيث هو المسؤول. إنه يتصرف بهذه الطريقة. توجد ثقة في لغة جسده قبل حتى أن يتحدث.

سأله هيث: «كيف حالك؟».

تمتم جوب: «مثل الشمس عند الغروب».

جذب هيث كرسيًّا ليجلس قبالته، قائلًا: «أعلم أنك لست على ما يرام. بحق الجحيم، أعلم أنك تموت». ثم هز رأسه، مضيفًا: «ربما لم يعرف والداك ذلك، أو لم يريدا أن يعرفاه. بعض الناس لديهم عمى متعمد بشأن الأشياء التي لا يمكنهم التعامل معها. وجدا أن من الأسهل توقيع أمر التفكيك، بدلًا من التعامل مع مرض خبيث لا علاج له».

قال جوب: «قال والدي إنني ضعيف».

- إنه مخطئ. مشكلتك طبية. في الواقع، أنت في فئة خاصة؛ يطلق عليها رجال شرطة الأحداث فئة «المُلَوثين» جسديًّا. إننا نبحث عن أشخاص مثلك.

- لماذا؟

ابتسم هيث، وسأله: «ما رأيك أن تصبح جزءًا من شيء مهم حقًّا؟».

***

5 - أنيسا

تشعر أنيسا برويت أنها في وطنها بغرابة في هذه المدينة الجافة. لقد ساعدت هيث في اختيار سينتراليا كموقع لمعسكرهم، لأنها منسية منذ زمن طويل ونادرًا ما يزورها أحد. المكان تفوح منه رائحة اليأس، لكنه أفضل أمل لهم في البقاء أحياء؛ ملاذ يبدو أنه يعكس مقاومتهم الغاضبة. ظلت تفكر في حريق المنجم الذي ما زال مشتعلًا تحت أقدامهم؛ إنه قلب سينتراليا النابض، حريق لا يمكن إخماده وربما سيظل مشتعلًا لمئة عام.

فكرت للمرة الألف: *كان والدي ليكره ذلك.*

لقد جاءت لتقابل هيث في المقبرة، وهو مكان قد يجده الآخرون كئيبًا، لكنه، مثل معظم سينتراليا، جذاب بشكل صارخ بالنسبة إلى أنيسا، لأنه يذكرها بأنها ما زالت بين الأحياء. كل لوحة برونزية، وكل شاهد قبر متآكل يروي قصة ضاعت إلى الأبد. تساءلت هل أشباح سنتراليا يستطيعون الشعور بحرارة الأرض تحتهم، مما يدفئ أماكن راحتهم، فيصبح الأمر بمنزلة تجربة سريعة للعالم السفلي الذي يفضلون تجنبه.

سألها هيث، الذي أتى للانضمام إليها: «هل تستمتعين بالمشهد؟».

- عادةً ما أفعل. لقد تأخرت.

قال في غموض: «عطلني العمل».

هزت كتفيها. أصبحت نزهاتهما معًا طقوسًا يومية، رغم أنه غالبًا يتأخر ولا يشرح السبب. إنه ليس رومانسيًّا، ليس بالضبط، لكنها تحب صحبته، حتى لو أنه لا يتحدث كثيرًا ونادرًا ما يكشف عن أي شيء. يملك هيث أسرارًا، وهي سمة محبطة وجذابة بشكل غريب.

انطلقا بطول لوكيست -الشارع الرئيسي في سنتراليا- حيث أقام معظم الهاربين من التفكيك منازلهم. تنبت الأعشاب الضارة من الشقوق في الأسفلت، وتبتلع السيارات القديمة الصدئة. لقد انهارت المنازل، وأصبح العديد منها غير صالح للسكن، وبعضها أصبح مجردًا من الأساسات. والهواء متشبع برائحة الكبريت -كالبيض الفاسد- بسبب الغاز المنبعث من المنجم المحترق. لن يجد الكثيرون هذا جميلًا، لكن أنيسا تراه كذلك. إنها سمة عائلية -في نهاية الأمر- أن تجد الأمل في قلب الكارثة وتلقي بنفسك بداخلها مباشرة.

- إنكِ تفكرين في والدك مرة أخرى، أليس كذلك؟

ابتسمت أنيسا. فمنذ البداية استطاع هيث قراءة أفكارها دائمًا.

- كل هذا يذكرني به يا هيث.

- لأنه رجل إطفاء؟

- لأنه رجل إطفاء جيد. لم يستسلم قط لأي شيء، بغض النظر عن مدى فظاعة الأمر. كان يسير مباشرة إلى مبنى محترق، وكأنه يتجول في الحديقة. قال إنه لا يوجد حريق لا يمكنه التغلب عليه.

- حتى هذا الموجود هنا؟

أجابته مبتسمة: «قال والدي يومًا إنه يود الذهاب إلى قلب منجم سينتراليا، ويتنفس بعمق، ثم يطفئه بزفيره، مثل شمعة عيد الميلاد.

كان بمنزلة بول بونيان[1] بين رجال الإطفاء؛ يكاد المرء يصدق أنه قادر على ذلك».

- لكن في النهاية، هزمته النيران.

أشاحت أنيسا ببصرها بعيدًا. إنها تقدر صراحة هيث في معظم الأحيان، لكنها لا تحب أن تتذكر يوم وفاة والدها. لقد حدث ذلك منذ سنوات -ما يقرب من عقد من الزمان- لكن الذكرى ما زالت تؤرقها.

مات مارتن برويت في أثناء العمل، وهو يطفئ حريقًا في مستودع «هاريسبرج». ذهب مرتديًا حُلَّة حرارية، يتحكم فيها الكمبيوتر ومصممة لضمان نجاة مرتديها من أي حريق. تعمل الحُلَّة على إبقاء مرتديها باردًا وتشعره بالارتياح، حتى لو ارتفعت درجة الحرارة الخارجية إلى ما هو أبعد من الاشتعال. لكن أعظم فائدة لها -والمستوحاة من تقنية التفكيك- هي قدرتها على بتر الأطراف المصابة، إذا لزم الأمر.

حوصر مارتن في قبو محترق، وأوصت حُلَّته الحرارية بقطع أطرافه، واحدًا تلو الآخر، للحفاظ على الأكسجين المنقذ للحياة.

كان ذلك ليُكسبه دقائق ثمينة؛ وقتًا كافيًا لإنقاذه، وبصفته رجل إطفاء، سيصبح في وضع ممتاز لتلقي أجزاء الجسم البديلة. لكنه رفض لعلمه أن الأجزاء قد تأتي من مراهق مضطرب أُخِذ بالقوة وفُكك.

قالت أنيسا بمرارة: «كان من الممكن أن ينجو والدي. لكنه رفض الحصول على أطراف مفككة. أراد إنقاذ الأرواح، وليس استخدام الآخرين لإنقاذ حياته».

---

(1) بول بونيان: شخصية أسطورية تظهر في قصص طويلة من الفولكلور الأمريكي، وهو حطاب عملاق يتمتع بقدرات خاصة. «المترجم».

ساد صمت محرج. وقف غراب على جدار مبنى محترق، ومد عنقه نحوهما. تساءلت أنيسا عما يدور في ذهن هيث، حتى فاجأها بتعبير عن تعاطف صادق.

- لا بد أنكِ أحببته كثيرًا يا أنيسا.

أومأت برأسها، قائلة: «لقد أحبني أيضًا. إنني واثقة أنه لم يتخيل قط أن ينتهي بي الأمر مع أبوين بالتبني يوقعان على أمر تفكيكي».

قال هيث: «يا لهما من غبيين أنانيين! هذه مشكلة التفكيك، الأمر لا يتعلق بالصبية صانعي المشكلات، بل يتعلق بالبالغين صانعي المشكلات»، ثم بصق على الأرض، مضيفًا: «والدك أفضل من ذلك».

- ولقد كلفه ذلك حياته.

نظر إليها هيث وهو يُجري عملية حسابية دقيقة، وكأنه يقرر مدى ثقته بها. بدا كمن يزن الإيجابيات والسلبيات على مقياس وهمي. أخيرًا، خفض صوته -رغم عدم وجود أحد قريب بما يكفي ليسمعه- وقال: «قد نتمكن من تغيير ذلك كله».

- عمَّ تتحدث؟

- سأريكِ.

***

6 - هيث

عرف هيث أن إطلاع أنيسا على خطته أمر ينطوي على خطورة، لكنه لم يستطع إخفاءها عنها بعد الآن. إنه يحتاج إلى أن تعرف. اصطحبها إلى محطة الإطفاء -في الطابق الذي يعلو الثكنات- التي حولها هيث إلى مختبر أبحاث طبي يعمل بكامل طاقته. إنه بكل تأكيد أكثر أجزاء هذه المدينة المستصلحة حداثة، حيث يوجد به مولد كهربائي محمول، وجهاز طرد مركزي، وجهاز تعقيم بالبخار، ومجهر عالي الطاقة لفحص العينات، وهذه الأشياء كلها أُخِذَت من شركة للإمدادات الطبية في لانكستر خلال غارة شنها سيباستيان وبعض المتطوعين في منتصف الليل. والمختبر مملوء بالشرائح والأكواب والماصات، تحت جبل من الدفاتر المكتوبة بخط اليد.

قال هيث وهو يجلس على أحد مقاعد المختبر: «هنا يحدث كل شيء».

- ماذا يحدث؟

- التغيير. التغيير الحقيقي.

وأشار إليها لتجلس على مقعد آخر، مضيفًا: «ليس من السهل تحقيق ذلك. يريد المصفقون عمل ذلك عن طريق تفجير الأشياء. لكنهم لم يحققوا أي شيء. والقوة الغاشمة لا تنجح؛ يجب علينا أن نهزم هؤلاء الناس في لعبتهم نفسها».

- كيف؟

قاطعهما صوت شخص يصعد الدرج؛ إنه جوب الشاحب كالسمكة الذي يتنفس بصعوبة، وقد استنفد الصعود قوته. بدا في نظر هيث كرجل عجوز مسجون في جسد طفل.

قال هيث: «هذا جوب. لقد ساعدنا».

قال جوب منهكًا: «وما زلت».

- ونحن ممتنون. ما تفعله هنا يساعد عددًا أكبر من الناس مما يمكنك تخيله.

أخرج هيث محقنًا طويلًا من الخزانة، وطلب من جوب أن يصعد إلى طاولة الفحص. إنه يعرف أن أنيسا لن ترغب في رؤية هذا، لكنها بحاجة إلى ذلك، حتى يمكنها استيعاب الأمر.

- أريدك أن تستلقي على جانبك يا جوب، حتى يمكنني أخذ عينة جديدة.

رقد الصبي النحيل على جانبه، فيما غرز هيث الإبرة الطويلة للغاية في أسفل ظهره. تجهم وجه جوب لكنه لم يصدر أي صوت. سحب هيث بعض السائل، ثم سحب الإبرة، ورش العينة اللزجة في طبق بتري[1]، فكونت بركة صفراء، أو بالأحرى سائل ذهبي.

قال وهو يحرك العينة تحت المجهر: «ألقي نظرة»، ثم تنحى جانبًا للسماح لأنيسا بالتحديق إلى العدسة لترى العينة.

- ما هذا الذي أراه؟

---

(1) طبق بتري: طبق صغير ضحل، مستدير عادةً، مصنوع من الزجاج الرقيق أو البلاستيك، ويستخدم بشكل خاص لزراعة الخلايا أو الكائنات الحية الدقيقة على وسط داعم. يأتي الاسم نسبة إلى عالم البكتيريا الألماني يوليوس ريتشارد بتري الذي اخترع هذا الطبق عام 1887. «المترجم».

قال هيث، سعيدًا بفرصة مشاركة أسراره: «السر يكمن فيما لا ترينه». ربما هذا خطأ -كما يعلم- يُعرِّض مهمتهم للخطر من أجل إثارة إعجاب فتاة أصبح مغرمًا بها. لكنه واثق أنه يستطيع كسب تأييدها، بمجرد أن تفهم النطاق الكامل لتصميمه.

قال بصراحة: «جوب مصاب بالسرطان في كليتيه ورئتيه وطحاله وبنكرياسه. لقد انتشر في جميع أنحاء جسده. من المفترض أن تري علامات الورم، مثل البروتين الجنيني والميكروجلوبولين، في جميع أنحاء تلك العينة. لكنك لا ترينها».

- لماذا؟

- لأننا طورنا تمويهًا خلويًّا، وهو إنزيم ينتقل عبر الدم ويحاكي الكيمياء الطبيعية للجسم. لن تنجح الطريقة القياسية للكشف عن السرطان. وهذا يعني أن جوب وعددًا لا يحصى من الآخرين يمكن أن يخضعوا لعملية التفكيك، ويقبلهم الأطباء دون أن يدركوا أنهم يستخرجون أعضاء مميتة وسرطانية.

تراجعت أنيسا، وسألته: «وكيف يساعدنا ذلك؟».

- أي شخص يتلقى عضوًا مصابًا سيحصل على حكم بالإعدام. سوف يُغرِق ذلك برنامج التفكيك، ألا ترين؟ لن يرغب أحد في عضو مفكك، لو لم يضمن سلامته!

- لكنك ستقتل الناس.

يعرف هيث أن كلامها صحيح، لكن هذا لم يغير قناعته.

- سنقتل القليل من الناس... لإنقاذ المزيد والمزيد منهم.

***

7 - أنيسا

إن شعور الخيانة عظيم مثل اللحظة التي قيل لها فيها إنه يجب تفكيكها. لكن هذه ليست مجرد خيانة شخصية، بل خيانة لكل ما يجعلهم أفضل من الذين يفككون الصبية.. خيانة لكل ما يجعلهم بشرًا.

صرخت: «هل فقدت عقلك؟».

لكن لو أنه فقد عقله، فمن الواضح أن هذا قد حدث قبل لقائهما بوقت طويل. هذه ليست مجرد خطة ارتجالية. لقد خُطط لها سابقًا، ربما منذ أشهر. لقد أخذ الأمر يغلي داخل هيث، مثل النار الجهنمية في المنجم تحت أقدامهما.

هنا فقط، نظرت أنيسا إلى سلسلة من الرفوف بجانبها. العشرات من أطباق بتري؛ لا يعلم إلا الرب ما ينمو عليها. لقد حول هيث المختبر إلى مرجل يغلي بالأسلحة البيولوجية.

قال لها، فخورًا بإنجازه: «لدينا عدوى بكتيرية وسرطانات وفيروسات، وقد أخفينا جميع العلامات البيولوجية. سنطلق الطاعون تلو الآخر على أولئك الذين سيحصلون على أجزاء مفككة، وسيصبح التفكيك في نظر العالم أخيرًا مرادفًا للرعب!».

انفجر غضبها. قبل أن تتمكن من إيقاف نفسها، أطاحت بيدها لتصطدم بما على أحد الأرفف، فسقطت الأطباق وعيناتها الملوثة محطمة على الأرض، لكن ليس قبل أن يجرح أحدها يدها، بين إصبعين، مسببًا شقًّا عميقًا مؤلمًا.

سقطت دماؤها على مذكرات بحث هيث، فتلطخت الأوراق مثل اختبار رورشاخ[1] الأحمر.

- انتظري يا أنيسا!

حاول إيقافها، لكنها تملصت من قبضته وخرجت من المختبر، والزجاج يتحطم تحت كعبي حذائها.

***

أنيسا هي من اختارت محطة الإطفاء كمركز لعملياتهم. الأمر أصبح أكثر إثارة للرعب الآن، بعد أن عرفت ما يستخدمها هيث من أجله.

كانت يومًا رمزًا للبقاء بالنسبة إلى المدينة. ورغم الإخلاء، فقد تمسك عدد قليل من السكان المتشبثين ورفضوا المغادرة، وبقوا في منازلهم بإصرار، فيما تبخرت المدينة من حولهم. توقف إنفاذ القانون؛ ولم تعد الطرق صالحة. توقفت خدمة البريد عن العمل، و-كإهانة أخيرة- ألغي الرمز البريدي الخاص بالمدينة.

إن مركز الإطفاء هو آخر مكان رسمي أغلق أبوابه.

لا تعرف أنيسا متى أوقفوا عمله أخيرًا، وأغلقوا ذلك الباب الكبير القابل للطي للمرة الأخيرة. لكن قبل أن يحدث ذلك، تسوَّل أحد موظفي الخدمة المدنية المغامرين -أو استعار، أو ربما سرق- حُلة حرارية تعمل بكامل طاقتها، مثل تلك التي توفي بها والدها. تلك التي ربما كانت لتنقذ حياته لو أنه أقل عنادًا وأكثر أنانية.

---

(1) اختبار رورشاخ: اختبارٌ نفسي تُسجَّل فيه تصورات الأشخاص عن بقع من الحبر ثم تخضع للتحليل باستخدام التفسير النفسيِّ، أو الخوارزميات المُعقدة، أو كليهما. يستخدم بعض علماء النفس هذا الاختبار لفحص خصائص شخصيَّة الشخص وأدائه الانفعالي. «المترجم».

إن الحُلَّة الحرارية محفوظة في مكان صغير خارج المرأب الرئيسي. وهي معلقة بخطاف على الحائط، وتبدو كما لو أنها تحوم فوق الأرض. عليها لافتة مكتوب عليها بحروف قديمة باهتة «تُستخدَم بحذر شديد».

إنه المكان الذي تذهب إليه أنيسا عندما تحتاج إلى البقاء بمفردها، وهي الآن بحاجة إلى ذلك أكثر من أي وقت مضى.

لقد أصبحت مزارًا لها، تلك الحُلَّة الصفراء الكبيرة ذات الخوذة الزجاجية عند الوجه والأحذية الثقيلة المعززة. والمفاصل المتعرجة الواسعة، وكل منها مزود بمخدر ومباضع حادة كالشفرة، وجاهزة لقطع الأطراف التالفة وغير الحيوية بكفاءة مخيفة. لا تحب أنيسا التفكير في ذلك، لأن ليس هذا المفترض أن تفعله مكافحة الحرائق. لا تقطع أجزاء الجسم فقط، بل إن جوهرها الوقوف بشموخ وإنقاذ الأرواح. من الواضح أن هذه ليست القيم الأخلاقية التي يتبعها هيث. خطته كلها تتعلق بالزحف.

هدأت نفسها بالنظر إلى الحُلَّة. تخيلت والدها هناك، حكيمًا وشجاعًا وأكبر من الحياة، قريبًا كالملاك الحارس. تمنت لو أنها في مثل شجاعته. أو لو أنها تعرف ماذا تفعل، كما فعل دائمًا، بغض النظر عما يواجهه. إنها في حاجة إلى بعض حكمة والدها الآن.

تنهدت، ودلكت يدها. لقد لفَّت منديلًا حولها، لكنها ما زالت تنزف بغزارة، ولينة عند لمسها.

قال هيث، وهو يتقدم من الخلف: «ربما لا تريدين التحدث إليَّ».

قالت دون أن تستدير لمواجهته: «ابتعد يا هيث. لا يوجد ما نتحدث عنه».

وقف أمامها مباشرة، وقال: «لا، بل لدينا. الخطة تمضي قُدمًا يا أنيسا. نحتاج إلى تنفيذ ذلك».

- لا نحتاج إلى ذلك.

بدأ يجادلها، ويدافع عن قضيته، لكن يبدو أنه شعر بعدم جدوى ذلك، فخفف من حدة غضبه قليلًا، محاولًا اتباع نهج مختلف، وسألها: «هل تعرفين لماذا هذا مهم بالنسبة إليَّ؟».

قالت: «لا يهمني أن أعرف»، لكن هذا ليس صحيحًا تمامًا. أنيسا لا تعرف عنه الكثير، رغم كل الوقت الذي قضياه معًا، وهروبهما المتهور من سلطة الأحداث، وقرارهما المشترك بإقامة معسكر هنا.

لقد تساءلت كثيرًا عن تاريخ هيث، وما الذي يدفعه إلى حملته لإنهاء التفكيك -«الموت»، كما يسميه- وإلى أي مدى سيذهب في ملاحقة القضية. لقد شعرت أن حديثهما يفتح لها نافذة على أسراره، وفرصة لمعرفة ما يكشفه نادرًا، فقالت: «حسنًا، أخبرني. ما أهمية ذلك؟».

- أهميته ترجع إلى حقيقتي. ما أنا عليه.

- وما حقيقتك؟

- أنا لست مفككًا. أنا ضد التفكيك.

زوت ما بين حاجبيها، وقالت محاولة أن تفهم: «واصل حديثك».

- لقد وُلدت بكبد مَعِيب. قال الأطباء إنني محكوم عليَّ بالموت. في سن الخامسة عشرة، فشل الكبد تمامًا. انتهى بي الأمر في المستشفى، ولم يتوقع الأطباء أن أعيش أكثر من أسبوع، ولم يتمكن والداي من تحمل تكلفة كبد بديل.

توترت أنيسا؛ لم تعرف ماذا سيأتي بعد ذلك، لكنها أدركت أنه أمر سيئ.

واصل هيث: «لم يتمكنا من تحمل تكاليفه، لكنهما وجدا البديل. إنه أخي برايان غريب الأطوار، صاحب السلوك غير المتوقع وغير المرغوب فيه، لكنه نشأ بالحب نفسه الذي حمله لي والدانا. أو هكذا اعتقدت». تنفس بعمق، وكأنه يجهز نفسه للجزء التالي من القصة، وواصل:

«باعاه إلى السوق السوداء، في مقابل كبد جديد وعملية زرعه. قالا إنها الطريقة الوحيدة لإنقاذ حياتي. قلت لو أن هذه هي الطريقة الوحيدة، فأنا أفضل عدم إنقاذي. توسلت إليهما ألا يضحيا ببرايان، لكني لم أستطع منعهما».

اختنق في الجزء التالي: «رفضا أن يخبراني هل الكبد الجديد يخصه أم لا. على أي حال، حال شفائي، هربت من المنزل. أدركت أن واجبي مساعدة الهاربين من التفكيك، لكني لست واحدًا منهم أبدًا».

توقف عن الحديث. ترددت أنيسا، وهي لا تعرف كيف يجب أن تجيبه. لم تشك في صحة قصته، وهذا يفسر هوسه الشديد بالهاربين من التفكيك. لكن هذا لا يغير أي شيء.

قالت بحزم لا يخلو من التعاطف: «لقد فهمتُ الآن، لكني لن أوافق أبدًا على خطتك لزرع الأعضاء المسمومة».

- إليكِ ما أعرفه: الأشخاص الذين سيحصلون على هذه الأعضاء لا يستحقونها. إنهم طفيليات، يعيشون على لحم الآخرين. إذا حصلوا على أعضاء مريضة، فقد جلبوا ذلك على أنفسهم.

قالت بحدة: «هل تعتقد أن الأمر بهذه البساطة؟ يموت بعض الناس، فينتهي التفكيك؟ الأمور لا تسير هكذا. سيكتشفون الأمر، ويجدون طرقًا أفضل لاختبار إمدادات الأعضاء، وسيتعقبون التلوث إلى هنا. لن تغير شيئًا، باستثناء القبض على الكثير من الناس؛ الأشخاص الذين وثقوا بك، والأشخاص الذين سيفككون بسببك».

ثم فجأة أمسك بها أحدهم من الخلف. استدارت لتجد اثنين من المقاتلين ضخام الجثة، من البوف السابقين، اثنين من أغبى جنود هيث الهاربين من التفكيك وأكثرهم طاعة. قاومتهما، لكن قبضاتهما لا تُهزم.

قال هيث: «لقد أحضرتهما معي، تحسبًا لحدوث مشكلة».

أومأ برأسه إليهما موافقًا، فنقلاها إلى غرفة المرافق في مركز الإطفاء. إنها رطبة ورائحتها عطنة كرائحة الأحذية القديمة، وفيها سُجِنَت أنيسا إلى حين تنفيذ الخطة. لقد تحولت من صديقة هيث إلى سجينته.

وازدادت حالة يدها سوءًا.

***

مرت الأيام. سمح لها هيث بتناول الوجبات، لكن الزيارات ممنوعة. أبقاها في عزلة، ربما لأنه لا يريد الكشف عن خطته الثمينة حتى تنفيذها ولا يمكن أن يسمح بإيقافها. لن يمر وقت طويل -كما استنتجت- لأن مستوى النشاط في مركز الإطفاء قد زاد بشكل ملحوظ، نظرًا إلى الضوضاء في الخلفية والأوامر الصاخبة والمحادثات المكتومة.

قالت لسيباستيان عندما فتح الباب ليضع طبقًا من المكرونة شبه الباردة: «هذا لا يمكن أن ينجح، كما تعلم. سيتسبب هيث في قتلكم جميعًا».

قال سيباستيان: «لا أعرف عما تتحدثين»، رغم أنه يعرف بوضوح.

- أخبر هيث أنني مصابة. أحتاج إلى إمدادات طبية. لقد جُرِحَت يدي.

- قلبي ينفطر.

غادر، مغلقًا الباب بقوة. يد أنيسا تزداد سوءًا حقًّا، والجرح يتحول إلى اللون الأرجواني، مع أوردة حمراء تشع من نقطة الشق؛ إنها عدوى مخيفة وخطيرة. إنها واثقة أن يدها ربما تلوثت بشيء من أطباق العينات في مختبر هيث.

فكرت وهي تثني أصابعها بألم: *كما لو أنني لا أملك ما يكفي من القلق.*

يجب أن تصل إلى هيث، وتتحدث معه قبل فوات الأوان.

لكن الأوان فات فعلًا!

***

8 - سيباستيان

انتظر سيباستيان إلى أن توقفت الحافلة الفارغة خارج مركز الإطفاء، ثم أشار إلى صف من الهاربين من التفكيك -يرتدون جميعًا ثيابًا بيضاء- كي يصعدوا إلى الداخل، وعلى رأسهم جوب.

قال سيباستيان: «حظ سعيد».

المراهقون الذين استقلوا الحافلة جميعهم مرضى في مراحل متأخرة للغاية، بحيث لا يمكن إنقاذهم بأعضاء سليمة. وقد حصل بعضهم على حوافز للتعاون؛ ربما أموال لأسرهم، أو وعود شخصية أكثر. تطوع آخرون، واختاروا موتًا ذا معنى، بدلًا من مجرد موت بائس. حُقِنُوا بتمويه هيث الكيميائي، وهم في طريقهم الآن إلى مخيمات الحصاد المختلفة لتفكيكهم.

يدَّعُون أنهم أعشار، ويقدمون أجسادهم طوعًا لصالح المجتمع أو أي شيء آخر، وقد أنشأ سيباستيان مسارًا للبيانات يبدو أنه يؤكد ذلك: سجلات الميلاد، والتاريخ العائلي، والتفاصيل الشخصية. لكن هذا كله ملفق. الحقيقة هي أنهم على وشك إطلاق العنان لكابوس بيولوجي سيدمر أي شخص يتلقى أعضاءهم.

قال سيباستيان، وهو يهز رأسه، ويراجع قائمة التحقق: «ستة عشر، سبعة عشر، ثمانية عشر. الجميع حاضرون ومسجلون».

أغلق الباب، وضربه براحة يده، متمنيًا لهم التوفيق، ثم سمع صوتًا خجولًا يسأل: «معذرة... هل يمكنك مساعدتي؟».

استدار، ليجد فتاة ذات ضفائر ترتدي فستانًا ممزقًا، وحقيبة ظهر مهترئة؛ تقترب من مركز الإطفاء. بدت جائعة، وقذرة، ومتعبة. تساءل سيباستيان عن المسافة التي قطعتها للوصول إليهم. وتساءل أيضًا كيف تمكنت من تجاوز المحيط ودخول مجمعهم السري دون أن يلاحظها أحد أو يواجهها. فكر: يجب *أن أبحث في ذلك*...

قالت: «من فضلك، أنا مفككة، أو من المفترض أن أصبح كذلك. كنت مختبئة، وسمعت أنكم تساعدون المفككين. هل يمكنكم مساعدتي، رجاءً؟».

قال مبتسمًا: «يمكننا ذلك طبعًا. مرحبًا بك هنا».

- شكرًا جزيلًا.

لوح سيباستيان بيده فيما تنطلق الحافلة، ثم استدار مرة أخرى إلى الفتاة ذات الضفائر، وسألها: «ما اسمك؟».

لكنه لم يكتشف ذلك قط، لأنها باعدت بين كفيها، ثم صدمتهما معًا بقوة، فتغيرت جغرافية سنتراليا.

***

9 - انفجار

جاء انفجار المصفقة أقوى بكثير حتى من توقعات مدبري الحادث أنفسهم. لقد شق الأرض وأصاب بركة من غاز الميثان الراكد الذي تراكم بهدوء على مدى عقود من الزمان تحت المدينة المسمومة. أدى الانفجار الناتج إلى إحداث تجويف في محطة الإطفاء، انبعث منه عمود ساخن من لهب العهد القديم.

شُوِيَ سيباستيان في اللحظة الأولى من الانفجار. طارت الحافلة عن الطريق -كلعبة ألقاها طفل- وانثنى هيكلها الخارجي، وانفجرت إطاراتها ونوافذها من الحرارة. انهارت المباني؛ وانفجرت المنازل المهجورة حتى أساساتها. تطايرت الشظايا المشتعلة في كل الاتجاهات، وخلفت حقل حطام بحجم ملعب. تساقطت قطرات الزجاج المنصهر كالمطر. طارت لافتة طريق مكتوب عليها «مرحبًا بكم في وسط المدينة» في السماء، ثم سقطت على الأرض على بعد أربعة أميال من العمود الذي سُمِّرت عليه. واحترقت الأشجار الخضراء التي غطت الشوارع، فبدت تلك الأخيرة كأنها مسرح معركة.

فرَّ من استطاع، لينجو بحياته، فيما توهجت النيران وازدادت اشتعالًا، لتبتلع المدينة.

***

10 - جوب

جلس جوب بالقرب من مؤخرة الحافلة عندما انفجرت المُصفقة. ارتجفت الحافلة وترنحت، وانقلبت على جانبها، وسط صراخ الجميع وذوبان النوافذ الزجاجية -هل يرى ذلك حقًّا؟- وتحول العالم كله إلى اللون الأحمر كالطلاء، للحظة واحدة فقط، ليصبح كنسخة حديثة من «جحيم» دانتى[1].

قذفه الانفجار عند باب الطوارئ الخلفي، الذي فُتِحَ تحت ثقله. اندفع جوب على الرصيف، وهبط بقوة شديدة، وشعر بعظامه تتكسر. حالما لمس أرض الشارع، وجدها ساخنة تشع حرارة كالمقلاة، لكنه لم يستطع النهوض والركض لأن ساقه كُسِرَت؛ ربما كلتا ساقيه أو ربما عموده الفقري. لم يستطع سوى الزحف، محاولًا الوصول إلى العشب، رغم أنه يحترق أيضًا؛ إنه محاصر داخل كابوس على أرض الواقع.

لكن حتى في خضم هذه الكارثة، تعجب جزء منه من أن المفاجأة ما زالت ممكنة، حتى بالنسبة إلى المحتضرين، لأن طريقه إلى غياهب النسيان قد اتخذ منعطفًا مذهلًا.

---

(1) الجحيم: الجزء الأول من ملحمة «الكوميديا الإلهية» الشعرية، التي ألفها الشاعر الإيطالي الكبير دانتى أليجييري في القرن الرابع عشر، ويرى الكثيرون أنها من أفضل الأعمال الأدبية على المستوى العالمي. تلقي الملحمة الشعرية نظرة خيالية مجازية على الجحيم بحسب المفهوم المسيحي، مع التأثر بفلسفة القرون الوسطى. «المترجم».

قال هيث إن جوب سيساعد عددًا من الناس أكثر مما يتخيل، لكنه لن يساعد أحدًا. شعر بمرارة خيبة الأمل، وهي أسوأ من إصاباته تقريبًا. لن يصبح لموته قيمة. لقد أصبح خاسرًا، كما وصفه والده دائمًا.

سيطرت عليه هذه الأفكار، حتى سمع صوتًا خافتًا يصرخ: «النجدة!».

***

11 - أنيسا

جلست أنيسا في زنزانتها المؤقتة فيما انشق الجدار، كقشرة البطيخ. وبمعجزة، حماها صف من الخزائن من موجة الانفجار. تفتَّتَت الخزائن كورق القصدير، لكنها أنقذت حياتها. تعثرت في المرأب المحترق وكادت تُسحَق عندما انقلبت الحُلَّة الحرارية عليها. ثم -قبل أن تتمكن من الخروج من تحتها- سقطت عارضة من دعامات السقف، فثبتتها في مكانها.

قالت لنفسها، وقد أدركت حقيقة الوضع: «إنني محاصرة هنا بواسطة آلة مصممة لحماية الناس من الحريق».

بدا الأمر كأقسى مفارقة. والأسوأ من ذلك أن المبنى يحترق من حولها، حيث تلتهم النيران المرأب.

صرخت مرارًا وتكرارًا: «النجدة!»، لكنها لم تتوقع إجابة حقًّا، فلو أن موت أبيها علمها شيئًا، فهو أن الصلوات نادرًا ما تُستجاب، والمعجزات نادرًا ما تحدث، ولن يأتي أحد لإنقاذها. لا يسعها إلا أن تصبح شجاعة مثله وتنتظر النهاية، ربما نهاية سيئة. الجو حار جدًّا هنا ويصعُب التنفس.

ثم تحرك شيء ما.

أتى شخص ما نحوها من جدار المرأب المنهار، زحف ببطء مؤلم. حدقت إليه وتعرفته: إنه جوب، المصاب بسرطان متعدد؛ آخر شخص توقعت أن ينفذ مهمة إنقاذ.

قال لها: «انتظري».

تساءلت أنيسا هل يفعل ذلك من أجلها أم من أجل نفسه، ثم قالت: «أنت مصاب».

قال لها: «أنت محاصرة».

تمكن من الوصول إليها وحاول إزاحة العارضة، دون استخدام ساقيه، لكنه لم يستطع؛ إنها ثقيلة للغاية. تأرجحت أنيسا ذهابًا وإيابًا، ودفعها جوب، وعملا معًا لتحريرها.

سألته: «لماذا تساعدني؟»، ثم نظرت إلى وجهه ولم تحتج إلى إجابة، فهي تعرفها فعلًا. لقد فات أوان إنقاذ جوب نفسه... لكن ما زالت أمامه الفرصة لإنقاذ شخص آخر.

أخيرًا، انفصلت العارضة عن الحُلَّة الحرارية، واصطدمت بالأرض، وأخذت أنيسا تتلوى أسفل الحُلَّة.

أطلق جوب زفيرًا مرتجفًا، وهو مستلقٍ الآن على الأرض. نظر إليها، وعيناه متجمدتان، والحياة تُستنزف منه. ومع ذلك ابتسم.

قال: «لقد فعلتها. لقد جعلت حياتي مهمة...»، ثم أطلق حشرجة أخيرة، وفارق الحياة.

لمست أنيسا وجهه في لحظة من التواصل الصامت، وأغمضت عينيه. لقد فات الأوان لشكره، فات الأوان لتوديعه. لكن، حتى لو استطاعت، فلا يوجد وقت، لأنها يجب أن تتحرك، لتغتنم الفرصة التي منحها إياها.

ومع اقتراب النيران منها، وضعت جسدها داخل الحُلَّة الحرارية، وأغلقتها كما شرح لها والدها، وفي اللحظة نفسها، انهارت الأرض من تحتها، وسقطت أنيسا في محيط من النار.

إنه سقوط طويل، أطول بكثير مما توقعته. أخيرًا اصطدمت بالأرض بقوة، وتدحرجت إلى الأمام. داخل الحُلَّة، صرخت يدها المصابة بالعدوى من الألم. إنها مستلقية على سطح خشن وغير مستوٍ، وجدران صخرية تلوح في الأفق، واندفع حطام أسمنتي من خلال الحفرة التي سقطت منها.

وقفت على قدميها بصعوبة.

تكيفت الحُلَّة تلقائيًّا مع طول أنيسا وحجم جسمها، وكأنها مصممة خصيصى. أضاءت مصباح الرأس، لكنها لم تستطع رؤية الكثير؛ مجرد جدار ناري من الغاز المحترق. أدركت أن هذا ليس القبو. لقد سقطت في أعماق منجم سنتراليا المشتعل، أطول حريق في التاريخ. امتد أمامها المنجم المحترق، لكن رغم الحرارة الشديدة، فإن الجزء الداخلي من الحُلَّة مريح إلى حد كبير، وذلك بفضل عناصر التحكم في المناخ المدمجة بها.

حاولت المشي، واتخذت خطواتها الأولى المتعثرة. شعرت وكأن سكينًا قد اخترق يدها المصابة.

ومضت شاشة العرض في الحُلَّة الحرارية، فحدقت أنيسا إليها في محاولة للتركيز. توفر الشاشة قراءة تفاعلية، تُظهر كل ما تحتاج إليه للبقاء على قيد الحياة: درجة الحرارة الخارجية، وموقعها الحالي، واحتياطيات الأكسجين، وطاقة البطارية المتبقية؛ ما زالت أكثر من 80 بالمئة، بعد سنوات من عدم الاستخدام. ببعض الحظ، يكفي ذلك لإيصالها إلى بر الأمان.

لكن الأمر ليس سهلًا.

تبلغ درجة الحرارة في المنجم 647 درجة فهرنهايت، وهي كافية لغلي الدماء في عروقها بسرعة إذا تسربت من نظام التكييف في

الحُلَّة الحرارية. يمكن أن تصل درجة الحرارة في حريق المنجم إلى ألف درجة، لذلك تعتبر نفسها محظوظة. ما زالت لا تستطيع رؤية أي شيء، فقط ألسنة اللهب تتلوى وتتراقص، وتملأ الكهف. لا يمكنها سوى متابعة الخريطة المتحركة المعروضة على لوحة البيانات أمام وجهها. تمامًا كما اعتاد والدها أن يفعل -على حد تعبيرها- رغم أن هذا ليس مطمئنًا، لأنه فعل ذلك عندما مات.

تعثرت، واصطدمت يدها ببروز صخري، فصرخت من الألم. لم تستطع أن ترى أصابعها تحت القفاز الأصفر اللامع، لكنها شعرت بالتورم والألم. تساءلت هل أجهزة المسح الطبي الحيوي للحُلَّة ستكتشفها.

لقد فعلت. ظهرت صورة ليدها على الشاشة، مع رسالة تقول: «رُصِدَ إنتان بالدم[1]. يُوصى بالبتر». الإجراء القياسي -كما تعلم- هو تخدير الطرف المصاب ثم قطعه، وهو شيء يمكن للحُلَّة عمله تلقائيًّا. لكن بالنسبة إلى أنيسا، هذا ليس خيارًا.

قالت: «رفض البتر».

واصلت السير، محاولة معرفة ما حدث فوق الأرض. هاجمت قوات مجهولة -جهة ما تعرف مكان اختبائهم وقررت سحقهم- معسكر سينتراليا، وربما دمرته. تساءلت هل وصلتهم بطريقة ما أنباء عن برنامج هيث للتفكيك المُسمم، وهل أهمل سيباستيان وكشافته للغاية في إخفاء تحركاتهم خلال سعيهم خلف المرشحين، فجذبوا الانتباه الخطأ من أحدهم، الذي قرر تدميرهم. أو ربما يوجد جاسوس؛ شخص وثق به هيث، لكن ما كان له أن يفعل. كل ما تعرفه هو أن انفجارًا

---

(1) الإنتان: حالة تحدث عندما تدخل الجراثيم أو البكتريا إلى مجرى الدم، وتؤدي إلى استجابة خطِرة على مستوى الجسم، قد تصل إلى توقف واحد أو أكثر من أعضاء الجسم عن العمل، مثل توقف الكلى عن تخليص الجسم من السموم، أو توقف الرئتين عن مد الجسم بالأكسجين. «المترجم».

هائلًا وقع؛ أشبه بتفجيرات المصفقين، رغم أنها لا تستطيع تخيل سبب تورط المصفقين. لا يبدو تفجير معسكر سري للهاربين من التفكيك من الأعمال الإرهابية المميزة التي يسعون خلفها.

فكرت في يأس: «تدمير المكان والخطة لا يعنيني. لقد مات أصدقائي؛ مات هيث. لقد حذرته، لكنهم وجدونا قبل الأوان».

شعرت بغصة في حلقها؛ حزن مؤلم على كل من أهلكه هذا الجحيم. من الوارد القبض على الناجين ونقلهم إلى أقرب مخيم حصاد. لكنها لا تملك رفاهية القلق بشأن ذلك الآن؛ أولويتها هي البقاء حية.

تحققت من البيانات. ترتفع درجة الحرارة، وهي تتجه إلى الأسفل، وليس إلى الأعلى. ظهر على الخريطة أن السطح يبعد مسافة 6,3 ميل. والأسوأ من ذلك، أن نظام التبريد في الحُلَّة بدأ يضطرب، مثقلًا بالحرارة التي لا هوادة فيها. لكن هذه ليست أسوأ مشكلة تواجهها.

إنها متبوعة.

الأمر ظاهر على الخريطة: بقعة حمراء من حُلَّة حرارية ثانية خلفها، تقترب بثبات. حاولت أنيسا أن تسرع وتيرة سيرها، والعرق يتصبب على جبينها، ويدها تنبض بالألم بلا انقطاع. ظلت تنظر إلى الخلف وكأنها تريد رصد مُطاردها، لكنه غير مرئي طبعًا، فالألسنة النارية المتلاطمة تخفيه عن الأنظار. الأجهزة الموجودة على حُلَّتها الحرارية فحسب يمكنها اكتشافه.

إلى أن تحدث.

قال صوت في سماعة أذنها: «ارجعي يا أنيسا».

تذكرت أن والدها أخبرها أن الحُلَل الحرارية يمكنها التواصل عبر مسافات قصيرة باستخدام أجهزة إرسال واستقبال دون سرعة الصوت. لكن المفاجأة الحقيقية هي من يتحدث.

قال هيث كالديرون: «يمكنني حمايتك».

قالت أنيسا عبر جهاز التحكم عن بعد في الحُلَّة الحرارية: «دعني وشأني».

- لا يمكنني أن أدعك تقتلين نفسك. هذا انتحار، ولن يحل أي شيء. عودي معي. لن يؤذوكِ.

- لقد فجروا نصف المدينة للتو، أيها الأحمق! لماذا لن يؤذوني؟

- لأنني أبرمت صفقة. يأخذونني، وتنالين أنتِ حريتك.

- هكذا ببساطة؟!

- ليس هذا فحسب. لقد سلمتهم كل شيء؛ ملاحظاتي، وسجلاتي، وكل ما نجا من الانفجار. ما يكفي حتى لا يُخدَعوا مرة أخرى. أي تهديد مثلته في السابق قد انتهى.

ترددت أنيسا: «وفي المقابل، هل سأصبح حرة؟».

- لم أجد أي شيء آخر للتفاوض بشأنه. لن يسمحوا لي بالرحيل. لقد سمحوا لي بالنزول إلى هنا فقط لأن الأمر يقترب من الانتحار. إنهم لا يهتمون إذا احترقنا هنا، لكن إذا تمكنتُ من إعادتكِ، فسيصبح لكِ مستقبل على الأقل.

ارتجفت أنيسا: «ليس مستقبلًا كبيرًا على أي حال.. إن يدي مصابة، وتزداد سوءًا».

قال: «ابتريها. سيستبدلونها لكِ».

وقفت أنيسا في ثبات، وهي تستوعب ما سمعته. تذكرت شقيق هيث، الذي بِيع لقراصنة الأعضاء لإنقاذه، وهو عمل مثير للاشمئزاز لدرجة أنه حدد حياته إلى الأبد. ما الذي قد يجعله يخون كل ما يؤمن به، لمجرد إنقاذ هاربة من التفكيك لا يبدو أنه يحبها كثيرًا؟

قالت: «إنك خائف مني. خائف مما قد أعرفه».

- إنك لا تعرفين شيئًا.

- لكن لا يمكنك التأكد من ذلك، لأنك لست هيث.

أغلقت أنيسا جهاز الإرسال والاستقبال، ودفعت نفسها بقوة أكبر من ذي قبل؛ عازمة على الهرب رغم تدهور صحتها. بدا أن مطاردها -الرجل الذي ينتحل شخصية هيث- يقترب، رغم صعوبة التأكد. الشيء الوحيد الذي تعرفه يقينًا هو أنه يرتدي حُلَّة حرارية أكثر تقدمًا؛ قادرة -من بين أشياء أخرى- على تقليد الأصوات.

لقد قُبِضَ على هيث أو قُتِل على الأرجح؛ إنها تعلم ذلك. لا بد أنهم انقضوا على حطام سينتراليا وبدؤوا يقبضون على الهاربين من التفكيك، وجمعوا الناجين كالبط في البركة. حتى أدركوا أن اللغم انفجر، وأن الحُلَّة الحرارية مفقودة، وأحدهم قد هرب، من تحتهم مباشرة، إلى المتاهة المحترقة أسفل سينتراليا. وأرسلوا شخصًا وراءها، بأوامر للتأكد من عدم هروب أحد.

بدا كما لو أن عبارة «رُصِدَ إنتان بالدم» تنبض بحياة خاصة بها، مثل عنوان رئيسي يجذب الانتباه. انخفضت درجة الحرارة الخارجية إلى 619 درجة.

أرادت أن تركض، لكن الحُلَّة الحرارية ليست مصممة لذلك؛ لم تملك سوى مواصلة السير بأقصى سرعة، وسط هذا المشهد السريالي. إذا تباطأت أو توقفت، فسيُمسك بها مطاردها. إذا استسلمت للعدوى

المنتشرة -التي تجعلها تشعر بالدوار والضعف والمرض- فقد لا يضطر حتى إلى الإمساك بها. إنها تشعر بقواها تخور، ومسببات الأمراض تنتشر في مجرى دمها، وعالمها يتحول إلى اللون الرمادي عند الحواف.

قال صوت ناعم: «لا يمكنكِ الهرب».

هذا ليس صوت هيث، إنه أخشن وأقل حدة، لأن الرجل خلفها لم يعد يتظاهر؛ لقد أصبح صريحًا بوحشية.

قالت أنيسا: «لقد أوقفت استقبال الصوت».

- إنني أستخدم ترددًا بديلًا. نعلم أنك أنيسا برويت. حان وقت التوقف عن الهرب.

- لماذا، ما البديل؟ أتوجد مكافأة للاستسلام؟

قال: «نهاية غير مؤلمة.. فرصة للعيش؛ منقسمة».

فكرت أنيسا: *يا إلهي، شكرًا!* لكنها لم تقل شيئًا.

لم ينتظر مطاردها إجابة وشرح اقتراحه: «أعلم أنكِ مصابة يا أنيسا. أعلم مدى خطورة إصابتك، لأن حُلَّتينا تتشاركان المعلومات تلقائيًّا. إنك تعانين الكثير من الألم الآن، لكن ليس عليك مواصلة احتمال ذلك. سلمي نفسك، وسأعدِّل جرعات تخديرك لإنهاء ألمك. ثم سأخرجك من هنا. ستُنقلين إلى مخيم الحصاد، وستساعد أعضاؤك الآخرين على مواصلة الحياة. ستواصلين العيش من خلالهم. أليس هذا أفضل من هذا الانتحار بلا معنى؟».

أمرت أنيسا حُلَّتها: «أغلقي جميع الترددات».

انقطع الصوت، تاركًا صمتًا متوترًا. إنه ما زال خلفها، يظهر كوميض أحمر على شاشتها؛ صامتًا، لكنه لا يرحم.

شجعت أنيسا نفسها. إن المنجم يمتد أمامها إلى ما لا نهاية. قدماها ثقيلتان؛ يصعب رفعهما، والحُلَّة الحرارية أصبحت غير مريحة. إنها في سباق لا تستطيع الفوز به؛ مثقلة بالعدوى، وغير راغبة في الاستسلام.

إن جزءًا منها يريد بتر اليد والتخلص من الأمر. وهذا منطقي، لأنه سيُحيِّد العدوى. البتر لن يشفيها، فالإنتان في دمها لا بد أن يشفى تدريجيًّا، على مدى فترة من الزمن. لكن التدخل الجراحي من شأنه أن يساعد في تنشيط نظام التعافي في جسدها.

توجد مشكلة واحدة فقط: إنها لا تستطيع أن تجبر نفسها على ذلك.

فكرت، وأسنانها تصطك: *إن والدي لم يكن ليفعل ذلك، وأنا أيضًا لن أفعله.*

لقد صُممت هذه الحُلل لرجال الإطفاء المستعدين والراغبين في تلقي أجزاء من مفككين. وقبول البتر سيجعلها متواطئة. وهذا هو الخط الذي لن تتجاوزه، وهو الشيء نفسه الذي لن تفعله، حتى لو أن ذلك يعني أنها ستموت في هذا المنجم الرهيب. وعزاؤها الوحيد أنهم سيعجزون عن حصد أعضائها إذا ماتت. بحلول الوقت الذي سيخرجون فيه جثتها من هنا، لن تصبح في حالة تسمح بالتبرع بالأعضاء.

لذا، واصلت السير. ستواصل السير حتى تموت من الصدمة الإنتانية. فكرت: *سأموت هنا*، في نفق من *النار* يشبه *اللعنة*.

ثم وردت إليها فكرة.

إنها فكرة غبية؛ شيء لن تجرؤ على تجربته في أي ظروف أخرى. إنها غير واثقة من امتلاكها الشجاعة لعمل ذلك الآن. لكن خياراتها تتضاءل. إما أن تستسلم وتترك الآلة تبتر يدها... وإما هذا.

كسرت القفل الموجود على قفاز يدها اليسرى. أزالت القماش المقوى، فكشف عن بشرتها. إنها حمراء قاتمة، لزجة وتخرج منها سوائل، وعندما مس الهواء الساخن نهايات أعصابها، صرخت من الألم. لكن الأسوأ لم يأتِ بعد.

قالت: «لو لم ينجح هذا، يا أبي.. أنا آسفة».

واندفعت تضرب يدها العارية في جدار المنجم الملتهب.

- يا إلهي! يا إلهي! يا إلهي! يا إلهي!

فكرت: *لا تغيبي عن الوعي. لو غبتِ عن الوعي، فلن تنهضي مرة أخرى.*

لكن الأرض غير مستقرة؛ تتأرجح وتتمايل كسفينة في البحر، والصدمة تهدد بإسقاطها، لأن «يا إلهي! إن هذا مؤلم»؛ إنه أسوأ من أي شيء تخيلته على الإطلاق. إنها تريد أن تتكور وتموت، تريد ذلك بشدة، لكن هذا الاستسلام الرحيم شيء لا تستطيع أنيسا تحمله ولن تسمح لنفسها به؛ يجب أن تواصل ما تفعله.

احترق لحم يدها، لكنها حاولت ألا تلاحظ ذلك. حاولت وضع قفازها مرة أخرى فوق اللحم الممزق، وكادت تصرخ حالما اشتعل الألم مرة أخرى، ورفضت التوقف حتى انتهت من تغطية اليد مرة أخرى.

قرأت على الشاشة: «حرق من الدرجة الثالثة وتلف شديد»، ومرة أخرى: «يوصى بالبتر». لكن رسالة «الإنتان» ومضت وتلاشت، لأنها تخلصت منه بالكي؛ الأمر أشبه بوضع النار على جرح مفتوح. لم تعالج نفسها تمامًا؛ ما زال دمها ملوثًا، لكنها أزالت المصدر الأساسي للعدوى وبدأت عملية الشفاء. سيتولى جهازها المناعي الباقي.

قالت: «رفض البتر».

اتخذت خطوة إلى الأمام، ثم أخرى.. وأخرى.

بعد مسيرة ميلين، ظلت تواصل طريقها. وكذلك مطاردها.

مع احتراق النهايات العصبية في يدها، استقر الألم بدرجة قوية، لكن يمكن احتمالها. اقترب مطاردها، وأخذ يكسب أرضًا. أدركت وجود فرصة أخيرة للتخلص من مطاردته لها. أمامها رف صخري متدلٍّ، يشق النفق في مكان يضيق فيه إلى ما يقرب من عدم القدرة على المرور. ربما بسبب انهيار ما، حيث احترقت عوارض الدعم ولم تتمكن من حمل حمولتها. أيًّا كان السبب، فإنه يمنح أنيسا ميزة. الرجل القادم من خلفها أكبر وأقوى منها، وعادة تصبح هذه ميزة، لكن هنا ستصبح عيبًا؛ لن يجتاز هذه العقبة أبدًا.

لكن هل يمكنها هي اجتيازها؟

انحنت، وقاست أبعاد الفتحة، وخططت لكيفية الاقتراب منها. الحيلة هي عدم لمس الجدران، بسبب حرارة المنجم، وهو أمر تعرفه جيدًا. الحُلَّة الحرارية يمكنها احتمال حرارة المنجم، لكن ليس إذا اصطدمت بأحجار شبه منصهرة. تسللت أنيسا إلى الأمام في وضع غريب، وجلست القرفصاء لتخطي الجزء البارز. اختل توازنها وكادت تسقط، لكنها تمكنت من الحفاظ على ثبات قدميها على الأرض. لامست يدها المصابة الجدار مرة واحدة فقط، وانفجر شلال الألم، لكنها عضت شفتها السفلى، وواصلت السير.

لقد خرجت؛ مر العائق، ولم يعد مطاردها قادرًا على تتبعها.

***

بعد مضي بعض الوقت شديد الصعوبة؛ بعد مدة لم تستطع قياسها بوضوح، خرجت أنيسا من الجحيم المحترقة في منجم سينتراليا إلى

عصر يوم ربيعي مشرق، على بعد أميال عديدة من معسكر الهاربين من التفكيك المنفجر. وجدت نفسها بالقرب من مجموعة من أشجار البلوط ذات الأغصان الملتوية وتلال منحدرة من العشب والشوك والهندباء التي تحملها الرياح. خلعت حُلَّتها الحرارية، كسجينة هاربة من العبودية، وتنفست ملء رئتيها هواءً ليس شديد الحرارة ولا حارقًا، حتى كادت تنسى الألم القوي في يدها المُدمَّرة.

سيبحثون عنها؛ يجب أن تواصل الحركة. لديها متسع من الوقت -كما تأمل- للعثور على شخص يساعدها في تنظيف وتضميد جرحها، وكذلك في الهروب من سلطة الأحداث. يتعاطف الكثير من السكان المحليين مع الهاربين من التفكيك. قدَّرت أن فرصة نجاتها تبلغ خمسين بالمئة.

استدارت للمغادرة، لكنها سمعت صوتًا خلفها.

- النجدة!

خرج شخص محني الظهر من المنجم، مزق حُلَّته الحرارية التالفة بشدة. إنه رجل بدين لم تره أنيسا من قبل، أشقر الشعر قصيره، ومن الواضح أنه يتألم. تكومت الحُلَّة الحرارية ممزقة على الجانب الأيسر، ربما لأنه شديد الضخامة فلم يستطع التسلل من خلال ذلك الممر الضيق، لكنه فعلها على أي حال. لاحظت أنيسا أن ذراعه اليسرى قد قطعتها الحُلَّة، فوق المرفق مباشرة.

وسقط الرجل على الأرض، مستلقيًا بلا حراك.

تحققت من نبضه؛ ما زال موجودًا. الذكاء يقتضي تجاهل هذا الرجل، وتمني موته، أو ربما حتى تسريع العملية. اعترفت أن الفكرة مغرية. إن تجاهله سيجعل هروبها أسهل بكثير. الحصول على مساعدة له سيلفت الانتباه ويجازف بسلامتها. يمكنها أن تجد طريقة غير مباشرة لعمل ذلك، مثل إقناع أحد صيادي الغابة بإعلان عثوره على الرجل، ربما دون

ذكر أي شيء بشأنها. لكن أي محاولة من جانبها، ستزيد من فرص القبض عليها.

أيجب أن تهرب، أم تخاطر بمساعدة شخص آخر؟

ابتسمت أنيسا. إنها ليست -ولن تصبح أبدًا- مثل من يريدون تفكيكها. إنها ابنة والدها.

مما يعني أن اختيارها واضح.

***

منزوع

نيل شُسترمان & ميشيل نولدن

ترجمة: محمد عبد العاطي

هل تساءلتم عما حدث لليف منذ أن ترك ساي-فاي حتى ظهوره في المقبرة؟

1 - ليف

تقول امرأة بصوت خافت لكنه يوحي بسُلطتها: «افعلها من أجله».

عالقًا في ضبابٍ مخدر، يحس ليف بأصابعها الباردة على عنقه، تجِسُّ نبضه. حلقه يؤلمه، ويحس بلسانه كأنه جِلد ممضوغ، ومعصمه الأيسر يوجعه، ويعجز عن فتح عينيه.

«ليس بعد يا ما».

مثل عينيه، شفتاه لا تُفتحان. من الذي تكلَّم للتو؟ ربما أحد أشقائه. ماركوس؟ لا، الصوت غريب. كما أن لا أحد في أسرته يتَّسم بعفوية إلى درجة تمكِّنه من مخاطبة والدتهم بـ «ما».

يسمع المرأة تقول: «حسنًا، أنتَ قرر متى يكون مستعدًّا. ولا تنسَ جيتارك».

ينحسر وقع أقدام، وينزلق ليف عائدًا إلى الظلام.

***

وعندما يستيقظ مرة أخرى، تُفتح عيناه، لكنهما تفتحان شقًّا صغيرًا، يجد نفسه في غرفة ضخمة جدرانها ناصعة البياض تغشى الأبصار، ويرى بطانية حمراء حيكت يدويًّا تغطيه، وتحته يحس بملاءة قطنية ناعمة وغالية، مثل الملاءات التي عرفها ذات يوم. يجد نفسه على سرير منخفض قريب من الأرضية، وخلف نهايته يرى فرو أسد جبال على

أرضية مكسوة بألواح رخام، يرتعد إثر رؤيته. تواجهه منضدة زينة من خشب البلوط، دون مرآة، فيمتن لغيابها في اللحظة الراهنة.

يوسع عينيه عنوة، فيرى نوافذ دون مصاريع في الجدار البعيد، والضوء خلفهما قد يكون ضوء غسق أو فجر. ثمة منضدة أخرى جواره، تقبع عليها سماعة طبية ملفوفة، ولوهلة وجيزة مرعبة يظن ليف أنه قُبض عليه وأُخِذ إلى مخيم حصاد. يُثقِل اليأس عليه فيبقيه على الملاءة القطنية، ويغوص في الضباب الذي يملأ رأسه، أحلام وهذيانات تهزأ بالزمن، يسبح في الضباب إلى أن يسمع: «عندما يستيقظ، اعرف منه اسمه، لن يمنحه المجلس ملاذًا دون أن يعرفوا اسمه». صوت مختلف، أعمق.

تلامس أصابع باردة معصم ليف مجددًا، وتقول صاحبتها: «سأتذكر ذلك. اتركنا». يستشعر ليف أن المرأة تميل فوقه، يسمع أنفاسها، يشم رائحة زهور المريمية وخشب الحور القطني، ويجدها مريحة.

يحس بطعنة أعلى ذراعه، كسهم مخدر، لكنه ليس كذلك. يغيم عالمه مجددًا، لكن ليس كما يكتنفه الضباب، هذا نوم من نوع مختلف.

فجأة يجد نفسه واقفًا في باحة، وجواره حقيبة يدوية ملطخة بالطين نصفها بارز من حفرة، وخارج سياج من أوتاد يرى رجال شرطة يتقدمون نحوه بحذر، كلًا، لا يطاردونه هو، إنما يطاردون الفتى الأُمبر النحيل الذي يرافقه. يدا ساي-فاي تطفحان بسلاسل ذهبية وجواهر متلألئة بكل الألوان، وهو يستعطف ويناشد رجلًا وامرأة لونهما سيينا، يمسكان ببعضهما، ويحدقان إلى ساي-فاي مُرتعِبَين.

تخرج كلمات ساي-فاي مبحوحة ومختنقة بنشيجه: «أرجوكما لا تفكِّكاني، أرجوكما لا تفكِّكاني. . .».

تلامس يدٌ باردة خد ليف، فتُمتَص الذِّكرى كشهقة ذهنية. كان قد ترك ساي-فاي قبل أيام، والآن صار شخصًا مختلفًا.

تقول المرأة بصوتها المُطمْئن: «إنك بأمان يا بُني، افتح عينيك».

وعندما يفتحهما، يرى وجهها اللطيف مبتسمًا. فك مربع، وشعر أسود معقود بالخلف، وبشرة برونزية، إنها... يقول دون تفكير: «مُحترفة قُمار!»، فيحس بجلده يحمر. «آسف. . . لم أقصد. . . أفلتت العبارة مني. . .».

تضحك المرأة، وتقول له مُتفهِّمة: «الكلمات القديمة لا تُمحى بسهولة. أُطلِق علينا اسم 'الهنود' حتى بعدما اتضح أننا لسنا من الهند. وتسمية 'الأمريكيين الأصليين' أجدها متعالية دومًا».

يقول ليف: «المحظوظون». آملًا أن تُنسى زلة 'محترفي القمار' بسرعة.

تقول المرأة: «أجل، المحظوظون. بالطبع اختفت الكازينوهات قبل مدة طويلة، لكن أفترض أن التسمية لافتة لا تُنسى بسهولة».

يرى ليف السماعة الطبية حول عنق المرأة، السماعة التي ظن سابقًا أنها سماعة جرَّاح مخيم حصاد.

- هل أنتِ طبيبة؟

- امرأة طب، نعم، وبوصفي امرأة طب يمكنني أن أقول لك إن جروحك وكدماتك تُشفى، وإن تورُّم معصمك خفَّ كثيرًا. اترك الرباط على ذراعك حتى أسمح لك بإزالته. كما تحتاج إلى اكتساب بضعة أرطال، لكن حالما تتذوق طبخ زوجي، فلن تكون هذه مشكلة.

يشاهدها ليف محترسًا وهي تجلس على حافة سريره وتتفحصه.

- لكن روحك يا بُني، أمرها مختلف تمامًا (ينكمش ليف منها، فتزم شفتيها حزينة) نساء الطب يعرفن أن الشفاء يتطلب وقتًا طويلًا، بعض الناس يحتاجون إلى وقت أطول من آخرين. أخبرني بأمر واحد وسأدعك تستريح.

يتوتر ليف ويأخذ حذره لا إراديًّا، ويسألها: «أخبرك بماذا؟».

- ما اسمك؟

يقول: «ليف كالدر»، ويندم فورًا على إجابته بصدق. انقضت قرابة ثلاثة أسابيع منذ أن سحبه كونر من الليموزين، لكن أصحاب السلطة النافذين ما زالوا يبحثون عنه. السفر مع ساي-فاي محفوف بالمخاطر لكن لا بأس به، لكن إخبار طبيبة باسمه؟ ماذا لو سلَّمته إلى شرطة الأحداث؟ يفكر بوالديه، والمصير الذي تركه خلفه. كيف يُعقَل أنه رغب في تفكيك نفسه؟ كيف تمكن والداه من جعله يرغب في التفكيك؟ تثير هذه الأفكار بداخله غضبًا عارمًا على كل الناس وكل شيء. لم يعُد عُشرًا، صار إوُول الآن، ويجدر به أن يفكر مثل إوُول.

تقول المرأة: «حسنًا يا ليف، قدَّمنا طلبًا لمجلس القبيلة حتى يسمحوا لك بالبقاء معنا. لستَ مضطرًّا إلى إخباري بكل ما مررتَ به، أنا متأكدة أن قصتك فظيعة». ثم أشرقت عيناها وأردفت: «لكن نحن المحظوظين نؤمن بمنح الناس فرصة ثانية».

2 - وِيل

يقف عند الباب ويشاهد الصبي وهو نائم. جيتاره معلق على ظهره، دافئًا بالشمس، وأوتاره ما زالت تطن.

لا يمانع وجوده هنا، لكنه يأسف لفراق الغابة، في قلبه مكانة خاصة لحفيف أوراق الأشجار وعواء رياح الشينوك العاتية. ثمة بهجة تبعث السكينة في تحويل الطبيعة إلى موسيقى، باقتباس أصوات طيور الشحرور وكلاب البراري والخنازير البرية، ودمج أصواتها في كل مقطوعة يعزفها.

جلب ويل معه إلى الغابة بقايا ثريد توت العليق الذي تركه والده، وجلبت أونا لحم أيِّل مقدد وثرموس شكولاتة مُتبَّلة بالقِرفة، جلست معه تحت شجرة بلوط وارفة الأغصان وهو يعزف، لكنها غادرت قبل أن ينتهي من العزف، إذ كان عليها تنظيف الورشة.

دائمًا ما يبدو صوت جيتاره حزينًا قليلًا عندما تغادر أونا.

انقضى يوم منذ استيقاظ الصبي الهارب من التفكيك الذي آوته والدته في منزلهم، لكنه لم ينزل من غرفته لأي سبب، حتى الوجبات. اقترح أبوه أن يحمله، لكن والدته قالت إن الصبي يحتاج إلى مزيد من الوقت.

يقول والد ويل لها: «لا داعي للقلق بشأن الهاربين من التفكيك، لا يمكثون مدة طويلة، ويحُول يأسهم دون إبداء امتنانهم». لكن والدته تتجاهله. كانت قد أخذت الصبي تحت حمايتها، وحُسِم الأمر.

يتساءل ويل، كيف ينام الصبي والشمس عبر النافذة تُلهِب رأسه وضجيج أعمال البناء في البلدة يتردد صداه في الوادي؟ يعلو صدر الصبي ويهبط، ثم تتشنج ساقاه تحت الأغطية كأنه يركض. لا يتفاجأ ويل بما يراه، فالهاربون من التفكيك حياتهم كلها ركض، يخيَّل إليه أحيانًا أنهم لا يعرفون شيئًا سوى الركض.

ويل واثق أن الصبي سيهدأ. الحيوانات البرية، والأفاعي المجلجلة، والمراهقون الجامحون يهدؤون في حضور ويل. حتى عندما يكون جيتاره معلقًا صامتًا على ظهره، حضوره يهدئهم، ربما ترقُّبًا منهم لما سيعزفه. رغم أن ويل نفسه مراهق، فهو ذو روح ناضجة عميقة، وحكَّاء موهوب ورث موهبته من جده...

لكنه لا يريد التفكير بجده الآن.

وفي أثناء تفكيره في الموسيقى التي يمكن أن تلامس روح هذا الإوول، يستيقظ الصبي، يتقلَّص بؤبؤاه، فتظهر عينان زرقاوان شاحبتان تركزان على ويل الواقف عند الباب.

يتقدم ويل بضع خطوات داخل الغرفة ويقعد مصالبًا ساقيه على جلد أسد الجبال، ويضع جيتاره على حِجره بحركة واحدة توحي بتمرُّسه عليها.

يقول للصبي: «اسمي تشوِيلاوُ، لكن كل الناس يخاطبونني بويل».

يحدق الصبي إليه متشككًا: «سمعتك تتكلم بالأمس. هل امرأة الطب أمك؟».

يومئ ويل. يبدو الصبي في الثالثة عشرة، أصغر من ويل بثلاثة أعوام، لكن شيئًا في عينيه يجعله كأنه يناهز المئة. يبدو ذا روح ناضجة، لكن مُرهَقة. كانت وطأة الحياة ثقيلة على هذا الإوول.

يسأله ويل بصوت يجعله لطيفًا بقدر مستطاعه: «أتمانع عزفي على الجيتار هنا؟».

يضيِّق الصبي عينيه مرتابًا: «لماذا؟».

يهز ويل كتفيه: «أجد العزف أسهل من الكلام».

يتردد الصبي وهو يمضغ شفته: «حسنًا، بالطبع».

هكذا يكون كل إوول. الهروب من التفكيك يسحق أرواح الفتية، ويجعلهم لا يثقون بالعالم، لكن بما أنهم لا يرون بأسًا في الاستماع إلى جيتار، ولا يعرفون كيف أن موسيقى ويل تخترق الحواجز التي شيدتها خيانة العالم لهم، يستسلمون، ويستمعون إلى أصابعه وهي تداعب الأوتار، وأخيرًا تُنفِّس موسيقاه عن أشجان أرواحهم.

حضرت والدة ويل سمنار علاج بالموسيقى في جامعة جونز هوبكِنز، لكنها لا تعرف سوى الجوانب النظرية. أما ويل فقد ظل يرى مفعول الموسيقى الشفائي منذ اليوم الذي حمل فيه جيتارًا في عيد ميلاده الثالث. لكن ليس كل إوول ومحظوظ ذي روح عليلة يُشفَى، بعضهم يستعصي شفاؤهم. من المبكر تحديد إلى أي الفئتين ينتمي هذا الصبي.

يعزف ويل لساعتين متواصلتين، إلى أن يشتم رائحة الغداء ويحس بتقلُّص في ظهره. يجلس الإوول على سريره، مستيقظًا مستمعًا طوال الوقت، ذراعاه حول ركبتيه وذقنه مستند إلى ركبتيه، وعيناه تحدقان إلى الملاءة. تتلاشى أنغام موسيقى ويل إلى صمت.

ينهض ويل ويلقي جيتاره فوق كتفه ليتدلى على ظهره ويقول: «حان وقت الأكل. على الأرجح سيكون حساءً وخبز ذرة. هل ستنزل معي؟».

يذكِّره الصبي بأرنب مُتسمِّر في مكانه، غير قادر على اتخاذ قرار البقاء أو الهروب. ينتظر ويل ويخيِّم الصمت عليهما، إلى أن يبعد الصبي ذراعيه من ساقيه وينهض من السرير، ويقف مستقيمًا على نحو لم يتوقعه ويل.

- اسمي ليف. كنتُ عُشرًا.

يتقبَّل ويل الكلام بإيماءة، دون حُكم. ربما سيصبح هذا الصبي على ما يرام في نهاية المطاف.

3 - ليف

يشاهد ليف ويل يغسل الأطباق بعد الغداء، وهو ما زال يفكر بما دهاه حتى يخبر ويل بأنه عُشر هارب. الإفصاح عن معلومات كثيرة سيوقعه في مزيد من المتاعب. ثم ترتطم منشفة أطباق بوجهه وتسقط على الطاولة.

يقول ليف وهو يحملق غاضبًا إلى ويل: «ما هذا!»، ويتساءل عما إذا ألقيت المنشفة بغضب.

يبدو ويل ضخمًا كدُب، لكن ابتسامته طفولية: «يمكنك تجفيف الأطباق. قابلني عند نهاية الصالة بعدما تنتهي».

لم يغسل ليف الأطباق قط في منزل أسرته، فهذه مهمة الخدم. والآن هو مريض أيضًا. مَن يكلِّف المرضى بتجفيف الأطباق؟ لكن رغم هذا يؤدِّي المهمة، فهو مدين لويل بالحفل الموسيقي الذي أدَّاه وحده. لم يسمع عزف جيتار كذلك قط. وقد كان والدا ويل مولعين بالفنون، وحرِصا على تلقِّي أبنائهما دروس عزف الكمان، والاستماع إلى فرقة سينسِناتي بوبس في معظم ليالي الخميس.

لكن موسيقى ويل كانت مختلفة، كانت. . . حقيقية. عزف ساعتين، من ذاكرته فحسب، عزف بعض مقطوعات باخ، وشوبرت، وإلتون، لكن معظم مقطوعاته كانت إسبانية.

ظن ليف أن موسيقى بذلك العنفوان والتعقيد سيصعُب عليه الاستماع إليها في حالته الواهنة، لكن حدث العكس، هدهدتْه الموسيقى حتى بدت كأنها تتغلغل في أعماق وصلاته العصبية، وتتفاعل متناغمة مع أفكاره.

يعلِّق المنشفة بعدما ينتهي من تجفيف الأطباق، ويفكر بالعودة إلى غرفته، لكن يساوره فضول بشأن ويل، يجده عند نهاية الصالة وقد أغلق باب غرفته للتو ويرتدي سُترة خفيفة، يبدو بطريقةٍ ما غير مكتمل دون جيتاره، ويتضح أن ويل يراوده الإحساس نفسه، تداعب أصابعه مقبض الباب، ثم يتنهد ويفتح الباب ويجلب جيتاره وسُترة لليف أيضًا.

يتساءل ليف: «هل سنذهب إلى مكانٍ ما؟».

يجيب ويل: «هنا وهناك». ربما تبدو هذه إجابة منطقية لشاب مثل ويل، لكنها تذكِّر ليف بالتفكيك. تفرق كل عضو منه. هنا وهناك. تسلق ليف جدار المحمية يائسًا ملتمسًا ملاذًا آمنًا، لكن ماذا لو كان ما سمعه مجرد شائعات؟

يسأل: «هل صحيح أن المحميات أماكن آمنة للهاربين من التفكيك؟ هل صحيح أن المحظوظين لا يفككون؟».

يومئ ويل: «لم نوقع على اتفاقية التفكيك. لذا فنحن لا نحظر التفكيك فحسب، بل ولا نستخدم الأعضاء المفككة أيضًا».

يفكر ليف ساهمًا، غير مستوعب لفكرة وجود مجتمع لا يحصد الأعضاء: «إذن. . . من أين تحصلون على الأعضاء».

يقول ويل: «الطبيعة توفرها لنا، أحيانًا». تلوح تعابير غامضة على وجه ويل كأنها شبح خلف عينيه: «هيا، لنذهب في جولة حول المحمية».

بعد لحظات يقفان في شرفة مفتوحة على ارتفاع أربعة طوابق تقريبًا، يحدقان إلى غدير جاف بالأسفل. على الجانب الآخر من الوادي

منازل أخرى، منحوتة أيضًا من صخور حمراء، تبدو قديمة التصميم، لكن على نحوٍ ما حديثة ومنحوتة بدقة عالية. تقنيات العالم الجديد في خدمة احترام الأسلاف.

يسأل ويل ليف: «إنك لا تخشى المرتفعات، أليس كذلك؟». ولا ينتظر إجابة، إنما يتأكد من إحكام رباط جيتاره على ظهره، ويقفز على سلم حبال، ويتسلق هابطًا، وينزلق عدة ياردات أحيانًا.

يزدرد ليف ريقه متوترًا، لكن ليس مثل توتره قبل ثلاثة أسابيع. ظل يُقدِم على مخاطر كثيرة في الآونة الأخيرة. ينتظر حتى يبلغ ويل الأرض، ثم يكز على أسنانه ويتبعه. يصعب عليه الهبوط ومعصمه الأيسر ما زال مضمَّدًا، وتنقلب معدته كلما نظر إلى الأسفل، لكنه يبتسم عندما يبلغ الأرض، مدركًا دافع ويل لإرغامه على التسلق وحده. أول ما يفقده أي إوول هو كرامته. لكن السماح لليف بتسلق سلم الحبال وحده أعاد إليه كرامته.

عندما يلتفت ليف إلى ويل، يتفاجأ بأنهما ليسا وحدهما.

- ليف، هذا عمي بيفَيْن.

يصافح ليف الرجل الضخم بحذر، وعينه على البندقية المخدِّرة التي على ذراع الرجل اليسرى. يرتدي ملابس مهترئة من جلد الغزلان، وشعره الرمادي الطويل النافر من رباطه الجلدي يجعله بائس المظهر، لكن لا شك في جودة حذائه والساعة السويسرية على معصمه، وبندقيته المطعمة بالخشب المخطط الأنيق على الأرجح مصنوعة حسب الطلب.

يسأله ويل: «كيف كان صيد اليوم؟». ينبغي أن يكون سؤالًا عاديًا، لكن ليف يلاحظ نظرات ويل المتيقظة إلى عمه.

يفرك بيفَيْن عينيه قائلًا: «خدَّرنا لبؤة، لكن اضطررنا إلى إطلاق سراحها، وجدناها مرضعة. سنتجه إلى وادي كاش أوت في الصباح، سمعنا شائعات عن وجود أسد هناك. هل ستذهب معنا هذه المرة؟».

ويل لا يجيب، ويتساءل ليف عن مغزى النظرة الماكرة التي يرمق بيفَين بها ابن أخيه. افترض ليف أن جميع المحظوظين يصيدون، لكن ربما تكون هذه مجرد خرافة، مثل كل شيء في حياته.

يلقي بيفين نظرة على ليف: «تبدو بحالة أفضل مما وجدناكَ عليها، هل شفيت ذراعك؟».

- نعم، أفضل. شكرًا على إنقاذي.

لا يتذكر ليف أنه أُنقِذ، لا يتذكر الكثير بعدما هبط من الجدار سوى الألم الحاد في معصمه، ثم استلقائه على أوراق الصنوبر وأشواكها، موقنًا أنه يحتضر.

ثم يلقي بيفين نظرة حادة على جيتار ويل: «هل ستذهب إلى الكهف الطبي اليوم؟ هل ستزور جدَّك؟».

يكتفي ويل بقول: «ربما لا».

يخشوشن صوت الرجل، وتشوبه نبرة اتِّهامية: «أُناس الطب والموسيقيون لا يحق لهم اختيار مَن تشفيهم أياديهم، أو مَن يمهِّدون لهم طريق الموت». يشير بإصبعه إلى ويل: «افعلها من أجله يا تشوِيلاوُ». يحدقان إلى بعضهما للحظة مشحونة، ثم يتراجع بيفين خطوة ويعدِّل بندقيته: «أخبر جدك أننا سنجهز له قلبًا غدًا». ثم يومئ لليف برصانة مودِّعًا، ويغادر، لا يستخدم سلم الحبال، بل مصعدًا لم يره ليف، ولم يرغب ويل في أن يريه إياه.

***

يسيران وسط القرية، ويحس ليف، وقد اعتاد الضواحي السيينا الرتيبة، بأنه غريب على المكان بين المنازل الحمراء المشيدة على الجروف، والمنازل المشيدة بالطين المطلية بالأبيض، والأرصفة المكسوة بألواح الماهوغني الأنيقة. يبدو المكان بدائيًّا في الوهلة الأولى، لكن ليف يعرف مناطق الطبقات الثرية الراقية عندما يراها، إذ يرى سيارات فخمة مركونة في شوارع جانبية، ولوحات إرشادية ذهبية مثبتة في الجدران الطينية. كما يرى رجالًا ونساءً يرتدون بدلات عمل واضح أنها مصممة حسب أذواق المحظوظين، لكنها أرقى من تصاميم أشهر المصممين.

- أي عمل يمارسه قومك هنا؟

ينظر ويل إليه نظرة مرحة: «قومي 'محترفو قمار' عمومًا، أم إنك تسأل عن عائلتي تحديدًا؟».

يحمر وجه ليف، ويتساءل عما إذا أخبرت امرأة الطب ويل بتسميته الشائنة تلك للمحظوظين. ثم يقول: «الاثنان، على ما أظن».

- ألم تُجرِ البحث اللازم قبل أن تتسلق جدارنا؟

- كنت أحتاج إلى مخبأ ولم يكن لدي وقت لأختار كما يحلو لي. أخبرني فتى في محطة قطار بأنني سأجد حماية هنا، بما أنكم محميون، نظرًا إلى كل تلك الأمور القانونية التي لا أفهمها.

يلين ويل، ويقدم لليف تاريخًا موجزًا عن القبيلة: «عندما كان جدي طفلًا، اكتسبت المحمية ثروة طائلة، ليس من القمار فحسب، بل من دعاوى قضائية متعلقة باستغلال الأرض، ومحطة معالجة مياه، ومزرعة رياح توقفت عن العمل، وكازينوهات لم نكن نريدها لكن لم نستطع التخلص منها بعد معاملة مع قبيلة أخرى». يهز كتفيه متضايقًا: «ضربة حظ. أصبحنا أفضل حالًا من بعض القبائل».

ينظر ليف إلى الشارع أمامه، حيث تلتمع الأرصفة بالذهب، ويقول: «أفضل حالًا بكثير، حسبما يبدو لي».

يبدو ويل مُحرَجًا وفخورًا في آنٍ واحد ويقول: «أجل، بعض القبائل استثمرت أموال كازينوهاتها بحكمة، وبعضها بددته. ولاحقًا، عندما صارت الكازينوهات الافتراضية أفخم من الحقيقية وانهار كل شيء، حققت بعض القبائل مثلنا نجاحًا كبيرًا. نحن محمية راقية. إنك محظوظ لأنك لم تتسلق جدار محمية وضيعة، إذ ليس من المستبعد أن يبيعوا الهاربين من التفكيك لقراصنة الأعضاء».

بالطبع سمع ليف عن الفجوة في الثروة بين القبائل الثرية وبين الفقيرة، لكن بما أن كل القبائل لم تكن جزءًا من عالمه يومًا، لم يفكر بالأمر كثيرًا. ربما لا يحتاج أثرياء كهؤلاء إلى كسب المال من بيع الهاربين من التفكيك. مع ذلك يحاول ألا يسمح لشرارة أمله بالاشتعال، إذ تعلَّم سريعًا أن الأمل رفاهية لا يستطيع المطارَدون تحمُّل تكلفتها.

يقول ويل: «على أي حال، قبيلتي تعرف القانون وكيفية استغلاله. حتى إن أبي محامٍ، ساهم مساهمة كبيرة في تحسين أحوال عائلتنا. تدير أمي قسم طب الأطفال في الكهف الطبي، وتجد احترامًا كبيرًا. يأتينا أطفال القبائل الثرية من جميع أنحاء أمريكا الشمالية للعلاج».

يتعجب ليف من السخرية التي تشوب صوت ويل، لكنه يتحرَّج من طرح مزيد من الأسئلة. والدته قالت له إن من غير اللائق الحديث عن المال، لا سيما إذا لم تكن معرفتك وثيقة بالشخص الآخر. لكن من ناحية أخرى، بعد الاستماع إلى عزف ويل على الجيتار من أجله، يحس بأنه يعرفه أفضل مما يعرف أسرته.

يتوقف ويل أمام واجهة متجر صغير عند نهاية الشارع، ثمة لافتة منحوتة من خشب البلوط مكتوب عليها **وَتَّـار**. يحاول إدارة مقبض

الباب، لكن يجده موصدًا. يقول: «أردت أن أعرِّفك بخطيبتي، لكن أظنها خرجت في استراحة».

- خطيبتك؟

- نعم، هكذا تجري الأمور هنا.

ينظر ليف إلى اللافتة التي فوق الباب، شاعرًا بجهله الشديد: «إذن... ما هو الوتَّار؟».

- صانع جيتارات وآلات موسيقية وترية أخرى. أونا تلميذة لدى أفضل صانع جيتارت في المحمية.

- أتعني أنه يوجد أكثر من واحد؟

- إنه تخصص قبيلتنا على نحوٍ ما.

ينظر ويل فيما حوله، وخيبة الأمل بادية عليه، فيدرك ليف أن السبب على الأرجح هو أن ويل أراد التفاخر به أمام خطيبته. يقول ويل: «أمستعد للعودة الآن؟».

لكن ليف سئم من السبات في منزل ويل. وعلاوة على ذلك، إذا قُبِل طلب لجوئه، فقد يصبح هذا المكان دياره الجديدة. تُشعِره الفكرة بحماسة مشوبة بالخوف من مستقبل جديد ومجهول. لم يعرف ليف المجهول في حياته قط. إلى ما قبل ثلاثة أسابيع كان كل شيء مخططًا له بعناية، لذا لم يضطر يومًا إلى التفكير بمفهوم الاحتمالات. لكن الآن أمامه احتمالات كثيرة تسبِّب له الدوار.

- أرِني المزيد. ماذا عن مدارسكم؟ أي نوع من المدارس سألتحق بها؟

يهز ويل رأسه ضاحكًا: «إنك لا تعرف عنا شيئًا، أليس كذلك؟».

يرى ليف أن السؤال غير جدير بالإجابة، وينتظر توضيحًا.

يوضح ويل: «الأطفال الصغار يتعلمون ما يحتاجون إلى تعلُّمه من عائلاتهم الكبيرة والكبار في الأحياء. ومن ثم، عندما تتضح مواهبهم ومجالات شغفهم، يتتلمذون على يد أحد الجهابذة في المجال، أيًّا يكن ذلك المجال».

- يبدو لي أن تعلم مجال واحد أمر محدود.
- نتعلم أشياء كثيرة، من أناس كثر، خلافًا لما يحدث في عالمكم، حيث تتعلمون المعارف نفسها على يد المعلمين أنفسهم.

يومئ ليف وقد فهم القصد: «ثمة إيجابيات وسلبيات في كلتا الطريقتين على ما أظن».

يتوقع ليف من ويل أن يدافع عن تقاليد قبيلته، لكنه يقول: «أوافقك». ثم يردف: «لا تعجبني دومًا الطريقة التي تسير بها الأمور هنا، لكن طريقة تعلُّمنا ناجحة معنا، حتى إنها تهيِّئ تلاميذنا للجامعات بقدر ما يهيِّئ نظامكم التعليمي تلاميذكم. نتعلم لأننا نريد أن نتعلم، لا لأننا مُرغَمون، لذا نتعلم على نحو أسرع وأعمق».

عندئذٍ يسمع ليف صوتًا من خلفه.

- تشوِيلاوُ؟

يستدير ليف فيرى ثلاثة أطفال، يبلغون العاشرة تقريبًا، يحدقون إلى ويل بإعجاب. الصبي الذي تكلم نحيل كسهم، وعلى وجهه نظرة استعطاف.

يسأله ويل: «هل من خطب يا كيلي؟».

- لا. . . كل ما في الأمر. . الحكيمة مونا تسأل عما إذا بمقدورك أن تعزف لنا.

يتنهد ويل لكنه يبتسم، كأنه يحس بأنه يُستغَل وبالإطراء في آنٍ واحد: «الحكيمة مونا تعرف أنني غير مسموح لي بالعزف استجابة لنزوات الأطفال، لا بد من وجود ضرورة».

يقول كيلي مشيرًا إلى فتاة بجواره عيناها كئيبتان: «من أجل نوفا. منذ أن طلَّق والدها دليله الروحي، لا تكف والدتها عن التشاجر معه».

تقول نوفا مندفعة: «الوضع سيئ. أمي تقول إنها تزوجت نِسرًا، وليس أبوسوم. لكن أبي كان المحاسب الوحيد في مكتبه وليس أبوسوم. لذا يتشاجران الآن».

يهم ليف بالضحك، لكنه يدرك أن الأمر جاد ليس مدعاة ضحك.

يسألها ويل: «إذن ألا ينبغي أن أعزف لوالديك وليس لك؟».

تقول نوفا: «لن يطلبوا ذلك. لكن بعضًا مما تعطيني إياه ربما يؤثر فيهما».

ينظر ويل إلى ليف، ويهز له كتفيه، ويوافق على العزف. يقول للصبية: «ليس لمدة طويلة. ينبغي ألَّا يتعرض *ماهْبينا* الجديد لإثارة شديدة في أول يوم استيقاظه».

ينظر ليف إليه حائرًا.

- *ماهْبِي* اختصار لعبارة 'الساقط من السماء'، الاسم الذي نطلقه على كل إوول يتسلق الجدران ويهبط في المحمية كأنه سقط من السماء.

الحكيمة مونا امرأة ذات شعر أبيض، تلتقيهم عند الباب على بُعد بضعة شوارع، وتمسك يدَي ويل بكلتا يديها، وتسأله عن أحوال والديه. يجول ليف بناظريه في أنحاء الحجرة الدائرية ذات النوافذ الكثيرة، يرى خرائط على الجدران وطاولات حواسيب تجعل المكان أشبه بصف

دراسي، لكن قليلًا. وقرابة عشرة أطفال يتحركون هنا وهناك فيما يبدو فوضى تامة: اثنان يتجادلان بشأن حلزون على إحدى الشاشات، وطفل يتعقب مسارًا على خريطة لإفريقيا، وأربعة يمثِّلون مسرحية سيعرف ليف أنها مَكبث إذا كان يتذكر أعمال شيكسبير. وعدا عن الثلاثة الذين اختطفوا ويل، كان بقية الأطفال يلعبون لعبة معقدة على الأرضية بكومة من الحصى. مكتبة سُر مَن قرأ

تصفِّق الحكيمة مونا مرة، وعلى الفور ينظر الأطفال إليها، فيَرون ويل، ويحتشدون حوله. يبعدهم عنه، فيندفعون نحو مركز الحجرة، ويتبارون على الظَّفر بأفضل مكان على الأرضية. يقتعد ويل مقعدًا بلا ظهر، ويصيح كل الأطفال بمقطوعاتهم المفضلة، لكن الحكيمة مونا تسكتهم برفع يدها.

- الهدية لنوفا اليوم. لها الخيار.

تحاول نوفا مداراة غبطتها بتعابير رصينة وتقول: «أغنية الغراب وعصفور الدوري».

الأغنية مختلفة على نحو لافت عن الموسيقى التي عزفها ويل لليف. هذا اللحن مشرق ومبهج، ربما يستجلب شفاءً من نوع مختلف. يغمض ليف عينيه ويتخيل نفسه طائرًا في الصيف يرفرف بين أغصان في بستان يبدو كأنه يمتد إلى ما لا نهاية. تستحضر الموسيقى، ولو للحظة، إحساسًا ببراءة فُقِدت مؤخرًا.

وعندما تنتهي الأغنية، يرفع ليف يديه ليصفق، لكن الحكيمة مونا، وقد توقعت حركته، تمسك يده برفق قبل أن يفعل، وتهز رأسها ناهية.

يظل الأطفال جالسين ثلاثين ثانية صامتين، متشبعين بإحساس الأغنية. ثم تطلق الحكيمة مونا سراحهم، فيعودون إلى ألعابهم وتعلُّمهم.

تشكر مونا ويل، وتتمنى لليف التوفيق في رحلته الجديدة، ويغادران.

حالما يخرجان إلى الشارع يقول ليف: «إنك مذهل حقًا، أراهن أن بمقدورك جني الملايين بموسيقاك خارج المحمية».

يقول ويل كاسفًا: «أود ذلك، لكن كلانا يعرف أن ذلك لن يحدث».

يتعجب ليف من كآبة ويل، إذ يبدو له أن المرء ما دام لا يقلق من التفكيك، فبمستطاعه فعل أي شيء. يسأل: «لماذا التصفيق ممنوع؟ هل الناس هنا يخشون المصفقين؟».

يضحك ويل ويقول: «صدق أو لا تصدق، لا يوجد مصفقون في المحمية. أود أن أعتقد أن سبب ذلك هو أن الناس هنا لا يغضبون إلى درجة أن يصبحوا مفجِّرين انتحاريين ويجعلوا دماءهم متفجرة. . . لكن ربما يكون السبب هو أننا نُنفِّس عن غضبنا من العالم بطرائق مختلفة». يتنهد ويتابع: «لا، لا نصفق لأن التصفيق ليس من تقاليدنا. التصفيق للموسيقيين، وأي موسيقيٍّ 'ليس سوى أداة'. قبول التصفيق يُعد غرورًا». ثم ينظر إلى جيتاره، مداعبًا أوتاره بأطراف أصابعه، محدقًا إلى تجويفه، كما لو أن شيئًا سيتكلم من داخله: «كل ليلة أحلم بجمهور يهتف لي وأستيقظ شاعرًا بالذنب».

يقول ليف له: «لا تشعر بالذنب. في عالمي يريد جميع الناس أن يُهتَف لهم. الأمر عادي».

- أمستعد للعودة؟

لا يدري ليف ما إذا قصد ويل العودة إلى منزلهم أم إلى العالم خارج المحمية. لكن على أي حال لا يرغب ليف في العودة إلى أي منهما. يشير إلى درب متعرج منحدر: «ماذا يوجد بالأسفل هناك؟».

يتأفف ويل، ويبدو واضحًا أن مزاجه اعتكر من حديث ليف عن هتافات الإعجاب: «لماذا تريد رؤية كل شيء؟ ربما توجد أماكن يستحسن عدم الذهاب إليها!».

يحدق ليف إلى الأرض، متألِّمًا من التوبيخ إلى درجة لا يود الاعتراف بها.

وعندما يرفع بصره، يرى ويل يحدق منقبضًا إلى التلال الواقعة على الجانب الآخر من القرية، ثم إلى نهاية الدرب المتعرج. يقول لليف: «الكهف الطبي هناك بالأسفل، أمي تعمل هناك».

عندئذٍ يتذكر ليف أمرًا: «وجدُّك هناك أيضًا؟».

يومئ ويل، ويلوذ بالصمت هنيهة. . . ثم ينزع جيتاره ويخبئه خلف صخرة ضخمة: «هيا، سأصطحبك إلى هناك».

يسير ويل ساهمًا في الطريق المرصوف بالحجارة، يبدو وجهه مكفهرًا، ويتركه ليف وشأنه، مستغرقًا في ذكريات خاصة به. المصفقون يذكِّرونه بآخر مرة رأى فيها كونر وريسا، ويوخِزه الإحساس بالذنب. كانا قد أنقذاه، وفي خضم تشوشه بين ماضيه ومستقبله، خانهما. كونر وريسا تظاهرا بأنهما مصفقان جامحان، وتسببا في حالة ذعر. يأمل ليف أنهما هربا، لكن ليست لديه أي فكرة عما حل بهما، قد يكونان مفككين الآن، في 'الحالة المنقسمة'. كلما فكر بالأمر، ازداد مقته لهذا التعبير الملطف.

ينحني الطريق خارج القرية نحو الصدع العريض في الجرف، وينحدر نحو وادٍ مملوء بمبانٍ متلألئة من طابق واحد تفصل بينها أحزمة خضراء.

يوضح ويل باقتضاب في أثناء مرورهما: «المبنى الأول كوخ قسم طب الأطفال»، ولا يتوقف، لكن ليف ينظر عبر النوافذ، آملًا أن يرى امرأة الطب. يرى معالجين آخرين ومجموعات أطفال، لكنه لا يرى أم ويل.

يلقي ليف نظرة على ويل، فيراه يحدق إلى شخص ما على مبعدة أمامه، فتاة قصيرة ذات عينين لوزيتين دافئتين، وعلى صدرها شلال

من الريش، تبتسم ابتسامة باهتة تذكّر ليف بريسا. تقف أمام باب كوخ طبي آخر، وتنتظر عندما ترى ويل.

حتى قبل أن يتكلما، يدرك ليف أنها خطيبة ويل، ثمة صِلة بينهما ربما تكون أقوى من صلة ويل بجيتاره. وعند اقتراب ويل منها، يظن ليف أنهما ربما يقبّلان بعضهما، لكن ويل يمد يده إلى الشريط المملوء بالخرز الذي عقدت به شعرها ويحِلُّه، فيتدفق شعرها الأسود اللامع كشلال على كتفيها.

يقول مبتسمًا ابتسامة باهتة: «هكذا أفضل كثيرًا».

تذكّره: «لا يناسب الورشة، قد يلتف حول شفرة منشار، فينقطع رأسي».

يقول ويل بابتسامة ساخرة: «هذا ما أسميه تفكيكًا!». تحدجه بنظرة صارمة، فيضحك.

- أونا، هذا ليف. ليف، أونا.

- مرحبًا.

تقول: «سررت بلقائك يا ليف»، وتحاول اختطاف الشريط من يد ويل، لكن بما أنه أطول منها بقدم، يرفع الشريط بعيدًا عن متناولها. «أعِده لي يا فتى الجيتار». ومن ثَم، كأنها تدربت لسنوات، تقفز وتنتزعه من يده. تغمز لليف وتقول له: «تعلَّم يا أخي الصغير، ما دمت تتسكع مع هذا الشخص، فستحتاج إلى تعلم هذه الحركة».

لا يدري ليف سبب مخاطبتها له بأخي صغير، لكنه يشعر بالسرور.

تنظر أونا إلى ويل مليًّا: «هل عاد عمك؟».

يتشبَّع الهواء بينهما بتوتر ملحوظ. ويلاحظ ليف أن هذا الكوخ الضيق الطويل فوق بابه لافتة منحوتة من أحرف خشبية كبيرة مكتوب عليها: 'أمراض القلب'.

يقول ويل: «نعم، لم يجد شيئًا. هل جئتِ لزيارة جدِّي؟».

- لا بد أن يزوره أحد. إنه هنا منذ أسابيع، كم مرة جئتَ لزيارته؟

- كفِّي عن هذا يا أونا. يكفيني التوبيخ الذي أتلقاه من أسرتي.

- تتلقاه لأنك تستحقه.

- حسنًا، إنني أزوره الآن، أليس كذلك؟

- أين جيتارك إذن؟

يتغضَّن وجه ويل، ويشيح ليف بوجهه، غير راغب في رؤية الدموع التي تترقرق في عينيه: «أونا، لا أستطيع. إنه يريد مني تمهيد طريقه إلى الموت. لا يمكنني فعل ذلك!».

- ذلك لا يعني أنه سيموت فعلًا.

يرتفع صوت ويل: «إنه ينتظرني بدلًا من انتظار قلب».

ورغم أن ليف غير مُلِم بتفاصيل الموضوع، يلمس ذراع ويل ليسترعي انتباهه ويقول: «ربما ينتظر الاثنين. . . لكنه سيقبل بأحدهما إذا لم يستطع نيل الآخر».

ينظر ويل إليه كأنه يراه أول مرة، وتبتسم أونا وتقول: «أحسنت قولًا يا أخي الصغير. إذا كنت واحدًا منا، لكان دليلك الروحي بومة».

يحس ليف بوجهه يحمر قليلًا ويقول: «بالأحرى غزال أمام مصابيح سيارة».

يتبعهما ليف إلى الداخل ثم إلى الطرف القَصِي من المبنى، حيث توجد حجرة دائرية واسعة مقسمة إلى أربعة تجاويف مفتوحة. لا يبدو

المكان كمستشفى، بل أقرب إلى منتجع. ثمة نوافذ ضخمة مؤطرة بخشب منحوت، وزهور متفتحة تزين الجدران، وفي منتصف الحجرة نافورة تنساب مياهها بنعومة فوق منحوتة نحاسية تبدو كتميمة حماية تقليدية. وفي كل تجويف أجهزة طبية حديثة، لكن موضوعة في أماكن خفية حتى لا تشوه طبيعة المكان الباعثة على السكينة.

من بين الأسِرَّة الأربعة اثنان فقط مشغولان، في السرير الأقرب إلى الباب تستلقي امرأة شابة مضطربة الأنفاس وشفتاها مزرقتان، وفي السرير الأبعد رجل عجوز نحيل، يبدو طويلًا حتى وهو مضجع. يتباطأ ليف عند المدخل مع ويل وأونا، إلى أن يأخذ ويل نفسًا عميقًا ويتقدمهم إلى الداخل، راسمًا على وجهه ابتسامة متكلفة.

يجد جده مستيقظًا، وعند رؤية ويل يضحك مغتبطًا، لكن الضحكة تتحول إلى سعال خشن.

- جدي، هذا مريض أمي، ليف. ليف، هذا جدي توشو.

يقول توشو: «تفضلوا بالجلوس. إذا ظللتم واقفين حولي هكذا سأشعر بأنني مت سلفًا».

يجلس ليف مع رفيقيه لكنه يدفع كرسيه الوثير إلى الخلف قليلًا، منزعجًا من مدى شحوب الرجل العجوز، ووجهه الضامر وأنفاسه المرتعشة. يرى ليف الشَّبَه العائلي، ويزعجه أن هذا الرجل الواهن على الأرجح كان يبدو مثل ويل قبل ستين عامًا. هذا الرجل يحتضر لأنه لا يجد قلبًا. فيتذكر ليف القلب الذي كان من الممكن أن يوفره لشخصٍ ما. هل مات شخص لأن ليف احتفظ بقلبه لنفسه؟ ما زال جزءٌ منه يريد أن يشعر بالذنب من ذلك، وهذا يغضبه.

يمسك ويل بيد جده ويقول: «عمي بيفَين يقول إنه سيجلب قلب أسد جبال غدًا».

يقول توشو: «ذلك الرجل يقول غدًا دومًا. وأفترض أنك ستعزف لي غدًا أيضًا؟».

يومئ ويل مترددًا، ويلاحظ ليف أنه يتحاشى النظر إلى عيني الرجل العجوز: «لم أجلب جيتاري معي اليوم. لكن نعم، غدًا بالتأكيد».

يلوح توشو بإصبعه نحو ويل: «ولا أريد سماع مزيد من الكلام عن تغيير دليلي إلى خنزير». يتبسم ابتسامة واسعة ويردف: «ذلك لن يحدث».

ينظر ليف إلى ويل متسائلًا: «خنزير؟».

- والد نوفا ليس الوحيد الذي طلَّق دليله الروحي. أبي يكتب طلبات للمجلس القبلي طوال الوقت ليسمحوا بتغيير الدليل الروحي لأي شخص يريد تغييره لحيوان أكثر. . . نفعًا. ليس أمرًا مهمًّا.

يقول توشو ثائرًا: «إنه أمر مهم لي. الأسد اختارني»، ويلتفت منهكًا إلى ليف: «حفيدي يرى أنني ينبغي أن أغير دليلي الروحي إلى خنزير، حتى يمكنني إيجاد قلب جديد بسرعة وسهولة. ما رأيك؟».

يلقي ويل على ليف نظرة تحذيرية، لكن أونا تومئ له، تمنحه إذنًا صامتًا بالتعبير عن رأيه. لكن كيف له أن يُكوِّن رأيًا؟ يقول ليف: «كل هذا جديد علي، لا أظنني قد أقبل بعضو حيوان يومًا. . . لكن يا سيدي، أرى أن ما يحفظ لك كرامتك، أيًّا كان، هو القرار الصحيح».

يعبس ويل بشدة، فيتراجع ليف: «لكن من ناحية أخرى، لا بأس بقلب خنزير ما دام يؤدي الغرض. بما أنني آكل لحم الخنزير، فلا يجوز لي أن أعارض استخدام قلبه، أليس كذلك؟».

يبدأ العجوز الضحك/السعال مجددًا.

يقول ليف: «امم. . . ربما يجدر بي الانتظار بالخارج»، ويهم بالنهوض والهروب، لكن أونا توقفه.

- لا تغادر. من الجيد أن نحظى بوجهة نظر جديدة من شخص من العالم الخارجي، أليس كذلك يا ويل؟

يفكر ويل، ويقول: «يمكننا أن نتعلم أشياء من العالم الخارجي، كما يمكنهم تعلُّم أشياء منا. وإذا تسبب تقليد قديم في إنهاء حياة شخص مبكرًا، فما فائدته؟». ثم يلتفت إلى ليف، ويجعله وسيطًا مرة أخرى: «لم تعد توجد أسود جبال كثيرة في المحمية يا ليف، لكن ثمة وفرة في الخنازير، وخيول الموستانغ، والخراف. ليس من العقلانية أن يصر المرء على نيل عضو حيواني من دليله الروحي فقط. اختيار حيوان مختلف حل منطقي بسيط. ألا ينبغي أن يتغلب المنطق على التقاليد؟».

لا يُحر ليف ردًّا، ثم يدرك أن بوسعه المراوغة: «في ألعاب القمار التي تعتمد على الحظ، لا أحد يفوز سوى الكازينو».

يخيم الصمت عليهم لوهلة، ثم تميل أونا برأسها إلى الخلف ضاحكة: «بومة بلا شك».

ينظر توشو إلى ويل ويقول: «يجب أن أسمع عزفك غدًا، عليك أن تمهِّد لي طريق الموت. إنك تخزيني بالرفض، وتُخزي نفسك».

يقول ويل: «سأعزف من أجل شفائك فقط يا جدي، بعدما تنال قلبًا جديدًا».

يحدق العجوز إلى حفيده بصرامة وقد اعتكر مزاجه، ثم يلتفت إلى النافذة، متجاهلًا وجود زائريه. انتهت الزيارة.

***

يقول ويل لليف في أثناء عودتهما إلى منزل ويل الواقع على جانب الجرف: «في حين كان عالمكم يركز على تجارة وعلم التفكيك، عمل علماء القبائل على إتقان تقنيات نقل الأعضاء من الحيوانات إلى البشر».

افترقت أونا عن ويل إثر قبلة حميمية على خده وعادت إلى ورشة الوتَّار. ثم انتظر ويل حتى مغادرتها قبل أن يستعيد جيتاره، ثم تابع حديثه مع ليف: «تغلبنا على رفض الجسم للأعضاء المزروعة والمشكلات الأخرى المتعلقة بنقل الأعضاء بين الكائنات المختلفة. الشيء الوحيد الذي لا يمكننا استخدامه هو أنسجة أدمغة الحيوانات، لأنها لا تفكر مثلنا، ولا ينجح الأمر فحسب».

يسأله ليف: «لماذا لم تشاركوا معارفكم مع علمائنا؟».

ينظر ويل إلى ليف كأن سؤاله غبي، ويقول له: «فعلنا. لكنهم لم يكترثوا. بل إنهم عَدُّوا ممارستنا غير أخلاقية، ومنحرفة».

يعترف ليف مع نفسه أن جزءًا منه -الجزء الذي تكيَّف مع عالم تُقبَل فيه ممارسات التفكيك ونذر الأطفال- يوافق ويل الرأي. من الغريب أن القيم الأخلاقية، التي تبدو واضحة المعالم دومًا، يمكن أن تتأثر تأثُّرًا كبيرًا بالتنشئة.

يتابع ويل: «على أي حال، خبراؤنا القانونيون وضعوا مجموعة من القوانين المتعلقة باستخدام هذه التقنيات، بناءً على معتقداتنا التقليدية. عندما يقترب المحظوظون من سن البلوغ، يتعيَّن على كل واحد منهم استجلاء رؤيته واكتشاف دليله الروحي، الذي قد يكون طائرًا، أو حشرة، أو حيوانًا أكبر. وبطبيعة الحال، عندما أُعلِنت قوانين المجلس المتعلقة بنقل الأعضاء، كان لافتًا أن كثيرًا من الصبية، بإيعاز من آبائهم، اختاروا الخنازير».

لا يستوعب ليف الأمر إلى أن يوضح ويل له أن الخنازير، عدا عن الثدييات الرئيسية، هي الأقرب إلى البشر بيولوجيًّا. يقول ويل: «أسد الجبل من أسوأ الخيارات، لأنه مهدد بالانقراض، ومختلف اختلافًا بيولوجيًّا كبيرًا عن البشر، وعلاوة على ذلك، الحيوانات اللاحمة لا تعيش طويلًا مثل العاشِبة، لذا تضعف قلوبها بسرعة».

يسأله ليف: «إذن ما هو دليلك الروحي؟».

يضحك ويل قائلًا: «سأقع في مأزق أكبر إذا احتجت إلى عضو يومًا. ظَهَر لي غُراب». يلوذ بالصمت هنيهة، مستغرقًا في أفكاره، كما يفعل عندما يعزف، ثم يتابع: «يقولون عن موسيقاي إنها هِبة لكنهم يعاملونها كأنها التزام مفروض علي، يُشعِرونني بالخزي إذا لم أستخدمها كما يريدون». يبصق، راسمًا بقعة داكنة على صخرة كبيرة يسيران جوارها: «لن أقبل بعضو بشري أبدًا يا أخي الصغير. . لكن ثمة أشياء كثيرة في عالمكم يمكنني القبول بها».

- مثل جمهور يهتف لك؟

يفكر ويل ويقول: «مثل. . أن أحظى بالتقدير».

4 - ويل

يدرك ويل أنه أفضى بكثير جدًّا من مكنونات قلبه إلى ليف. الإوول هو من يُفترَض أن يفضي إليه بمكنونات قلبه، حتى يجد السلوان في تقبُّله له، وليس العكس. يعقد عزمه على إغلاق قلبه بمزيد من الإحكام.

وفي اليوم التالي، يُعِد ويل إفطارًا مكونًا من عصيدة له ولليف، وعندئذٍ يتصل والده هاتفيًّا، فتتلقى والدته المكالمة في المكتب، متوقعةً خبرًا سيئًا، ثم تخرج وتفتح المكالمة عبر مكبر الصوت، إذ اتضح لها أن الخبر ينبغي أن يسمعه جميع الحاضرين.

يسمع ويل والده يقول: «اصطدنا أسد جبال بعد نصف ساعة من بدء صيد اليوم، بيفَين يستخرج قلبه الآن».

يغمر المنزلَ ارتياحٌ عارم. حتى ليف، الذي لم يقابل الجد سوى مرة واحدة، يبدو مبتهجًا.

تقول والدة ويل: «ويل، اذهب الآن وأخبر جدَّك، بسرعة. هذه المرة ينبغي أن ينتقل الخبر الطيب أسرع من الخبر السيئ».

يحمل ويل جيتاره ويطلب من ليف مرافقته. حتى إنه يصطحب ليف عبر المصعد بدلًا من إرغامه على بذل مجهود تسلق سلم الحبال.

***

يقول ويل: «إنك رجل عنيد يا جدي، لكن أخيرًا نِلتَ قلب أسد!» ويأخذ جيتاره من ظهره متأهبًا لعزف بعض الألحان الشافية حتى قبل زراعة القلب.

يرد العجوز باقتضاب: «العناد من سِمات عائلتنا». ويلاحظ ويل أن جده ينظر إلى ليف، ليس لأنه يولي ليف انتباهه، إنما لأنه يتحاشى النظر إليه، فيقلق ويل.

- ما الخطب يا جدي؟ ظننتك ستسعَد بالخبر.

- لسَعِدت، إذا كان القلب لي.

- معذرة، ماذا؟

يشير الجد بإصبع مرتعشة نحو الحشد المحيط بسرير المريضة الأخرى. لاحظ ويل وجودهم بالكاد عندما دخل، متحمسًا لتبليغ جده بالخبر، لكن بدا أن الخبر بلغه سلفًا. المرأة في السرير الآخر في أواخر العشرينات أو بداية الثلاثينات من عمرها، وعائلتها حولها تبدو سعيدة جدًّا رغم حالتها الحرجة.

يقول الجد: «القلب سيكون لها. اتخذت قراري».

ينهض ويل بسرعة تجعل الكرسي يسقط إلى الخلف: «ما الذي تقوله؟».

- يستحسن ألّا نراهن عليَّ يا تشويلاو، إنني متقدم في السن، وينبغي منح القلب لشخص آخر لديه فرصة أفضل في نجاح العملية. دليل تلك المرأة الروحي أسد أيضًا.

يقول ويل بشراسة: «القلب وجدته عائلتك». يتكلم بصوتٍ عالٍ يمكن للمرأة سماعه. جيد. يريد لهم أن يعرفوا رأيه: «وجدته عائلتك، مما يعني أنه من المفترض أن يكون لك أنت فقط».

تميل نظرات جده نحو ليف مرة أخرى، فيغضب ويل: «لا تنظر إليه، إنه ليس واحدًا منا».

- لذا سيكون موضوعيًّا، سيكون رأيه مجرَّدًا من أي تحيُّز.

يتراجع ليف خطوة، ويبدو واضحًا أنه لا يريد أن يُقحَم في الأمر بقدر ما لا يريد ويل.

لا يقول ليف سوى: «إنه قلبك».

يكاد ويل أن يسترخي، مسرورًا بوقوف ليف إلى جانبه، لكن جده يقول: «أرأيت؟ الصبي يوافقني الرأي!».

يقول ويل وليف بصوت واحد: «ماذا؟».

يوضح الجد: «إنه قلبي، مما يعني أنني لدي الحق القانوني الكامل في اتخاذ قرار ما أفعل به. وقد قررت أن أهديه إلى تلك المرأة الشابة. انتهى النقاش».

الغضب والحزن يكادان أن يُذهِبا عقل ويل. يندفع خارجًا من كهف قسم أمراض القلب، لكن ما من مهرب. يبلغ خبر قرار الجد بقية أفراد العائلة بسرعة. وفي غضون ساعة، بينما ما يزال ويل يغلي ويثور بالخارج، متجاهلًا محاولات ليف لتهدئته، بدأ أفراد عائلته يتوافدون: والداه، ثم عمه بيفين وأسرته. ويرى أصدقاء جده المقربين، ويرى أونا. جميعهم طُلِب منهم الحضور لتوديع العجوز. جاؤوا من أجل الوداع الأخير الطويل.

عند دخول والدة ويل إلى كهف أمراض القلب تقول له بنبرة لطيفة: «افعلها من أجله، أرجوك يا ويل، اعزف من أجله».

ينتظر ويل بالخارج إلى أن يدخل الجميع، حتى ليف. ثم يسير المسافة الطويلة عبر الرواق نحو الحجرة الدائرية عند نهايته. تمر المرأة ذات الشفتين المزرقتين بجواره على كرسي مدولب، وخلفها عائلتها، وقد جُهِّزت سلفًا للعملية الجراحية.

داخل الحجرة يجلس أفراد عائلته على الكراسي وعلى الأرضية، وقد حجز ليف كرسيًّا لويل، يثبِّت جده نظراته عليه وهو يتخذ موضعه. يبدأ العزف. في البداية يعزف ألحانًا شفائية، لكن الإيقاع سريع جدًّا،

ويعزف الألحان يائسًا بشدة. لكن لا يوقفه أحد. ومن ثَم، بمرور الوقت، تتحول الأغاني إلى مرثيات سفر، ألحان القصد منها تمهيد طريق المرء من هذا العالم إلى التالي.

وخلال الساعات القليلة التالية يذوب ويل في موسيقاه إلى درجة أن عائلته تتجاهل وجوده، يسمعهم بالكاد وهم يودِّعون جده، وبالكاد أيضًا يسمع كلام جده عن رحلة الروح من معبدها الزائل إلى عوالم أخرى. يتجاهل ليف، الذي يبدو غريبًا على المكان على نحو أشد في وجود العائلة. تقرفص أونا جوار ليف بالقرب من النافذة، تستمع إلى عزف ويل، لكنه لا ينظر إليها. يلمح ويل وجه والده متغضِّنًا من الحزن. ما زال والده يرتدي ملابس الصيد، وكذلك عمه بيفين، لكن بيفين ملطخ بدماء الحيوان. تتسلل من خارج الكهف نار مخيم، تعبيرًا من عائلة المرأة عن شُكرهم وابتهاجهم.

وعند ميل الشمس نحو المغيب، يكاد توشو يبدو كأنه يتلاشى أمام عائلته، مستسلمًا للنداء القادم من العالم الآخر. ومن ثم، في لحظاته الأخيرة، يمد يده ليوقف ويل عن العزف، ويشير إليه بالاقتراب.

لديه طلب أخير من ويل، ويهمس به بكلمات متقطعة، يوافق ويل، لأنه ليست لديه القوة للجدال بشأن الغد، لأن جده ليس لديه سوى اليوم.

يُقطَع الوعد، ثم يعود ويل للاستغراق في الموسيقى مجددًا، مدركًا بالكاد لوالدته وهي ترتدي ملابس المستشفى البيضاء وتتحقق من مؤشرات جده الحيوية وتهز رأسها. يعزف ويل وأنفاس جده تتباطأ. يعزف ويل وعمه بيفين ينتحب بصمت. يعزف ويل، وموسيقى جيتاره تسربل كل شيء، إلى أن تحمِل روحَ جده إلى مكان لا يستطيع ويل رؤيته. وأخيرًا عندما يرفع أصابعه عن آلته الموسيقية، لا يجد حوله شيئًا سوى صمت مطبق.

5 - ليف

في منتصف المحمية تمامًا، على بُعد أميال من قُراها الكثيرة، تمتد مقابر المحظوظين. كثير من العائلات تبنَّت استخدام الثقافة الغربية للتوابيت، والعائلات التقليدية تدفن موتاها مكفَّنين بأقمشة، وبعض العائلات ما زالت متمسكة بأقدم الطقوس. تتفاوت درجات التمسك بالتقاليد في عائلة ويل، لكن جده كان تقليديًّا حتى النخاع، لذا ستقام جنازته باتباع الطقوس القديمة.

توشو ممدد على منصة عالية مصنوعة من خشب الحور القطني، ومحاطة بأغصان العرعر. وثمة أعمدة خشبية معلق عليها سلال من الخيزران مزينة بأنياب أسد وملأى بطعام للحياة الأخرى. توقد نار، وينتشر الدخان مع الرياح. يشاهد ليف منتبهًا، عازمًا على الاحتفاظ بالذكرى.

تشرح أونا له: «أسلافنا اعتقدوا أن روح الميت تنتقل إلى العالم السُّفلي».

يُصدم ليف: «العالم السفلي؟».

تقول أونا متفهِّمة ما يظنه: «ليس الجحيم، إنه المكان الذي تقطنه الأرواح، سواء كان بالأسفل أو بالأعلى، هذه الاتجاهات لا تعني الكثير في الحياة الأخرى».

يلاحظ ليف أن ويل يقف منعزلًا، كأنه صار الغريب فجأة. يسأل أونا: «لماذا لا يشارك ويل في المراسم؟».

- كان ويل يمتثل لتقاليدنا لأنه أحب جده. والآن عليه أن يقرر بنفسه إذا كان يريد أن يتبع التقاليد أم لا. وأنت كذلك.

يظن ليف أنها تمزح: «أنا؟».

- عندما يوافق المجلس على طلب إقامتك، سوف تُتبنَّى بوصفك أحد أبناء القبيلة. وعلاوة على حمايتك من التفكيك، سيجعل التبنِّي محميتنا ديارك الرسمية. ومثل جميع الناس هنا، عليك أن تختار جانب جدار المحمية الذي تنتمي إليه روحك.

يبذل ليف كل ما بوسعه ليستوعب ما سمعه، لم يفكر بكل هذا، لم يفكر في إيجاد مكان آمن يمكنه أن يسميه دياره.

تقول أونا له: «جد ويل أعطاك هدية يا ليف».

يعجز ليف عن تخيُّل الهدية، ويتملَّكه الترقُّب.

- أعطاك الهدية نفسها التي أعطاها لويل، لكن ويل لم يعرفها بعد. في فراش موته طلب توشو من ويل أن يصطحبك في رحلة استشراف الرؤية.

يتغير اتجاه الرياح فجأة، وتدمع أعينهما من الدخان.

***

يُقرر بدء استشراف الرؤية بعد عشرة أيام، ويُضمُّ ليف إلى مجموعة الصبية والفتيات، إكرامًا لأمنية توشو على فراش موته. وينضم ويل إليهم أيضًا، إكرامًا لطلب جده الأخير.

يبدأ استشراف الرؤية في كهف تعرُّق. تسود الفوضى عند محاولة احتجاز قرابة اثني عشر صبيًّا في العاشرة والحادية عشرة من أعمارهم

وإبقائهم مشغولين وهم جالسون حول صخور ساخنة ويتعرضون لبخار كثيف. يشربون جالونات من شاي الصبَّار المُملح ولا يغادرون حر الكهف إلَّا ليتبولوا، وهذا لا يحدث كثيرًا، إذ يتعرقون كل ما يشربون تقريبًا.

دائمًا ما يشعر ليف بأنه الأصغر في أي مجموعة يجد نفسه بينها، لكن الآن هو الأكبر سنًّا، كما لو أنه لا يشعر بأنه غريب سلفًا.

وبعد كهف التعرُّق، يسيرون إلى الجبال، وما من طعام في أثناء الرحلة، لا شيء سوى مشروبات ثخينة مريعة مذاقها كالأعشاب.

يقول ويل له: «التعرُّق والصوم يهيِّئان الجسد لاستشراف الرؤية». بيفين هو المسؤول عن الرحلة، وويل مساعده المتبرِّم. يردف كأنه يريد إغاظته: «وبالطبع أنا وعمي نتناول طعامًا حقيقيًّا». يعرف ليف أن ويل لم يحضر إلَّا لأنه وَعَد جده.

في الليلة الأولى يرى أحد الصبية رؤية يرويها للأطفال عند الإفطار في اليوم التالي: روح خنزير اقتادته إلى محكمة وقالت له إنه سوف يصبح قاضيًا.

يقول كيلي، الصبي النحيل مفرط النشاط الذي يبدو كأنه يتحدث بالنيابة عن الجميع: «إنه يكذب. بِكَم تودون المراهنة على أن والديه طلبا منه قول ذلك؟».

يبدأ ويل التحري في صدق الصبي، لكن بيفين يرفع يده ويوقفه.

يسمع ليف من بعيد بيفين يقول لويل: «إذا رأى الصبي رؤية حقيقية، فسيختارها على الكذبة».

في اليوم التالي تقام مسابقة رمي سهام. ومن حسن حظ ليف أنه كان مولعًا بالرماية قبل بضع سنوات ونال الميدالية الفضية في مسابقة على مستوى المدينة. لكن للأسف لا يساعده ذلك هنا. يحل في المركز الأخير.

وفي اليوم الثالث، يسقط ليف ويلوي معصمه مجددًا. ينسى ماهية النظافة، وتغطية لسعات البعوض. يتملكه البؤس والإرهاق، وينبض رأسه من الألم.

لماذا إذن يجد هذا أسعد أسبوع في حياته؟

كل ليلة يشعلون نارًا، ويعزف ويل على جيتاره. أهم أحداث اليوم. وكذلك القصص التي يرويها بيفين، قصص فولكلورية تقليدية، بعضها مضحك وبعضها غريب. يحب ليف مشاهدة الصبية حوله ينحنون قريبًا من الراوي وأعينهم متسعة من الدهشة.

وفي اليوم الرابع، ينتابهم التوتر جميعًا، ولا يدري ليف ما إذا كان السبب هو عدم تناولهم الطعام أم عاصفة قادمة من الجبال الواقعة ناحية الشمال. يتململ الصبية عند الإفطار في الجو الحار الرطب. عندما يدلق أهوتي مشروب أعشابه على لانسا، يتشاجر الاثنان شجارًا حاميًا يتطلب فضه قوة ليف وويل وبيفين معًا.

يتضايق ليف من إحساسه بأنه مُراقَب. يحدق إلى الغابة كلما سمع طائرًا يحلِّق من شجرة أو غصنًا ينكسر. يعرف أنه يتوهم على الأرجح، لكن الوقت الذي أمضاه هاربًا من التفكيك ما زال يجعله مرتابًا. ينتقل تململُه إلى الصبية الأصغر منه، إلى أن يرسله بيفين بعيدًا ليستريح.

في البداية يجد راحة في انعزاله في الخيمة الصغيرة، لكن سرعان ما تضيق عليه جلود الغزلان وتدفعه الجوارب النتنة إلى الخارج. يسمعُ الصبيةَ الآخرين وهم يغسلون أقداح الإفطار في الساحة الخالية من الأشجار. يخفض رأسه ويجلس وسط أجمة الخيام مُصالبًا ساقيه، على طريقة المحظوظين، ويتمنى اندلاع العاصفة حتى تنتهي.

- ليف؟

يرفع بصره، فيرى كيلي يقف مرتبكًا أمامه. يجلس كيلي، لكنه لا ينظر إلى ليف مباشرة في البداية، وعندما ينظر إليه أخيرًا، يقول: «حظيتُ برؤيتي ليلة أمس».

لا يُحر ليف ردًّا، ويتساءل عما دفع كيلي إلى المجيء إليه بدلًا من بيفين أو ويل.

كيلي أيضًا يبدو حائرًا إزاء ما ينبغي له قوله، فيستحثه ليف: «إذن رأيت دليلك الروحي؟ لم يكن خنزيرًا، أليس كذلك؟».

يتكلم كيلي ببطء: «لا. . . كان عصفورًا دوريًّا، مثل اسمي».

يُدهَش ليف. يبدو من الملائم أن يعني الدليل الروحي شيئًا خاصًّا للصبي، إلَّا إذا كان الهدف منه أن يكون مصدر أعضاء جسدية.

- ماذا حدث؟

يهمس الفتى بصوت منخفض فيضطر ليف إلى أن يميل إلى الأمام حتى يسمعه: «أمر سيئ».

تعود كل المخاوف التي كانت تنهش ليف منذ الصباح: «ما الأمر السيئ؟».

ينظر كيلي إليه، ويسحق أوراق الأشجار متوترًا: «لا أدري. لكنني رأيتك تغادر. لن تغادر، أليس كذلك؟».

يحس ليف كأنما أصابه سهم في صدره، ويعجز عن التنفس. يحاول تذكُّر ما قاله ويل له. الجوع والتعرُّق قد يسبِّبان هلوسات وأحلامًا غريبة. أو ربما توقع شخص ما أمام كيلي أن كل *ماهْبي* يغادر دومًا، فحلم كيلي بذلك.

يقول ليف: «لن أغادر». مطمئنًا نفسه بقدر ما يحاول طمأنة كيلي.

يقول كيلي له: «في الرؤية كنتَ تجري، أراد أناسٌ إيذاءك. . . وأنت أيضًا أردت إيذاءهم».

6 - ويل

في وقت مبكر من ذلك الصباح، كان ويل قد أخبر بيفين بأنه ذاهب لجمع حطب النار، لكن في الحقيقة كان يحتاج إلى الابتعاد فحسب، ليجد مكانًا يفكر فيه. والآن يقتعد صخرة ضخمة على جانب جرف مطل على الغابة ويوفر له منظورًا أوضح لحياته. يرى المخيم من مكانه، أو على الأقل جزءًا منه. ورغم أنه ينوي أن يعود بالحطب، لا ينوي العودة قبل مُضي بعض الوقت.

لا يعود ويل قادرًا على إنكار الامتعاض الذي يتراكم بداخله، وقد ظل يتراكم قبل وقت طويل من جنازة جده. *ويل، اعزف لنا أغنية للشفاء. ويل، اعزف لنا أغنية للسكينة. ويل، اعزف لنا أغنية للاحتفال، للتهدئة، للصبر، للحكمة. . .* القبيلة استخدمته كأنه آلة موسيقية، لا أكثر، آلة لا يستطيع التحكم في تشغيلها وإيقافها. ربما حان الوقت ليعزف لسبب مختلف، من اختياره هو.

لذا يقرر ويل أنه عندما تنتهي رحلة استشراف الرؤية هذه، ويكون قد أوفى بوعده لجده، أنه لن يبقى في المحمية، حتى إذا بقي ليف. يعقد عزمه على أن الوقت قد حان لمغادرة المحمية والتخطيط لمستقبل جديد لنفسه، ولأونا أيضًا. . . إذا قررت أن حبها له يفوق حبها للمحمية.

7 - ليف

يحاول ليف ألَّا يرتعد من تداعيات رؤية كيلي. حلم ليف بنفسه يجري أيضًا. وقد حلم بالانتقام، ليس انتقامًا من أي أحد على وجه التحديد، بل من الجميع في وقت واحد، العالم بأسره. يعتريه إحساس قاتم كالسُّحب الرعدية التي في الأفق، لن يكون تبديده سهلًا.

يقول لكيلي بثقة لا يشعر بها حقًّا: «إننا في المحمية، محاطون بجدران وقوانين تحمينا». ثم يردف كأنه يحادث نفسه: «ما من أحد نهرب منه هنا».

وعندئذٍ، حالما تخرج الكلمات من شفتيه، يسمع صوتًا من الغابة مجددًا، وهذه المرة يرافقه صياح، صرخات عالية من الدهشة، وربما حتى الرعب.

ينطلق ليف نحو الساحة الخالية من الأشجار، وكيلي في أعقابه، ويجدان الأطفال واقفين يحدقون إلى بيفين الممدد ووجهه على التراب.

تصفِّر رصاصة مخدرة عند مرورها جوار أذن ليف، وتنغرز في جذع على بُعد بوصات من قدم كيلي.

يزعق ليف: «انخفضوا!»، ويجذب كيلي إلى الأرض ويحيطه بذراعه، فيحذو الصبية الآخرون حذوه، ينبطحون على الأرض وعاصفة من الرصاص المخدر تجتاح المخيم. مذعورًا ينظر ليف فيما حوله بحثًا عن ويل، لكن لا يراه في أي مكان.

الأمر بيد ليف الآن.

لا يكبُر الصبية الآخرين إلَّا بعامين، لكنهم ينظرون إليه مستنجدين. ينتقل إلى وضع الحماية، كما فعل يومًا مع ساي-فاي.

تداهمه أفكار مروعة وهو ينظر إلى الأشجار المحيطة: *لقد وجدوني، سيأخذونني إلى مخيم حصاد، سيُنفَّذ نذر العُشر في نهاية المطاف.* يعتريه الخوف، لكن غضبه يتغلب على خوفه. يفترض أن يكون هذا ملاذًا آمنًا. يُفترض أن المحظوظين محميون. لكن هل تشمل الحماية الساقطين من السماء؟

ربما وشى به شخص في المحمية قبل أن يوافق المجلس على طلب لجوئه.

يتململ كيلي نافد الصبر تحت ذراع ليف ويتساءل: «لماذا لا نقاومهم؟».

لكن ليف لا يدري أين بندقية بيفين المخدرة، وحتى إذا وجدها، فلن يعرف إلى أين ينبغي له تصويبها.

يأمر كيلي والآخرين: «ابقوا هنا، لا تتحركوا إلى أن أقول لكم». ثم يزحف عابرًا الساحة على مرفقيه وقدميه كجندي، يرى صبيًّا أصابته رصاصة مخدرة في ساقه وفاقد الوعي، وآخر أصابته في ظهره، والبقية بخير. أين ويل بحق الجحيم؟

يضع أذنه على الأرض، ويحس بوقع أقدام، ثم يرى ثلاثة رجال يسيرون إلى الساحة، يرتدون ملابس شبه عسكرية متنافرة كأنهم اشتروها من متجر سلع مستعملة، ويبدون شبَّانًا في التاسعة عشرة أو العشرين فحسب. ليسوا من المحظوظين، إنما دُخلاء.

إحدى الصبية، أصغر فتاة في المجموعة، تنهض لتهرب.

يصيح ليف: «باكوَا، لا!».

لكن بعد فوات الأوان. يطلق القرصان القائد بحركة رشيقة من معصمه رصاصة من مسدسه ويخدر الفتاة إثر إصابتها في مؤخرة عنقها، فتسقط فاقدة الوعي.

يقول القائد: «حسنًا، حسنًا، حسنًا». يبدو قويًّا، إحدى أذنيه مبتورة، ويحمل مسدسه كأنه وُلِد به. يقول ليف مع نفسه: *فان غوخ، قطع أذنه من أجل المرأة التي أحبَّها*. لكن ليف يتخيل أن أذن هذا الرجل قطعها شخص آخر، في شجار على الأرجح. الرجل الثاني ذو عينين ضيقتين، كأنما بصره ضعيف أو أنه اعتاد التحديق إلى الناس حتى بقيت عيناه على هذا الحال. والرجل الثالث ذو أسنان كبيرة ولحية شعثاء، فيبدو مثل تيس.

يقول فان غوخ: «يا لوكر محترفي القمار الجميل الذي عثرنا عليه!».

يحس ليف بفمه جافًّا، وينهض ليواجه المعتدين، واقفًا بينهم وبين الصبية المتمددين على الأرض.

يقول التيس ملاحظًا ما هو بديهي: «هذا الصبي سيينا!».

يجد فان غوخ الأمر مسليًا: «أتساءل عما يفعله صبي سيينا لطيف بين محترفي القمار». يبدو الشاب من طريقة كلامه كأنه نشأ في مدارس داخلية راقية، لكن مظهره رث وبائس كرفيقيه.

يقول ليف: «برنامج تبادل طلاب. آمل أنكم تعرفون أن العنف ضد المحظوظين في محمياتهم عقوبته الإعدام. غادروا الآن وسننسى ما حدث». لا يعرف ليف ما إذا كان كلامه صحيحًا، لكن، حتى لو لم يكن كذلك، ينبغي أن يكون صحيحًا.

يقول ضيِّق العينين: «اصمت!»، ويصوب مسدسه المخدر نحو ليف.

يقول التيس: «محترفو القمار هؤلاء جميعهم أطفال قاصرون».

يمد فان غوخ يده ويشعِّث شعر كيلي: «مما يعني أن سعر أعضائهم سيكون أكبر في السوق السوداء، أليس كذلك يا عزيزي؟».

يبتعد كيلي عنه ويضرب يده، فيرفع ضيق العينين مسدسه ليخدِّره، لكن فان غوخ يمنعه قائلًا: «أهدرنا كثيرًا من ذخيرتنا، فلنوفِّرها لأوقات الحاجة».

يحاول ليف أن يسيطر على خوفه. إذا كان ثمة شك فيما يريده هؤلاء الوضيعون، فقد تبدد، إنهم صيادو اللحم البشري، قراصنة أعضاء.

يقول ليف وهو يكاد لا يصدق كلامه: «خذوني، أنا مَن تريدون. أنا عُشر، مما يعني أن قيمتي في السوق السوداء أكبر من قيمة أي إوول آخر».

يبتسم فان غوخ. «لكن قيمتك لا تضاهي قيمة كل صغار محترفي القمار هؤلاء».

فجأة يسمعون أزيز رصاصة مخدرة، وتتسع عينا ضيِّق العينين، ثم يتهالك على الأرض وعلى ظهره جزء بارز من الرصاصة المخدرة، يبدو أنها أُطلقت من بندقية مطعمة بالخشب المخطط الأنيق ومصنوعة حسب الطلب.

8 - ويل

عند سماعه صوت طلقات البنادق الأولى، عاد انتباه ويل إلى الساحة بسرعة، رأى بيفين يسقط على الأرض. نهض ويل فورًا وركض عائدًا إلى المخيم. طاف حول المخيم بصمت وقلب خافق، وانسل إلى خيمة بيفين ليأخذ بندقيته. ومن ثم، عندما وجد موضعًا خفيًّا يمكنه من إطلاق النار، أطلق رصاصة على الرجل الأطول، فسقط مثل كيس عظام.

والآن، وهو ما يزال حاملًا بندقية عمِّه، يخرج ويل إلى الساحة، مصوبًا البندقية نحو قائد المعتدين، لكن القائد يتحرك بسرعة، يستل مسدسًا قديم الطراز -من النوع الذي لا يلقَّم إلا برصاصات حقيقية- ويضع فوهته على صدغ ليف.

- ألقِ بندقيتك وإلَّا سأقتله.

يتسمَّران في مكانيهما وكلاهما يصوب سلاحه.

يتابع صاحب المسدس: «عيار ثمانية وثلاثين ملمترًا يا صاح. يمكنك تخديري، لكن صديقك سيكون ميتًا قبل أن أسقُط على الأرض. ألقِ البندقية الآن!».

يخفض ويل بندقيته لكنه لا يلقيها. إنه ليس غبيًّا إلى هذه الدرجة. يفكر القائد بما فعله خصمه، ثم يبعِد مسدسه عن رأس ليف ويدفع الصبي إلى الأرض.

يسأله ويل: «ماذا تريد؟».

يشير القائد إلى شريكه الباقي، القبيح الشبيه بالتيس ذي اللحية الشعثاء، فيُخرِج شيئًا من جيبه ويناوله لويل قائلًا: «وجدنا هذا منتشرًا في بوسطن الأسبوع الماضي».

يجده ويل ملصقًا إعلانيًّا على ورقة حمراء مكتوب عليها: نبحث عن *أعضاء أشخاص من المحظوظين. ثلاثة أضعاف الأجر مقابل ذوي المواهب الخاصة.*

يدرك ويل فجأة. قراصنة أعضاء؟ هؤلاء الدخلاء قراصنة أعضاء؟

يقول ويل: «المحظوظون محميون، القانون يمنع تفكيكنا».

يسوِّي القائد شعره الدهني خلف أُذُن غير موجودة ويقول: «هذا ليس المغزى يا زعيم، هذا الإعلان ليس قانونيًّا بالطبع، وهذا ما يجعل المكافأة مُجزية جدًّا».

يقول قرصان الأعضاء الآخر: «إذن فلندخل في صلب الموضوع، هل لدى أي من هؤلاء الصبية أي مهارات خاصة؟».

يصمتون جميعًا هنيهة، ثم يقول لانسا: «نوفا يمكنها حل مسائل الرياضيات المعقدة، الجبر وما إلى ذلك».

تقول نوفا: «أحقًّا يا لانسا؟ لِم لا تخبرهم بمدى براعتك في الرَّمي بالسهام؟».

يزعق ليف: «كلاكما اصمتا! لا تنقلبا على بعضكما، هذا ما يريده هؤلاء الأوغاد!».

يحملق وجه التيس غاضبًا إلى ليف، ثم يركله على خاصرته.

يتقدم ويل نحوه، لكن ذا الأذن الواحدة يرفع مسدسه نحو ويل ويقول: «فلنهدأ جميعًا».

ليف مجندل على التراب، وتتلاشى تعابير الألم من وجهه. ينظر إلى ويل ليُعلِمه بأنه بخير، متألم لكن بخير. لم يحس ويل بمثل هذا العجز قط. يتذكر جده، ماذا كان ليفعل جده في مثل هذا الموقف؟

يقول القائد ناظرًا إلى مجموعة الصبية: «لدينا خيارات رائعة. ربما نأخذ المجموعة كلها».

يقول ويل: «إذا فعلتم ذلك، فسوف تطاردكم قبيلتنا بأكملها لبقية حياتكم البائسة، وأعِدكم بأنها لن تكون طويلة. . . لكن ذلك لن يحدث إذا ذهب معكم أحدنا طواعية».

يقول وجه التيس: «هذا ليس قرارك، نحن من يقرر!».

يقول ويل: «اختارا بحكمة إذن!». ويرى جيتاره جوار عمه حيث تركه عند الإفطار، مستندًا إلى جذع. يخيم الصمت على كل شيء، رغم أن ويل مدرك لحديث القرصانين مع بعضهما وهما يتآمران ويقرران.

يعرف ويل كيف يمكنه حماية الأطفال. يعرف كيف يمكنه إنقاذ بيفين وليف.

يضع بندقية عمه على الأرض ويسير نحو جيتاره.

يصيح وجه التيس به: «مهلًا، إلى أين تظن نفسك ذاهبًا؟!»، وينحني ويحمل بندقية بيفين. ويحمل ويل جيتاره ويجلس على الجذع، يعرف أن جيتاره هو السلاح الوحيد الذي يحتاج إليه.

يفكر بأونا، ويتذكَّر آخر ما قالته له. كانت قد نحتت ريشة جيتار من خشب نادر، من أشجار تُغمر لشهور في نهر كلورادو، وأعطتها له عندما غادر لرحلة استشراف الرؤية هذه. الآن يُخرِج الريشة من بين الأوتار ويقلِّبها بين أصابعه، مستحضرًا كلماتها: «لن أشتاق إليك يا فتى

الجيتار». وكان واضحًا أنها ستشتاق إليه، لكنها لم ترغب في قول ذلك صراحة.

يقبِّل ويل الريشة ويضعها في جيبه. لن يهدرها على أمثال هؤلاء الوحوش، سيعزف بأصابعه. سيعزف أغنية عن جشعهم، وعن خبثهم، وفسادهم. سيُغريهم حتى تتملكهم شهوة المال فيرونه جائزتهم الكبرى وينسون الصبية الآخرين.

يقول ويل: «أخبروني بقيمة ما تسمعونه»، ويبدأ العزف.

تصدح الموسيقى في أنحاء المخيم. يبدأ ويل بمقطوعة باروكية معقدة، ثم ينتقل إلى مقطوعة صاخبة من موسيقى المحظوظين التقليدية، ويختتم بالموسيقى الإسبانية الأحب لديه، لكن جميع المقطوعات التي يعزفها غاضبة، اتهامية، رائعة وجيَّاشة، وفي الوقت نفسه تمثِّل إدانة سرية للرجال الذين يعزفها من أجلهم. كل لحن يدغدغ أصابعه ويكهرب حتى الأشجار المحيطة بهم.

وكالعادة، ينتظر جمهوره في صمت مشحون مدة طويلة بعد انتهائه، حتى القائد يخفض مسدسه، كأنه نسي أنه يحمله. ثم يحدث شيء. شيء مختلف.

يصفق أحدهم.

ينظر ويل إلى ليف، وهو ما يزال جالسًا على التراب، عنقه ملطخ بزيت المسدس وخده ملطخ بالطين. يحدق ليف إلى ويل وحده، ويصفق بكل ما أوتي من قوة، مبددًا الصمت بيديه وحدهما. ثم ينضم كيلي إليه، ثم نوفا، ثم جميع الصبية الذين لم يفقدوا وعيهم. يصير التصفيق بإيقاع موحد.

يصرخ وجه التيس: «توقفوا عن التصفيق!». يمتقع وجهه، ويصوب بندقيته المخدرة نحو ليف آمرًا: «توقفوا! إنكم تثيرون ذعري».

يضحك رفيقه قائلًا: «عليكم أن تعذروا شريكي، أخوه مات في هجوم مصفِّقين».

يود ويل أن يقول: يبدو *أنهم فجَّروا الأخ الخطأ*، لكنه يدرك أن تسارع إيقاع تصفيق الصبية وارتفاع صوته أبلغ من أي كلام قد يقوله هو.

وأخيرًا تتوقف جوقة المصفقين تدريجيًّا، وآخر يدين تتوقفان يدا ليف، وقد احمرَّتا من شدة التصفيق.

ينظر قائد قراصنة الأعضاء إلى ويل ويومئ مقررًا مصير ويل: «لكَ ما أردت»، ثم يأمر رفيقه بتقييد بقية الصبية.

يسأله وجه التيس مشيرًا إلى شريكهما المُخدَّر: «ماذا عن بوبي؟».

يلقي القائد نظرة سريعة على القرصان فاقد الوعي، ويصوب مسدسه، ويطلق رصاصة على رأسه قائلًا: «حُلَّت المشكلة».

ثم يشرع الاثنان في تقييد أيدي وأقدام الصبية الستة بشريط لاصق، ويستخدمان حبلًا لتقييد أطرافهم على شكل سنام. يهم كيلي بالبصق عليهما لكنه يلمح نظرة ويل التحذيرية.

يقيد وجه التيس ليف وحده إلى شجرة قريبة من بيفين فاقد الوعي، ويتركه يجاهد الحبل المشدود.

يطلب ويل من القائد: «اسمح لي بتوديعهم».

يقتعد الرجل الجذع الذي كان ويل يعزف عليه، ويقول: «بسرعة»، ويلوح بمسدسه المخدر محذِّرًا. يبدو أن ويل صار الآن قيِّمًا وينبغي ألَّا يُطلق عليه رصاصًا حقيقيًّا.

بعدما ينتهي وجه التيس من تقييد ليف إلى الشجرة، يقترب ويل من ليف. ويتراجع وجه التيس خطوة، ويراقب ويل بحذر كأنه يتوقع هجومًا منه.

يهمس ليف: «ويل، ماذا تفعل؟ هؤلاء الناس جادُّون، لا أحد يخرج حيًّا من مرأب تفكيك».

- هذا اختياري يا ليف، مهمتك الآن الاعتناء بهؤلاء الصبية، هدِّئهم، وطمئنهم، سيستيقظ بيفين في غضون بضع ساعات. ستكونون بخير جميعًا.

يزدرد ليف ريقه ويومئ، متقبِّلًا المسؤولية.

يبتسم ويل لليف ابتسامة ماكرة قبل أن يصطحبه قراصنة الأعضاء مع جيتاره: «شكرًا على التصفيق يا أخي الصغير».

9 - ليف

في القرية بعد ثلاث ساعات، يتكئ ليف على شاحنة بيفين المغبرة، ويستمع بنصف انتباه بينما يخبر بيفين المأمور بما حدث. ويشاهد الآباءَ يصطحبون الصبية إلى سياراتهم ويذهبون إلى منازلهم. كيلي وحده يلتفت ويلوِّح إلى ليف مودِّعًا.

يعود المأمور إلى سياراته لينقل التقرير، ثم يتجه إلى الجبال لجلب جثة بوبي، قرصان الأعضاء الميت، على الأرجح متمنيًا لو أن أحد رجاله قتله وليس أحد أفراد العصابة.

لا يسع ليف سوى ملاحظة التحديقات الباردة التي رمقه بها رجال الشرطة قبل مغادرتهم.

***

تقول والدة ويل لليف: «رُفض طلبك الانضمام إلى القبيلة. يؤسفني ذلك يا ليف». الألم في صوتها حزنًا عليه وعلى ابنها الذي لن يعود أبدًا.

يتلقى ليف الخبر بإيماءة رصينة. كان يعرف أن هذا سيكون قرار مجلس القبيلة، عرف من نظرات جميع الناس إليه منذ عودته من رحلة استشراف الرؤية. الذين يعرفونه يرونه شاهد قبر يمشي على قدمين واسم ويل محفور على وجهه السيينا. والذين لا يعرفونه يرونه نذير شؤم وجالبًا للعالم الخارجي الذي اختطف تشويلاو منهم بقسوة. موسيقى ويل، وروحه، لا يمكن استبدالهما بأي موسيقيٍّ في المحمية.

سوف يظل الجرح نازفًا مدة طويلة جدًّا. وما من أحد يمكنهم إلقاء اللوم عليه. ما من أحد سوى ليف. يعرف ليف أن المحمية لن تكون ملاذًا آمنًا له، حتى إذا سمحوا له بالبقاء.

يتطوع ليف باصطحاب ليف إلى مدخل المحمية الشمالي: بوابة برونزية ضخمة على جانبيها بُرجان من زجاج أخضر. يميل ليف إلى الأمام ليرى أجراس الأبراج وتمثال حصان الموستانج المعلق فوق البوابة منتصبًا على قدميه الخلفيتين. ذات يوم أخبره ويل بأن التمثال مثبت بأسلاك رفيعة تكاد أن تكون خفية وجسر زجاجي شفاف. عندما تهب رياح الشينوك عبر الوادي، يجتمع الأطفال ويأملون رؤية الحصان يفلت من قيوده ويحلق مبتعدًا.

يسأل ليف ببساطة: «إلى أين سأذهب؟».

يقول بيفين: «هذا قرارك». ويميل ليخرج محفظته من صندوق القفازات، ثم يناول ليف رزمة نقود كبيرة.

يقول ليف بصعوبة: «هذا كثير جدًّا».

يهز بيفين رأسه قائلًا: «ستشرفني بقبول هذه الهدية. . . وتشرِّف ويل. أخبرني الأطفال بأنك عرضت على القراصنة أن يأخذوك قبل أن يتدخل ويل. لم يكن خطأك أنهم فضَّلوه عليك».

مُذعِنًا يُقحِم ليف النقود في جيبه، ثم يصافح بيفين ويخرج من السيارة.

يقول بيفين: «آمل أن يأخذك دليلك الروحي إلى مكان آمن، مكان يمكنك أن تعده ديارك».

يغلق ليف الباب، ثم تختفي السيارة في غبارها مبتعدة في الشارع. وعندئذٍ يخطر لليف أنه ليس لديه دليل روحي، إذ لم يكمل رحلة

استشراف الرؤية. ما من شيء ولا دليل يرشده نحو مستقبله الضبابي المعتم.

يومئ حارس أمن إلى ليف وهو يخرج عبر بوابة المشاة، ويتجه ليف إلى موقف حافلات على بُعد مئة قدم، لا يرى شيئًا سوى أرض مجدبة، تتخللها زهور مريمية هنا وهناك، ممتدة إلى الأفق، لكنه يحس بدواخله أشد جدبًا.

يحصي النقود التي منحها له بيفين، ويجد أنها ستوصله إلى مكان بعيد فعلًا، لكن ليس بعيدًا بما يكفي، إذ ما مكان بعيد بما يكفي من كل ما مر به منذ يوم إرساله للإيفاء بنذر العُشر.

شفاه ويل بموسيقاه، وعرَّفه بأسلوب حياة قومه، وأنقذه من القراصنة بتضحيته بنفسه.

وهو لم يقدر على تقديم شيء لويل سوى التصفيق.

يظهر جدول مرور الحافلات أن الحافلة التالية ستمر بعد ثلاثين دقيقة. لا يكلف ويل نفسه عناء التحقق من وجهة الحافلة، إذ يعرف أن الطريق أمامه، أيًّا تكن وجهته، سوف يكون مظلمًا. لم يعد لديه ما يخسره. يحس بلهيب يملأ الخواء الذي بداخله، يحس بأن الانتقام هو دافعه الوحيد للمضي قُدُمًا.

ينظر إلى يديه، ويبدأ رؤية غاية لتصفيقه، غاية قوية تظهِر غضبه لجميع الناس. . . وتمزِّق العالم أشلاء.

10 - ويل

مثل غراب حلَّق ويل فوق جدار المحمية، لكن ليس كما تخيَّل. في قرارة نفسه ما زال يأمل أن مجلس القبيلة، أو ربما تحالف القبائل، سوف ينقذونه. لكن لا أحد يأتي.

لا يصطحبه القراصنة إلى مرأب تفكيك، إنما إلى مستشفى خاص، عيادة فخيمة ذات جدران زجاجية وإضاءة هادئة ولوحات ذات ألوان انسيابية تغطي جدران بأكملها. لكن ليف لا يرى أي مرضى، ويُعامله طاقم المستشفى كأنه نجم روك، يقدمون له ما يشتهي من طعام، لكنه ليس جائعًا، ويعرضون عليه شتى ألوان الموسيقى، وأحدث الأفلام، والألعاب، والكتب، والبرامج التلفزيونية، لكن لا شيء يُسرِّي عنه. يظل محدقًا إلى الباب.

في يومه الثالث، يدخل عليه طبيب أعصاب وجرَّاح وامرأة شقراء صارمة المظهر، ويطلبون منه بتهذيب أن يعزف على جيتاره. ويعزف ويل عزفًا بديعًا رغم آلام قلبه، فيثير إعجابهم. يأمل ويل أن يُلين عزفه قلوبهم فيطلقون سراحه، وما زال يأمل أن يأتي أحدٌ من قبيلته بخبر جيد، لكن لا أحد يأتي.

وفي اليوم الرابع، عند الفجر، تُقيَّد أطرافه، وتحقِنه ممرضةٌ بشيء، فيكتنفه دوار. ثم يُدفع سريره إلى غرفة عمليات: باردة ومعقمة، إضاءتها باهرة، وجدرانها بيضاء، وفيها شاشات تطلق صفيرًا متقطعًا، لا تشبه في شيء كهف قسم الجراحة في المحمية.

يحس ويل بيأس ويكتنفه الخدر. يدرك أنه قيد التفكيك، وأنه سيلاقي حتفه وحيدًا.

ثم يرى وجه امرأة في غرفة العمليات يعرفه، شعرها مغطى وترتدي ملابس الجراحة، لكنها لا تضع قناعًا كالآخرين، كما لو أن رؤيته وجهها أهم من الحفاظ على تعقيم الغرفة. لا يُفاجأ برؤيتها مرة أخرى. لقد عزف جيتاره أمام هذه المرأة. لم تخبره باسمها، لكنه سمع الآخرين يخاطبونها بروبرتا.

تسأله بلكنة بريطانية تميل قليلًا للأمريكية: «هل تتذكرني يا تشوِيلاوُ؟ التقينا بالأمس». تنطق اسمه نطقًا سليما، فيسُره ذلك ويزعجه في آنٍ واحد.

يسألها: «لماذا تفعلون هذا؟ لماذا أنا؟».

- ظللنا نبحث لمدة طويلة جدًّا عن الشخص المناسب من المحظوظين. ستكون جزءًا من تجربة عظيمة، تجربة سوف تغير المستقبل.

- هلَّا أخبرتم والديَّ بما يحدث لي؟ أرجوك!

- آسفة يا ويل، يجب ألا يعرف أحد.

ما يسمعه أشدُّ وطأة عليه من الموت. والداه، وبيفين، وأونا، وكل القبيلة التي تحزن على غيابه، لن يعرفوا مصيره أبدًا.

تمسك بيده وتقول: «أريدك أن تعرف أن موهبتك لن تضيع، هاتان اليدان والحِزم العصبية التي تحوي ذاكرتك الموسيقية بأكملها ستُحفظ معًا، سليمة، لأنني أيضًا أثمِّن موهبتك الأثيرة لديك».

هذا ليس قريبًا مما يريده ويل حقًّا، لكنه يحاول التشبث بمعرفة أن موهبته الموسيقية ستنجو بطريقةٍ ما من تفكيكه.

يقول بصعوبة عبر أسنانه التي تصطك: «جيتاري». ويتجاهل عدم إحساسه بأصابع قدميه.

تقول روبرتا بسرعة: «إنه معي بأمان».

- أرسليه إلى دياري.

تتردد روبرتا، ثم تومئ.

تجري عملية تفكيك ويل بسرعة رهيبة. سرعان ما تغمره موجة ظلام. لا يعود قادرًا على سماع روبرتا، لا يعود قادرًا على رؤيتها.

ومن ثم، في الخواء، يستشعر أن شخصًا يميل مقتربًا منه، شخصًا مألوفًا.

يتجاسر على قول: «جدِّي؟». لا يستطيع سماع صوت نفسه.

- نعم تشويلاو.

- هل نحن ذاهبان إلى العالم السفلي؟

يقول جده: «سوف نرى يا تشويلاو، سوف نرى».

لكن مهما يحدث الآن، فهو لا يهم ويل، لأنه وجد رِفقةً أخيرًا.

11 - أونا

ليس عبر إشارات الدخان.

ولا التحقيقات القانونية المعقدة التي أجراها المجلس.

ولا فرقة مهام تحالف القبائل التي كُلفت بالبحث عن ويل بعدما أخذه قراصنة الأعضاء.

في نهاية المطاف، تعرف القبيلة أن ويل رحل عندما يُرسَل جيتاره إلى المحمية دون أي ملاحظة مرفقة أو عنوان للمُرسِل.

تحتضن أونا الجيتار بين ذراعيها وتتذكر: ويل يبني الجبال لها في صندوق رمل عندما كانا في الخامسة، وتتذكر البهجة الصامتة في عينيه عندما طلبت منه أن يتزوجها، عندما كانا في السادسة. وتتذكر حزنه عند موت توشو، بينما هي وليف يشاهدان جالسين على أرضية المستشفى. وتتذكر لمسة يد ويل على ذراعها عندما ودَّعها.

كل ذكرى تتخللها موسيقى ويل، تسمعها أونا مرارًا كل يوم، تسمعها عند مرور الرياح من خلال الأشجار، لتغيظها وتعذبها، أو ربما لتواسيها وتذكِّرها بأن لا شيء ولا أحد يضيع ويُفقد فقدانًا تامًّا.

تحاول أونا التمسُّك بذلك وهي تضع جيتار ويل على طاولة الورشة. ما من جثمان. ما شيء سوى الجيتار. لذا تنزع أوتاره، بلطف وحب، وتجهِّزه للمحرقة والجنازة التي ستقام في الصباح.

لا تخبر أونا أحدًا بالأمل الغريب الذي تحتضنه في قلبها، أملها أنها بطريقةٍ ما سوف تسمع موسيقى ويل مرة أخرى عاليةً نقيَّة، مُناديةً روحها.

تمت

انتخاب غير طبيعي

اشترك في كتابتها بريندان شُسترمان

1 - كولتون

لفت رنين الجرس البوذي العميق انتباه كولتون، وتردد صداه الثقيل في السوق. قبل ذلك تجول وحيدًا -مثل قنديل البحر في المياه- بين الباعة والحشود. كل فترة يمر جندي بجانبه، لكن في أغلب الأحيان، لا يرى سوى السائحين والسكان المحليين. لا يهم أنه منذ ثلاثة أيام حدث انقلاب هنا في تايلاند. لا يهم أن ميانمار -بورما سابقًا، ميانمار سابقًا، بورما سابقًا- أصبحت -ويا لها من مفاجأة كبيرة!- بورما مرة أخرى، وأن النظام الحالي يهدد بإسقاط القنابل على بانكوك لإيوائها أعداء الدولة. كما استنتج كولتون فعلًا، فإن الأمر معتاد. مثل البورميين، لم يعد كولتون واثقًا تمامًا من هويته. إنه في منتصف الطريق بين شيء وآخر. لا هنا ولا هناك، لا يُحلق في السماء، ولا يستقر على الأرض. ماضيه ومستقبله لا يرتبطان إلا بخيط رفيع شبه غير مرئي، وهو حاضره. لا يمكنه بعد أن يقرر هل يشعر بالرعب أم بالحماس إزاء طيف الاحتمالات الشخصية الموجودة التي تنتظره.

جذبت رائحة فاكهة الليتشي الجميلة كولتون إلى بائع يبتسم ابتسامة عريضة، الذي باعه أربعًا مقابل ما اعتبره في وطنه عملات معدنية باقية في جيبه. وضع كولتون يديه معًا أمام وجهه وكأنه يصلي -وهي إيماءة شكر شائعة في هذا الجزء من العالم- وأجابه البائع بإيماءة مماثلة.

يوجد سبب لوجود كولتون في تايلاند ولقراره بعدم مغادرتها. لقد حظرت تايلاند التفكيك. في الواقع، إن تايلاند واحدة من أوائل الدول التي

عارضته، ووقعت اتفاقية فلورنسا، وهي الدعوة التي تجاهلتها الولايات المتحدة تمامًا، وكأن من كتبها هم أعداؤها. إن كولتون يعرف أسماء كل الدول التي تراجعت عن تصريحاتها ولجأت إلى التهدئة، وهو ما ينطبق على معظمها. لكن تايلاند ظلت ثابتة على موقفها. والآن أصبحت بمنزلة ملاذ آمن للهاربين من التفكيك؛ القادمين من الصين وروسيا. لكن بورما تقع بجوارها مباشرة. إنها قلب الظلام.

لقد سمع كولتون قصصًا عن مخيم حصاد «داه زي» البورمي، أو «سوق اللحم». لقد سمع عنه الجميع. كيف يبقونك حيًّا في أثناء عملية التفكيك التي تستمر أسبوعًا، ويمزقونك جزءًا تلو الآخر فيما تعاني داخل زنزانة، وتفقد نفسك ببطء أكثر فأكثر للمشترين في مختلف أنحاء آسيا. لقد أصبح «داه زي» مادة لقصص الرعب في أثناء التجمع حول نيران التدفئة في مخابئ الهاربين من التفكيك، لكن الجزء الأكثر إثارة للرعب هو أن لا أحد يميز بين الحقيقة والخيال. إن كولتون يعلم أن القائمين على «داه زي» أقوياء إلى الحد الذي جعلهم يديرون بورما من الظل، ويحركون الخيوط فيما ينتزعون أجزاء البشر. لكن هذا ليس السبب الذي أبقاه هنا، وعليه أن يستمر في تذكير نفسه بذلك. وبقدر ما يرغب في القضاء على «داه زي»، فإنه لا يملك أي وسيلة لتحقيق ذلك. يقول لنفسه إنه ليس داود الذي يحارب جالوت. إنه داود الذي يواجه عالمًا معاديًا بُنِيَ في أعقاب «حرب الجوهر». حرك كولتون حقيبة ظهره وهو يحاول وضعها في مكانها الصحيح.

لم تتحرك، رغم أنها تحمل ملابسه فقط؛ لا شيء حاد أو ضخم. لقد حزم أمتعته الخفيفة عندما هرب.

إنه يرى أن والديه وحشان سيئان مثل من يديرون «داه زي». كيف أمكنهما توقيع أمر تفكيك أخيه الصغير؟ إنه السؤال الذي يسأله لنفسه

مرارًا وتكرارًا كل يوم، فيما يجلس في المقاهِي والمطاعم.. في عربات «التوك توك» والمعابد. يبحث عن إجابة، ولا يجدها أبدًا.

لم يتوقع شقيقه قط ما حدث، ولم يكتشف كولتون قط كيف حدث ذلك؛ لقد عاد من المدرسة يومًا، ووجد رايان قد رحل عن المنزل. أخبره والداه أنهما قد أرسلاه إلى منزل عمته، لإبعاده عن التأثيرات السيئة في المدرسة، رغم أن الآباء الآخرين قالوا إن رايان هو من يؤثر سلبًا على أقرانه. واصل كولتون الاتصال بعمته، راغبًا في التحدث إلى أخيه، لكنها لم تجِب على مكالماته أو تتصل به بعدها. وهنا بدأ كولتون يشعر بالقلق.

أنكر هذا الاحتمال. نعم، إن رايان صعب المراس أكثر من كولتون طوال حياته، لكن هل هذا سبب كافٍ لتفكيكه؟ تمكن أخيرًا من الوصول إلى عمته. في البداية حاولت أن تبدو طبيعية، وقدمت الأعذار لعدم تمكن رايان من الرد على الهاتف. ثم انهارت أخيرًا وأخبرته بالحقيقة.

بعد أسبوع، رهن كولتون كل ما وجده ذا قيمة في المنزل، وحصل على جواز سفر مزور، وغادر إلى الأبد. لم يقل وداعًا أو يترك أي نوع من التفسير. فكر: «دعهما يتساءلان». فليتساءلا عن سبب اختفاء ابنهما المتفوق الذي يستعد للالتحاق بالجامعة. فليذرفا الدموع التي كان يجب أن يذرفاها على رايان.

لم يخبر أحدًا أنه سيغادر، حتى أصدقاءه. وُجِد هناك يومًا، وفي اليوم التالي أصبح على الجانب الآخر من الكوكب. شك أن شقيقه يعاني مشكلة مماثلة، فقط أكثر انقسامًا.

حدث ذلك منذ شهر. والآن يتجول في شوارع بانكوك، في ذلك المكان المذهل بين احتمالات المستقبل.

قشَّر إحدى ثمار الليتشي وتناول قضمة منها؛ طعمها اللذيذ لا يشبه أي شيء يمكن أن يحصل عليه في الغرب. نظر حوله، ولاحظ الكم الكبير من الصبية الهاربين من التفكيك، الذي يراه بوضوح في هذا الجزء من المدينة. الكثيرون منهم أصبحوا بالغين الآن. تساءل كم صبيًّا ما زال آباؤهم يفككونهم حتى اليوم. صاح أحد هؤلاء الصبية الهاربين من التفكيك سابقًا في وجهه لأنه يسد الطريق وألقى شطيرة همبرجر نصف مأكولة على رأسه. عندما ارتدَّت عنه، تخيل أن واحدًا على الأقل من هؤلاء الصبية سيُفَكك مهما حدث.

سمع صوت فتاة تضحك، فاستدار إلى مطعم صغير حيث تمر القطط الضالة بين أقدام العملاء. ضحكت فتاة شقراء بابتسامة عريضة على القط الذي يحتك بساقها. ربما تبلغ من العمر ستة عشر عامًا ومغطاة بالوشوم من الرأس إلى أخمص القدمين. وشوم من جميع الأشكال تملأ جسدها؛ ملائكة وشياطين ونمور ومهرجون يصنعون سيركًا حقيقيًّا من الحبر. رأى حلقة تخترق حاجز أنفها. إنها تبدو كثور مستعد للهجوم لولا ابتسامتها. جلس إلى طاولة مجاورة، ثم بادرها بسؤال: «منذ متى تهربين من التفكيك؟».

أجابته بلهجة كوكنية[1] ثقيلة: «ما الذي يجعلك تعتقد أنني هاربة؟».

فكر كولتون: *بريطانيا.. مجرد دولة أخرى تراجعت وجعلت التفكيك ممارسة قانونية مقبولة. في الواقع، إن بريطانيا أول من توصل إلى مصطلح «المراهقين الجانحين».*

ابتسم، قائلًا في سخرية: «الأمر واضح ومكتوب في جميع أنحاء جسدك». ثم أضاف: «كما لو أنه نوع من التحدي».

---

(1) الكوكنية: لهجة أهل لندن، وضواحيها. «المترجم».

أطفأت سيجارة لاحظها الآن فقط؛ الكثير بها يسترعي الانتباه، لذا غابت السيجارة عن عينيه في البداية. قالت الفتاة: «إنك على حق. لقد هربت من التفكيك منذ شهرين. ماذا عنك؟».

قال لها نصف الحقيقة: «منذ شهر أو نحو ذلك».

قرر ألا يخبرها بأنه ليس هاربًا من التفكيك، وأنه غادر المنزل بإرادته الحرة. هناك نوع من الانتصار في أداء الدور الذي تمنى أن يلعبه شقيقه.

نظرت إليه، وفحصته جيدًا، ثم ضاقت عيناها المتشككتان، قائلة: «أنت كاذب»، ثم نهضت لتغادر.

فكر: *هذه الفتاة غريبة*. يوجد شيء غريب بشأنها، أكثر من معظم الهاربين من التفكيك. وجدها مثيرة للاهتمام؛ مغرية.

وفيما تحاول التسلل بعيدًا، وقف غريزيًّا في طريقها، محاولًا التفكير في شيء ذكي ليقوله قد يبقيها معه. لم ينبس ببنت شفة، لكنهما تواصلا بالأعين، فتوقفت وحدقت إلى عينيه.

- عيناك بنيتان، أليس كذلك؟

قال: «بلى».

- هذا لطيف.

قال: «استمعي إليَّ، يجب علينا كهاربين من التفكيك أن نتعاون معًا. أثق أنك تعرفين مدى خطورة الوجود في هذه الشوارع. يمكن القبض عليكِ بتهمة التشرد.. أو ما هو أسوأ من ذلك: بيعك إلى «داه زي»». ابتسمت الفتاة، مظهرة أسنانًا يلطخها الاصفرار، وبغرابة، وجدها كولتون مغرية! قالت: «إنك لا تعرف شيئًا عن الخطر يا بُني العينين».

***

اسمها كاريسا. لم تتذكر اسمها الأخير، رغم سؤاله عنه. أخبرته أنها تركت لقب عائلتها في إنجلترا مع والديها اللعينين، وتَفهَّم هو ذلك. في البداية أخبرها أنه غادر المنزل بعد عثوره على أمر تفكيكه؛ مثل إوُول آكرون. لكنه في النهاية أخبرها بالقصة الكاملة بشأن أخيه والسبب الحقيقي خلف مغادرته المنزل. بدورها أخبرته قصتها، وأفرغت قصة حياتها المحطمة في أذنيه، وكأنه طبيب نفسي. إنه أمر يصعب استيعابه.

اكتشف أن لديها مكان إقامة. تحدثا حتى منتصف الليل تقريبًا، وبحلول ذلك الوقت، أصبحت مستعدة لاصطحابه إلى منزلها. تجولا في الشوارع وركبا التوك توك؛ مركبة أجرة صغيرة ذات ثلاث عجلات. عندما نظر إلى يساره، وجدها قد خرجت من الجانب الآخر. غمزت له بعينها وغادرت مسرعة، فيما انطلق به التوك توك مبتعدًا من دونها.

سأله سائق التوك توك بعدم اهتمام: «هل أنت أمريكي؟».

قال بعدم اكتراث مماثل، وسط صدمته بتخلي الفتاة عنه للتو: «نعم».

قال السائق: «سأوصلك إلى المنزل الآن». قال له كولتون العنوان، لكن بدا غير مستمع وهو يكرر: «نعم، نعم، سأوصلك إلى المنزل».

غفا كولتون في إنهاك، لكنه أفاق في كل مرة اصطدما فيها ببقعة وعرة على الطريق، وهذا يحدث كل بضع ثوانٍ. بعد مطب سيئ جدًّا، فتح كولتون عينيه، ليجد نفسه في جزء من المدينة لم يرَ مثله من قبل. إنه فقير، وغير سار حتى إن بيوت الدعارة لا تعمل هنا.

قال كولتون منزعجًا: «ما هذا يا رجل؟! إنه ليس المكان الذي أعيش فيه».

قال سائق التوك توك: «إنه طريق مختصر؛ طريق مختصر. سنصل قريبًا».

نظر كولتون حوله، مفكرًا: *لا بد أن هذا الأحمق قد ضل طريقه.*

توقف التوك توك أمام مبنى كبير رمادي اللون تبدو المباني الأخرى من حوله كالأقزام، كما لو أنه ضريح وسط بحر من شواهد القبور.

- ما هذا بحق الجحيم؟

ثم غادر سائق التوك توك مقعده ورحل. ركض بعيدًا في الظلام، تاركًا كولتون هناك.

أدرك كولتون أن ما يحدث سيئ، لكن جسده ثقيل. حاول النهوض، لكنه شعر كأن ساقيه مطاطيتان. هل خُدِّر؟ خرج من التوك توك بصعوبة، وشعر بالعالم يدور من حوله. رمقه القليل من الناس بالشارع -في هذا الوقت من الليل- بنظرات خوف، أو ربما شفقة. على أي حال، حدقوا إليه سريعًا، قبل أن يبتعدوا، كما لو أن النظر سيصيبهم بلعنة بطريقة ما.

حاول كولتون أن يبتعد متعثرًا، لكن قبل أن يتمكن من الوصول إلى أي مكان، اصطدم بجندي بدا كمن ظهر من العدم، وقال له باللغة التايلاندية: «أوه، أوه.. إلى أين تذهب؟».

استطاع كولتون أن يفهم قوله، وأجابه بالإنجليزية: «سأغادر هذا المكان اللعين. ابتعد عن طريقي!».

قال الجندي، هذه المرة بإنجليزية تشوبها لهجة ثقيلة: «لا، لا. تعال معنا».

حاول كولتون أن يدفعه، لكن جنديًّا ثانيًا خرج من الظلام، وضرب مؤخرة رأسه بكعب بندقيته. غامت رؤيته أكثر من ذي قبل. لم تُفقده الضربة وعيه، لكنها جعلته يسقط بين ذراعي الجندي الأول، الذي ضحك.

وضع كولتون يده على رأسه وشعر بالدم يسيل. فكر في ضرورة الخروج من هنا. يجب عليه الخروج من هنا بسرعة. لكن الآن جاء المزيد منهم، وهو محاصر. أدرك أنهم ليسوا جنودًا. إنهم ضباط شرطة. أمسك به ضابطان وسحباه إلى المبنى الرمادي الساكن.

قال الرجل التايلاندي الجالس خلف المكتب بإنجليزية مثالية: «كولتون إليس».

ارتدى على رأسه غطاء رأس رسميًّا، وفاحت منه رائحة الكولونيا، وهو يبتسم ابتسامة بائع سيارات مستعملة. خلفه قاذفة قنابل يدوية تتكئ في إهمال على خزانة ملفات، تعلوها آلة صنع قهوة وفرن كهربائي عتيق الطراز.

قال كولتون: «اسمع... ما سبب هذا كله؟ ماذا تريدون؟ المال؟».

حتى عندما قال كولتون هذه الكلمات، عَلِم أن المال لا يمكن أن يكون سبب ما يحدث، لكنه لا يملك أي شيء آخر يمكن المساومة عليه.

بدا أن الرجل يعرف هذا ويتجاهله، وانتظر لوقت طويل وغير مريح، قبل أن يتحدث مرة أخرى. وقبل أن يبدأ كولتون التوسل، قال الرجل: «في طفولتي، خطوت فوق لغم أرضي. لغم أرضي زرعه الأمريكيون في أثناء حرب فيتنام قبل ولادتي بفترة طويلة. فقدت ساقي. اعتقدت أنني فقدتها إلى الأبد، لكن بعد ذلك جاء «داه زي»».

تناول الرجل رشفة من قهوته، ويبدو أنه استمتع بالطعم بقدر ما استمتع برد فعل كولتون، الذي اتسعت عيناه في رعب. نظر كولتون حوله بحثًا عن شيء يمكنه استخدامه لضرب الرجل والهرب. لكنه لم يجد شيئًا في متناول يده. قاذفة القنابل تقف على مسافة تكفي للسخرية منه فحسب.

- إن والديَّ فقيران، لكن «داه زي» عرض أجزاءً مجانية لأي شخص فقد أحد أطرافه بسبب المتفجرات الأمريكية. فجأة، حصل آلاف الأشخاص -الذين اعتقدوا أنهم سيضطرون إلى التسول في الشوارع لبقية حياتهم- على فرصة جديدة للحياة. في المقابل، احتاج «داه زي» إلينا كمنفذين وعملاء وتجار، لكني أحب أداء الأدوار الثلاثة معًا.

- دعني أخرج من هنا! هذا خطأ! إن والديَّ غنيان! سيدفعان لك ضعف ما سيدفعه «داه زي»!

هذا كل ما أمكنه التفكير فيه، وهو يعلم أنه ربما صحيح. لكنهم يعتقدون أنه هارب من التفكيك. كيف يمكنه إقناعهم بأنه ليس كذلك؟

- إن أمر التفكيك الذي وقعاه يقول عكس ذلك بالتأكيد.

- لكنهم لم يفعلا! لم يوقعا أي أمر!

تجاهل الرجل كولتون فحسب، قائلًا ما بدا وكأنه يحفظه عن ظهر قلب، لأنه أجرى المحادثة نفسها مئات المرات: «لقد قررت الكارما[1] مصيرك فعلًا. إنني أجلب التوازن إلى العالم. العدالة. بطريقة ما، أنت أعظم أنواع الشهداء. النوع المتردد. في المخطط الكبير للأشياء، إنه موقف تحسد عليه»، ثم التقط هاتفه وأجرى مكالمة: «نعم يا سونثي. لقد حصلت عليه الآن. ما تبحث عنه بالضبط. نعم، عينان بنيتان. سأرسله إليك الآن». أنهى المكالمة بـ «لايو بوب جان ماي كراب» وهي عبارة وداع تايلاندية تقليدية.

هنا أدرك كولتون... عينان بنيتان... إن الفتاة الهاربة من التفكيك هي التي لاحظت ذلك. كيف كان غبيًّا إلى هذا الحد؟

---

(1) الكارما: مفهوم أخلاقي في المعتقدات الآسيوية -كالهندوسية والبوذية وغيرهما- وتعني النوايا أو الأفعال التي تقرر مصير الفرد. «المترجم».

حاول كولتون التوسل من أجل حياته مرة أخرى، لكن الرجل رفع صوته، مقاطعًا حديثه: «سيأخذونك الآن. ولا داعي للقلق، إن «داه زي» ليس كما تصوره وسائل الإعلام الأمريكية. حسنًا، ربما بدا الأمر كذلك عندما أداره ثوانج، لكن الأمور أصبحت أكثر تحضرًا منذ ذلك الحين. سيحسنون معاملتك».

- نعم، لقد أحسن شرطيو الأحداث معاملتي أيضًا. هذا غير قانوني، كما تعلم. سينتهي أمرك إذا علمت الحكومة التايلاندية بهذا الأمر.

قال الرجل، وقد اكتسى وجهه بالجدية: «لهذا يجب تفكيكك.. والتخلص من دماغك».

لم يعتقد كولتون أن بإمكانه الإحساس برعب أكبر مما شعر به فعلًا، وقال: «القصف؟ أنا سأتعرض للقصف الدماغي؟».

- إن «داه زي» لا يتعامل مع الأمور الرمادية، التي لا يمكن التنبؤ بها. إنك تعرف الكثير. من قال إن كل هذه الأجزاء من الدماغ لن تمارس بعض إرادتك عند زرعها في أجساد المتلقين؟ إن آخر شيء يحتاج إليه «داه زي» هو ظهور جزء من عقلك في المكان الخاطئ».

صرخ كولتون، مدركًا وجود بديل أسوأ من مجرد التفكيك: «لا! سيظل عقلي هادئًا. أقسم لك! حتى لو انقسم! فقط لا تقصفني!».

ابتسم الرجل، وقال متعاطفًا: «اعتبر نفسك فحسب المساعدة الإنسانية التي لم تمنحنا أمريكا إياها قط». وأشار إلى الحارس الذي ينتظر عند الباب، ليأخذه.

انطلقت الشاحنة على الطريق السريع؛ تحمل كولتون مقيدًا ومكممًا في الخلف. علم أنه متجه إلى بورما الآن. لو أنه محظوظ، فقد توقفهم قافلة عسكرية ويفتح رجالها مؤخرة الشاحنة، لكنه يعلم أن مثل هذا

الشيء غير وارد في الغالب. ربما يسلكون طريقًا غير ممهد أو طريقًا يدفعون رشاوى للجنود الذين يحرسونها. شعر بألم في رأسه، ولعن الفتاة التي سلمته.

بعد ما بدا أيامًا حصل خلالها على حصص ضئيلة من الطعام والماء، أوقفوه على قدميه وسحبوه خارجًا كجثة، ليجد نفسه وسط أوحال مخيم حصاد «داه زي».

***

2 - كونال

- هيا يا كونال! هل يجب أن أنتظرك؟ الشاحنة وصلت فعلًا.

- حسنًا أيها الطبيب. إنني قادم يا سيدي.

يكره كونال أن يجبره الطبيب على السير لمسافات طويلة وصولًا إلى المدخل الأمامي للمعسكر. يظن أنه يسدي إليه معروفًا عندما يسمح له بالخروج من «القصر الأخضر» ليشهد عمليات التسليم، لكن كونال يفضل البقاء داخل بوابات القصر. هذه الرحلات الطويلة لا تمنحه سوى ألم في كعبيه.

توقفت الشاحنة في المساحة الموحلة بين المستوصف الطبي ومصفاة الشرق. كان هذا المكان مزرعة أفيون، قبل أن تصبح الأجزاء المفككة أثمن من الهيروين. ومع ذلك، لا يدعونهم مفككين هنا. الكلمة البورمية المعادلة لذلك هي «هيتوات» أي «حصاد». هذا كل ما يمثله الهاربون من التفكيك بالنسبة إليهم. قُسِّمَت المباني الخرسانية -التي استخدمت في السابق كمصافي أفيون منذ مدة طويلة- إلى زنازين للمفككين الذين يُنقَلون إلى هنا بمعدلات ثابتة.

يراقب الطبيب كل عملية تسليم باستخدام منظار مُقرِّب، ويحافظ على مسافة بينه وبين المفككين. ويحضر معه كونال ليحمل منظاره، لأنه ثقيل للغاية، ولا يستطيع الطبيب أن يرتديه متدليًا من عنقه.

يوجد حرس في كل مكان. إنه استعراض للقوة أمام الصبية الذين يشعرون بالخوف الشديد والضعف والحرمان من النوم، حتى إنهم لا يستطيعون المقاومة، لو حاولوا. يحب مسؤولو «داه زي» المبالغة في التأمين. ولهذا توجد ثلاث بوابات خارجية قبل الوصول إلى المخيم. إنها عبارة عن صندوق داخل صندوق داخل صندوق.

اقترب رجل بورمي يرتدي زيًّا عسكريًّا. إنه سونثي؛ شخصية مهيبة. كونال مقتنع بأنه كان يومًا جزءًا من المجلس العسكري -أو ما شابه- الذي حكم البلاد لمدة قصيرة للغاية. لو أن هذا المكان مصنع، فإن سونثي هو مدير الطابق.

قال سونثي للطبيب: «شحنة اليوم مختلطة. توجد العديد من الأعين المثيرة للاهتمام».

- هل حصلوا على حَقن للأعين؟

قال سونثي: «بل أعين طبيعية. إنها الأفضل».

تعرَّض قرابة اثني عشر صبيًّا للضرب المبرح، وتعثروا في الوحل وهم يُساقون نحو المستوصف الطبي. تساءل كونال عن مقدار ما يعرفونه عن هذا المكان، وماذا قيل لهم عما سيُفعل بهم. هل يعرفون شيئًا عن القصف الدماغي؟ من الأفضل ألا يعرفوا. على الأقل ستصبح وفاتهم غير مؤلمة، وهو أمر قد لا يتوقعونه. لكن في النهاية، لا يوجد نقص في المورفين في مزرعة الأفيون القديمة. قلق كونال أكثر على أولئك الذين لا يفككون. لكن هذا ليس شيئًا يمكنه قوله بصوت مرتفع.

خفض الطبيب منظاره وسلمه إلى كونال، قائلًا: «ألا ينبغي أن يوجد المزيد؟».

أدأر سونثي كتفيه في عدم ارتياح. ألقى نظرة على كونال، فأشاح ذلك الأخير ببصره، خائفًا من النظر إلى عينيه أو لفت انتباه الرجل بأي شكل من الأشكال.

قال سونثي: «ننتظر وصول شاحنة أخرى غدًا».

تنهد الطبيب في ارتياح، وقال لخادمه: «عُد يا كونال. يجب أن أنهي عملي هنا في غضون ساعة. أعد لي الحمام قبل أن أعود، واعتدل في سيرك، رجاءً».

- أمرك أيها الطبيب.

حمل كونال المنظار في يده، وشق طريقه عائدًا إلى القصر الأخضر، محاولًا الاعتدال في سيره، ومتجاهلًا ألم كعبيه.

***

3 - كولتون

انتظر بمفرده في غرفة صغيرة، وهو يشعر برعب شديد، منعه حتى من الحركة. الضوء الوحيد في المكان يتسلل من خلال فجوات في الخشب. لا يوجد شيء بالغرفة سوى طاولة فحص قديمة ومقعد. أخيرًا دخل رجل، يرتدي ملابس غير رسمية، ويحمل سماعة الطبيب حول عنقه، وقال: «مرحبًا يا كولتون. أنا الطبيب راوتداناكوسين. أعلم أنه اسم طويل للغاية، أليس كذلك؟ الأسماء اللاوسية[1] طويلة ولا تستخدم. يمكنك أن تدعوني الطبيب رودين فحسب».

لم يرغب كولتون في دعوته أي شيء، وسأله: «هل أنت الشخص الذي سيفككني؟».

ضحك الطبيب رودين، قائلًا: «لا، لا. مهمتي الاهتمام بصحتك. هذا كل شيء. سينفذ الآخرون التفكيك عندما يحين الوقت. قل «آه» من فضلك».

أجرى الفحص المعتاد لكولتون. بدا الأمر طبيعيًّا بغرابة في مثل هذه الظروف المروعة. سلوك رودين يشبه سلوك أي طبيب. بطريقة ما جعل هذا إحساس كولتون يزداد سوءًا؛ أن يمر بشيء طبيعي في خضم هذا الكابوس. يوجد أيضًا شيء آخر بشأن الطبيب لم يستطع كولتون

(1) اللاوسية: نسبة إلى لاوس؛ الدولة الوحيدة غير الساحلية في البر الرئيسي لجنوب شرق آسيا، وتقع شمال شرق تايلاند وغرب فيتنام. «المترجم».

تحديده. إن رودين طبيب، نعم، لكن الفتى شعر أنه يمثل الدور أيضًا. أدرك كولتون أنه أكثر من مجرد طبيب المخيم.

قال رودين وهو يفحص أذني كولتون: «لقد ابتعدت للغاية، لكنك توجهت فحسب إلى قدرك، فأمسكوا بك. يا للخسارة! أليس كذلك؟».

سأله كولتون: «كم بقي لي من وقت؟ متى.. سيفعلون ذلك؟».

قال رودين: «يعمل مخيم حصاد «داه زي» وفقًا لجدوله الزمني المحدد. من يدري متى يحين وقتك!». ثم عندما أنهى الفحص، تراجع إلى الخلف وأجرى تقييمًا عامًّا: «صحة جيدة. لم تهرب طويلًا، أليس كذلك؟».

تردد كولتون. هل إيماءة رأسه ستجعلهم يفككونه في وقت أقرب؟ إنه لا يعرف، لذا لم يُجِب على الإطلاق.

سأله، وهو يعرف الإجابة، ويعرف مدى مأسَوية سؤاله: «هل سيقصفون دماغي حقًّا؟».

تأمل رودين كولتون، ونظر إليه أطول مما ينبغي. فكر كولتون، مدركًا: *إنه لا ينظر إليَّ، بل إلى أجزائي. يحلل قيمتي، ويحولني إلى دولارات.*

قال رودين: «التخلص من العقول سياسة رسمية في «داه زي»، لكن توجد بدائل للقصف الدماغي»، ثم استدار، لكن قبل أن يغادر، أضاف: «توجد بدائل للتفكيك أيضًا».

لقد نُقِلَ إلى مبنى رمادي من الطوب الخرساني، وأُلقي في غرفة ذات أرضية ترابية مع أربعة مفككين آخرين. إنهم ثلاثة فتيان وفتاة، ربما اعتبروها صبيًّا -على سبيل الخطأ- في الظلام، لكنهم لم يهتموا بما يكفي لتصحيح خطئهم. رأى كولتون أقصى درجات الهزيمة بادية

على هؤلاء الصبية. لا يوجد شيء في الغرفة سوى خمس حصائر من القش، وتلفاز قديم ربما لا يعمل، ونوع من مشغل الأقراص يعود إلى ما قبل الحرب. إنها تكنولوجيا عفا عليها الزمن، ويبدو أنها تُرِكَت هناك للسخرية منهم.

قال صبي أسترالي مفتول العضلات؛ يبدو في السابعة عشرة من عمره: «يبدو أنك حظيت برحلة ممتعة يا صديقي».

بدا الصبي خاسرًا حقيقيًّا، كما لو أنه اعتاد ضرب الحمقى قبل هروبه. حاول كولتون أن يقول شيئًا، لكن ارتجافه المتواصل منعه.

قال الصبي: «لست كثير الكلام، أليس كذلك؟ اسمي جينسون. مرحبًا بك في «مملكة السحر»».

«مملكة السحر» هو على ما يبدو الاسم الذي يطلقونه على هذا المكان. شرح جينسون أن الأمر بدأ كمزحة، لكن الاسم انتشر بين الحرس. والآن أصبح رسميًّا. إنه أحد مخيمات الحصاد السبعة في «داه زي»: الأقرب إلى الحدود التايلاندية، الذي يبعد عنها نصف ميل فحسب.

أشار جينسون إلى صبيين تايلانديين، الأصغر منهما مختبئ في الزاوية يقاوم البكاء، فيما جلس الآخر -صاحب البنية الأقوى نسبيًّا- وقد تقاطعت ساقاه، وبدا استرخاء تعبيرات وجهه متعارضًا مع دموع الصبي الآخر.

قال جينسون: «الباكي اسمه جامون. لا أعتقد أنه يتحدث الإنجليزية. والآخر كيمو. لا أسمع منه أي صوت. خطط كيمو للانضمام إلى دير بوذي، لكن والديه باعاه إلى «داه زي» لسداد ديون والده بسبب القمار. أما جامون، فقد باعه والداه لدفع تكاليف زفاف أخيه».

ركل جينسون جامون؛ ليس بقوة كافية لإيذائه، لكنها تكفي لإظهار هيمنته، وصاح به آمرًا: «كف عن البكاء!»، فتحول نشيج جامون إلى

أنين، وواصل جينسون: «إنه يسيء التصرف كلما ظهر شخص جديد، وكأنه يريد أن يثبت أنه أكثر هارب من التفكيك مثير للشفقة في العالم»، ثم ألقى جينسون نظرة جيدة على كولتون، مضيفًا: «إنك لن تسبب مشكلة، أليس كذلك؟ لقد سئمت من الهاربين من التفكيك الذين يسببون المشكلات».

قال كولتون: «يبدو أنك مكثت هنا طويلًا».

شعر جينسون بعدم الارتياح، وأجابه: «نعم، حسنًا، ثلاثة أسابيع تبدو وكأنها أبد الدهر، عندما تحل ضيفًا على «داه زي»».

أما الفتاة، فلم تقدم نفسها، بل سبت كولتون عندما ألقى عليها التحية. وفقًا لجينسون، فهي روسية هاربة من التفكيك، وتدَّعي أنها سجينة سياسية. قال جينسون: «تقول إنها «برافدا» -أي مصفقة روسية- وإنها قتلت سبعين عضوًا من «داه زي»».

أصرت الفتاة: «هذا صحيح! سأقتلك لو نفيت ذلك».

شك كولتون أنها تعاني الوهم. ففي النهاية، أي مصفق يوجد في هذه البيئة، لانفجر قبل وقت طويل من إلقائه في هذه الغرفة، لكنه يعرف أن أوهامها هي التي تجعل أيامها تمر. بطريقة ما، إنها لا تكذب حقًّا، لأنها تؤمن بذلك فعلًا، وتعتقد أن الحكومة الروسية ستدفع ثمن إطلاق سراحها حتى يتمكنوا من تسليمها للمحاكمة. لا يمكن أن يتجاوز عمر «برافدا» أكثر من أربعة عشر عامًا.

قصة جينسون هي نفسها قصة كولتون، لكن من دون الفتاة. ركب في المقصورة الخلفية من التوك توك الخطأ، الذي أخذه إلى المبنى الرمادي. سمع جينسون قصصًا عن ذلك من هاربين آخرين، وبدأ يعدو بمجرد أن رأى المكان من حوله، لكنهم هدؤوه. اعترف بتهوره عندئذ، لكن لم يزعجه أحد طوال الأشهر التي قضاها مختبئًا. لقد شعر بحالة من

الارتياح، عندما أقروا قانون «كاب- 17» في أمريكا؛ اعتقد أنه سيصبح أكثر أمانًا. لكن آسيا مختلفة.

قال جينسون، عندما أخبره كولتون عن كاريسا: «لا بد أن تلك الفتاة مجنونة، أليس كذلك. لكنها ستجني ما زرعته».

قال كولتون، مبتسمًا لأول مرة منذ وصوله إلى هناك: «أتمنى ذلك. أرجو فقط أن يحدث ذلك على يديَّ». المخيم مملوء بمجموعات من الصبية في غرف صغيرة. كل صباح يُخرجونهم، فيحدقون إلى الضوء بينما يَصُفهم ويفتشهم الحرس. يُخرِجون بعض الصبية من الصف لتفكيكهم. بعد ذلك يتنفس الجميع الصعداء. يحصي الحرس الباقين، ويطعمونهم معجون بروتين مائي من أصل لا يريد كولتون التفكير فيه. يفحصونهم بحثًا عن إصابات وطفح جلدي وأمراض جديدة. يُرسَل الصبية الذين يعانون مشكلات صحية إلى المركز الطبي، وهناك يلقي الطبيب رودين نظرة عليهم، فيما يُعاد الباقون إلى غرفهم.

شعر كولتون بالدهشة عندما وجد التلفاز القديم يعمل فعلًا. في صف ذلك الصباح، تبادل جينسون الأقراص المدمجة مع بعض الصبية الآخرين وحصل على زوجين من الأفلام الجديدة. إنها كلها أفلام قديمة لم يشاهدها أحد أو يهتم بها منذ ما قبل «حرب الجوهر»، لكن هذا أفضل من التحديق إلى الجدران الخرسانية. أو إلى بعضهم. بدا جينسون معتادًا مشاهدة فيلم بعد التفتيش الصباحي. يعرض فيلم اليوم كائنًا فضائيًّا غير مرئي في غابة لا تختلف كثيرًا عن تلك الموجودة حولهم. وكأنهم يحتاجون الآن إلى شيء غير مرئي يقلقون بشأنه.

تساءل كولتون بصوت مرتفع: «لماذا يكلف مسؤولو «داه زي» أنفسهم عناء ترفيهنا؟».

قال جينسون: «من يدري؟ ربما يُشعرهم ذلك أنهم أشخاص أفضل. إنها نسختهم المخففة من الرحمة».

في جزء مثير خصوصًا من الفيلم، لا بد أن جامون قد ابتأس من جديد، لأنه انفجر باكيًا مرة أخرى، بصوت أعلى من مكبر الصوت الصغير المشوه في التلفاز. في هذه اللحظة، ثار جينسون وبدأ يهاجم جامون، ويضربه بوحشية، ويسب ويلعن؛ ربما هذا هو النوع نفسه من السلوك غير المسؤول الذي وضعه في قائمة التفكيك في بداية الأمر: «**لقد أخبرتك.. أن تصمت! بحق الجحيم!**».

كافح كولتون لإبعاد جينسون عن الصبي المسكين، الذي لا يدافع حتى عن نفسه، وصاح به: «كفى يا جينسون!».

نظر جينسون إلى كولتون كمن أفاق لتوه من غيبوبة، ثم قال بصوت ضعيف: «إنه هو من اضطرني إلى ذلك. لقد أفسد الفيلم، واستحق الضرب».

لكن حتى جينسون نفسه لم يصدق عذره. أما جامون، فقد أصبح في حالة من الفوضى والكدمات الدموية. تكور على نفسه، دون أن يختلف نحيبه عما سبق قبل تلقي الضرب.

ثم فقد كيمو تركيزه ونهض في حركة هادئة وسلسة. اتجهت إليه الأنظار كلها، فيما قادته خطواته البطيئة الثابتة إلى جينسون. ورغم أن كيمو أقصر كثيرًا من جينسون، فإن وجوده جعل الصبي الأكبر حجمًا ينكمش.

قال كيمو بإنجليزية مثالية: «لقد ألحقت الضرر بممتلكاتهم للتو. إنك تعرف ماذا يفعلون بك إذا ألحقت الضرر بممتلكاتهم، أليس كذلك؟».

شعر كولتون بالدهشة لحظة من هدوء كيمو، وتفكيره بهم كممتلكات، وإتقانه غير المتوقع للإنجليزية.

لم ينبس جينسون ببنت شفة، لكنه تراجع إلى الخلف، وثنى أصابعه، ملقيًا نظرة على مفاصل يده الملطخة بالدماء. أهو دمه؟ ربما لا.

أدار كيمو ظهره له، قائلًا: «بلى، إنك تعرف». ثم عاد إلى تأمله، مستعيدًا جلسة اليوجا التأملية.

فكر كولتون: *القصص حول «داه زي» حقيقية إذن، أو على الأقل كيمو يصدقها.* لكن عليه أن يسأل. اقترب من كيمو، وسأله: «ماذا يفعلون؟».

لم يُجِب كيمو، كما لم تظهر على وجهه أي تعبيرات.

- ماذا يفعلون يا كيمو؟

أجابت برافدا من الطرف الآخر للغرفة: «أشياء كثيرة؛ ربما يمكنك رؤيتها». وابتسمت كأنها تريد أن ترى بنفسها.

ظل جينسون صامتًا. ذهب فحسب إلى الحائط الخلفي وجلس على الأرض، واضعًا يديه الملطختين بالدماء على رأسه؛ لم يعد مهتمًّا بكائن فضائي يمزق العمود الفقري للناس.

***

في صباح اليوم التالي، عندما اصطفوا للتفتيش، فحصهم سونثي، أو الحاكم -لو أن هذا ما تدعو به مثل هذا الشخص- بفحصهم. ارتدى زيًّا مموهًا، وكأنه يعيش في حرب أبدية.

توقف سونثي عند جامون، ولاحظ بسرعة كدماته ووجهه المتورم. ارتجف الصبي وبكى.

سأله وهو ينظر إلى الآخرين: «من فعل هذا؟».

لم يُجِب أحد، لذا اقترب من كولتون، وأمسك يديه، ثم قلبهما لينظر إلى مفاصل أصابعه، ثم انتقل في رضا إلى جينسون وأمسكه -حرفيًّا-

متلبسًا بالجريمة. حدق سونثي إليه حتى أشاح جينسون ببصره بعيدًا، ثم استدار الأول إلى جميع نزلاء زنزانتهم الصغيرة، قائلًا: «ذنب أحدكم بمنزلة ذنب الجميع»، ثم التفت إلى الحرس من حولهم، مضيفًا: «خذوهم إلى القصر المسكون».

شعر كولتون أنها ليست رحلة ممتعة.

قادهم الحرس من خلال مخيم الحصاد، ومروا بخمسة مبانٍ أخرى، كل منها أكبر من المبنى الذي يقيمون فيه. تساءل كولتون هل المباني جميعها ملأى بالمفككين الذين ينتظرون مصيرهم. لا توجد طريقة لمعرفة ذلك من الخارج، لأنه لا توجد نوافذ.

في الجانب البعيد من المخيم، يوجد مبنى واحد يقف بمفرده. يبدو أنه كان يومًا مسكنًا رائعًا، أو ربما حتى معبدًا، لكنه الآن مغطى بنباتات الغابات والطحالب. فجأة، حاولت برافدا الهرب، لكنها لم تتجاوز الحارس المجاور لها، الذي أمسك بها وسحبها ليعيدها إلى الصف.

فتح سونثي بابًا ثقيلًا وقادهم إلى الداخل.

الداخل نظيف تمامًا. هذا غريب، بالنظر إلى الخارج. رددت الجدران الحجرية أصداء أصوات غريبة من عمق المكان؛ أنين ولهاث.. ثرثرة ولعق. شعر كولتون أن التقلص الدائم في معدته يشتد.

قادهم الممر الضيق إلى فناء ضخم مفتوح. حولهم أبواب؛ العديد والعديد من الأبواب. من خلف هذه الأبواب أتت الأصوات.

- آه! لقد أحضرت لي زوارًا يا سيد سونثي، أليس كذلك؟ مرحبًا بك في القصر الأخضر!

نزل الطبيب رودين سلمًا كبيرًا إلى الفناء الواسع، وذراعاه مفتوحتان في لفتة ترحيبية دافئة، وتبعه مراهق داكن البشرة؛ ليس من الآمبر، لكن ربما باكستاني أو هندي. سار ببطء مجتازًا بوابة جانبية غريبة.

وصل إليهم رودين وصفق، قائلًا: «إذن، فهؤلاء الخمسة يحسنون التصرف للغاية، ففكرتَ أن تكافئهم بلمسة إبداعية، أليس كذلك؟».

بدا انزعاج سونثي واضحًا، لكن حافظ على احترامه، مجيبًا: «لا. لقد تسببوا في المتاعب. إنهم هنا عقابًا لهم».

هنا، جاء دور رودين لينزعج، قائلًا: «نعم، حسنًا، إننا نرى الأشياء من منظور مختلف».

سأل كولتون في جرأة: «ما هذا المكان؟».

ابتسم له رودين، مجيبًا: «هذا المكان أسميه مصنع معجزاتي».

كتم سونثي ضحكته على هذا القول، وأشار رودين إلى الصبي الذي نزل معه، مضيفًا: «إنه خادمي؛ كونال».

أومأ الصبي إليهم باحترام، لكن عينيه تنقلتا جيئةً وذهابًا بين رودين وسونثي بحذر مدروس.

قال رودين: «أرهم يا كونال».

ذهب كونال في طاعة إلى شجرة ضخمة بأغصان ملتوية في منتصف الفناء وبدأ يتسلقها، لكن ليس بالطريقة التي قد يتسلقها شخص آخر. بدت حركاته رشيقة لدرجة مزعجة؛ مثل الشمبانزي. عندها أدرك كولتون أن كونال ليس لديه قدمان. لقد زُرِع زوجان آخران من اليدين في مكانهما!

لهثت برافدا، وبدا الرعب على وجه جينسون، وكاد كيمو يفقد رباطة جأشه، فيما اكتفى جامون بشهقة فزع.

عاد كونال وهو يعرج في وضعية منحرفة على يديه. لم يستطع أي من الصبية النظر إليه.

قال سونثي: «ربما يجب أن تريهم ماريسول».

قال رودين: «أوشكت على اقتراح الشيء نفسه»، ثم قادهم إلى أحد الأبواب العديدة على حافة الفناء. أخرج كونال مفتاحًا من سلسلة مفاتيح عامرة، وفتح الباب، فأدخلهم رودين.

توجد فتاة في الغرفة.. أو ما كانت فتاة يومًا. إنها تبدو الآن أقرب إلى كائن فضائي قد تجده في أحد أفلام ما قبل الحرب. لها أربع أعين؛ كل منها بلون مختلف، وعظام وجنتين منخفضة للغاية لاستيعاب الزوجين الإضافيين من الأعين. ولها أربع أذرع.

قال رودين وهو يحدق إليها بإعجاب مذهول: «أليست عجيبة؟».

بذل كولتون قصارى جهده للامتناع عن تقيؤ الطعام القليل الموجود بمعدته، فيما خسرت برافدا المعركة نفسها، وأسرع كونال للحصول على المناشف لتنظيف الفوضى.

قال رودين: «ربما تبدو مُنفرة، أعترف بذلك. الإبداعات الغريبة رؤية مكتسبة، تمامًا كما أن الأطعمة الغريبة ذوق مكتسب».

وقفت منكمشة هناك في زاوية الزنزانة الصغيرة، تقريبًا، لكن ليس تمامًا.

توسل جينسون: «أرجوك.. حبًّا في الرب، أخرجنا من هنا، رجاءً».

تجاهله رودين، وسأل الفتاة: «هل أنت سعيدة هنا يا ماريسول؟».

قالت بخجل، دون أن تلتقي عيناه أيًّا من أعينها: «نعم، أيها الطبيب رودين».

- إنكِ مسرورة بما فعلناه لك، أليس كذلك؟

أجابته في استسلام، بصوت ميت: «بلى، أيها الطبيب رودين».

نظر كولتون إلى أسفل ليرى قيدًا ثقيلًا على إحدى ساقيها، تحسبًا لكونها أقل سعادة مما تهتم بالاعتراف به.

مد رودين يده إلى جيبه، ثم أخرجها، ليضع قطعة حلوى في كل من أيديها الأربع. رفعت قطع الحلوى واحدة تلو الأخرى إلى فمها، لكن الرابعة لامست وجنتها بدلًا من فمها، وسقطت أرضًا.

- ما زلنا نعمل على التنسيق بين العين واليد على الذراع اليسرى السفلى لماريسول.

ثم أخبرهم كيف يأمل -بمرور الوقت- في ابتكار فتاة بثماني أذرع، وقال: «ستصبح نسخة حية تتنفس من كالي، الإلهة الهندوسية. لن تقدَّر بثمن في السوق السوداء، أليس كذلك يا سونثي؟».

رفع سونثي حاجبيه وأومأ برأسه موافقًا. شك كولتون أنه قد لا يحب هذا المكان أيضًا، لكن في «داه زي»، كل شيء يدور حول المال. عندها بدأ كولتون يفهم هيكل السلطة هنا. في البداية تساءل لماذا يسمح سونثي للطبيب بتلك الأشياء التي يفعلها. لكنه فهم الآن. هذا القصر والمخيم مملوكان لرودين. الجميع هنا -بما في ذلك سونثي- يعمل لدى الطبيب.

قال رودين: «أخبرني، مَن مِن ضيوفنا سبب مشكلة اليوم؟».

قالها وهو ينظر مبتسمًا إلى كولتون، فاضطر هذا الأخير إلى الإشاحة بنظره بعيدًا، فأضاف رودين: «أهو هذا الصبي؟ ذو العينين؟».

قال كولتون بصوت خافت: «جميعنا لنا أعين».

أمسك سونثي كتف جينسون ودفعه إلى الأمام، قائلًا: «بل هذا. لقد ضرب الصغير ضربًا مبرحًا. حذرناه من قبل، لكنه لا يستمع».

نظر رودين إلى جينسون كمن يُقيِّم لوحة، وقال: «نعم، حسنًا، أعرف طريقة ستجعله يستمع»، ثم أومأ برأسه إلى الحرس. استلزم الأمر ثلاثة منهم لسحب جينسون بعيدًا، لأنه ملأ الدنيا ركلًا وصراخًا.

أُعِيدَ كولتون والآخرون إلى غرفتهم في صمت. وصلتهم الرسالة بوضوح دون أن يقول سونثي شيئًا. لو تسببت في المتاعب، ستصبح فأر تجارب رودين التالي.

سألت برافدا بصوت أكثر خوفًا وبراءة من حالها قبل زيارتهم للقصر: «ماذا تعتقدون أنهم سيفعلون به؟».

لم يرغب كولتون في التفكير بالأمر، لكن كيمو تحدث. منذ عودته، حاول دون جدوى أن يملأ الأجواء بالسلام. من الواضح أنه لم يستطع العثور على أيٍّ من هذا السلام داخل نفسه. أصبحت تأملاته أقصر، وقضى الكثير من الوقت في تلاوة التراتيل بصوت خافت في أثناء السير. قال كيمو: «مهما فعلوا، آمل أن يصبح لتحول جينسون معنى بالنسبة إليه».

أغضب قوله كولتون، الذي قال مستنكرًا: «كيف يمكنك حتى أن تقول ذلك؟ ما نوع «المعنى» الذي قد يحمله ذلك؟».

ظل كيمو هادئًا، أو على الأقل تظاهر بذلك وهو يقول: «كل شيء له معنى، أو لا شيء له معنى. في أي عالم تفضل أن تعيش؟».

كف جامون عن البكاء. بدا أن القصر المسكون قد نال منه. ما زال لا يتحدث، لكنه لم يعد يبكي. جلست برافدا وحدها؛ تعبث ببشرة مرفقيها حتى أصيبا ونزف منهما الدم. تساءل كولتون هل سيعاقبها مسؤولو «داه زي» على إتلاف ممتلكاتهم. بدا سؤالًا غير ذي جدوى، لأن في اليوم التالي، أخذوها لفحصها تمهيدًا لتفكيكها. صرخت واعترضت كما يفعل الجميع، وسبَّت بست لغات، لكن هذا لم يغير شيئًا. في النهاية،

اصطحبها الحرس إلى أحد المباني الأخرى الخالية من النوافذ؛ المبنى الذي يحدث فيه التفكيك فعليًّا. أمِل كولتون أن يحدث ذلك سريعًا، من أجلها.

قبل إعادتهم إلى الداخل مباشرة، لمح كولتون رودين -مختبئًا في الخلف- يحمل منظارًا مقربًا. عندما أبعد المنظار عن عينيه، أدرك كولتون أنه لا يراقب المشهد؛ إنه يحدق إليه مباشرة. الصبي ذو العينين. ابتسم له رودين. أمس، تلك الابتسامة جعلت كولتون يشيح ببصره بعيدًا، لكن هذه المرة رفض السماح لرودين بترهيبه. بادل كولتون الطبيب النظرات، دون أن يبتسم له.

في زنزانتهم، لم يتحدث أحد عن برافدا، لأن ذلك سيجلب حظًّا سيئًا، وهم بحاجة إلى كل الحظ الحسن الذي يمكنهم الحصول عليه.

فكر كيمو بصوت مرتفع: «أيهما مصيره أسوأ؟ من تعرض إلى القصف الدماغي ثم التفكيك، أم من أصبح فأر تجارب؟».

ما أزعج كولتون ليس السؤال، بل الطريقة الهادئة التي طرح بها كيمو سؤاله، وكأنه سؤال افتراضي وليس الواقع الذي يواجهونه، فقال له: «كيف يمكنك حتى المقارنة بين الأمرين؟».

قال كيمو: «إنني لا أقارن؛ ليس حقًّا. إن التفكيك مع قصف الدماغ يختلف عن التفكيك العادي. فمن دون الدماغ لا شك أن المرء ميت، حتى لو أن جسده حيٌّ. ومع الموت تأتي أسرار ما يكمن وراء ذلك. أنا مستعد للموت. لكن أن أصبح أحد أشياء رودين...؟». ارتجف لمجرد الفكرة، ثم أضاف: «ومع ذلك، يواصل المرء الحياة، ربما من خلال دماغه»، ثم اخترق كيمو أعماق كولتون بسؤال دق بوقار مثل جرس الغانتا[1]: «هل يغريك الأمر؟».

---

(1) جرس الغانتا: الجرس المستخدم في الممارسات الدينية الهندوسية. «المترجم».

قال كولتون: «لا! بالتأكيد لا! أفضل قصف دماغي».

لكن كيمو ابتسم لأنه أدرك أن كولتون ليس واثقًا تمامًا.

***

في اليوم التالي لأخذ برافدا، حصلوا على رفيقة زنزانة جديدة. انفتح باب مكان احتجازهم، وسحب الحرس قسرًا فتاة إلى الداخل. فتاة مغطاة من الرأس إلى أخمص القدمين بوشوم حيوانات.

صرخت كاريسا، وهي تلوح بذراعيها، فيما يكافح الحرس لتثبيتها: «لا يمكنكم أن تفعلوا هذا، أيها الأوغاد! كيف يمكنكم أن تفعلوا بي هذا؟».

ألقوا بها على الأرض ورحلوا. أول من اقترب منها هو كولتون، الذي بدا مستمتعًا للغاية ببؤسها الجديد، وقال: «دعيني أصبح أول المرحبين بكِ».

بدا أن القتال قد توقف بالنسبة إليها عندما رأته. نهضت على قدميها، ومسحت الدم من فمها، صائحة: «يا للهول!».

سأله كيمو، وهو يقترب: «أهذه هي الفتاة التي أبلغت عنك؟».

فجأة، أصبح وجوده الهادئ مهددًا ببرود. تراجعت كاريسا حتى نهاية الغرفة إلى زاوية ملأى بالعناكب، وقالت: «لقد أجبروني على ذلك!».

اقترب منها كولتون، وهو لا يدري ما سيفعله، لكنه استمتع بحقيقة خوفها من غضبه المبرر، وقال لها: «حقًّا؟».

صرخت كاريسا، وهي تنفجر باكية بشكل بدا ملائمًا، وربما صادقًا: «لقد اختطفوا أختي! لكن إذا أحضرت لهم هاربين من التفكيك، فلن يفككوها. خمسون رهينة مقابل حريتها. هذا ما وعدوا به».

قال كيمو: «دعيني أحزر. لقد سلمتِهم تسعة وأربعين، وجعلوكِ رقم خمسين».

توسلت كاريسا إلى كولتون: «ماذا كنت ستفعل لو أنه أخوك؟».

وجه كولتون اللوم إلى نفسه، لأنه -في لحظة غباء- أخبرها قصته كاملة في الليلة التي دمرت فيها حياته، وصاح بها: «دعي أخي خارج هذا الأمر! إنكِ تعرفين أنني لست هاربًا من التفكيك، لكنك أبلغتِ عني على أي حال».

لم تجد ما تدافع به عن نفسها إزاء قوله بخلاف خفض بصرها في أسف، وهي تقول: «اضطررت إلى ذلك لأنقذ شقيقتي».

تنقلت نظرات جامون بينهما، وبدا واضحًا أنه لا يفهم، لكنه على الأقل يفهم جوهر أحاسيسهما.

قال كولتون: «أتعتقدين حقًّا أنهم أوفوا بنصيبهم من الصفقة؟ أنا واثق أنها فُككت منذ أسابيع».

لكن كاريسا هزت رأسها نفيًا، قائلة: «لا. إنني أتصل أسبوعيًّا، ويسمحون لي بالتحدث إليها. أعرف أن ماريسول ما زالت حية!».

قال كيمو، وهو ينظر إلى كولتون: «ماريسول ... نعم، إنكِ على حق. ما زالت حية».

لم يخبرها بأي شيء آخر، وبقدر غضب كولتون من كاريسا، لم يخبرها بدوره بما تحولت إليه أختها. إنه ليس قاسيًا إلى هذا الحد.

سألت كاريسا: «هل تعرفها؟ أين هي؟ أهي قريبة من هنا؟».

لم ينبس أحدهم ببنت شفة.

عرضت كاريسا على كولتون: «أخبرني أين هي، وسأخبرك سرًّا صغيرًا».

شعر كولتون بفضول حذر، فسألها: «أي نوع من الأسرار؟».

ابتسمت كاريسا وصمتت قليلًا لتشويقه. عقد كولتون ذراعيه أمام صدره، متوقعًا كذبة أو خدعة أو كليهما.

قالت: «قد أعرف طريقة للخروج من هنا».

قال كيمو: «ممم، أتقصدين طريقة بخلاف الخروج في صناديق تبريد صغيرة؟».

- توجد معلومات، لكن من المهم أن تعرف أين تجدها.

ثم بدأت كاريسا تلقي عليهم درسًا في التاريخ؛ كل شيء عن بورما في الأيام الخوالي: «منذ مدة طويلة -قبل بداية التفكيك، وقبل حتى نشأة «داه زي»- استأجر المجلس العسكري الذي يدير بورما سرًّا مهندسين من كوريا الشمالية لبناء أنفاق».

سأل كولتون متشككًا: «لماذا؟».

هزت كاريسا كتفيها، قائلة: «للهرب من الانقلاب؟ لإخفاء الأسلحة؟ لا أحد يعرف يقينًا، لكن المهم في الأمر أن هذا المكان -بعد أن كان مزرعة أفيون وقبل أن يصبح مخيم حصاد- استُخدِم كأرض تدريب عسكري. المبنى الوحيد الذي ما زال قائمًا من تلك الأيام يقع في الطرف الشمالي من المخيم. لقد أخذوا معبدًا قديمًا وحولوه إلى قصر للجنرال».

قال كولتون: «القصر المسكون!».

نظرت إليه كاريسا بسخرية، فقال: «استمري».

- توجد صور في سحابة التخزين العامة تُظهر هذا المكان، أو على الأقل كيف بدا قبل كل تلك السنوات. توجد بئر قديمة في المنتصف تؤدي إلى النفق. حاولت معرفة مكان مخرجه، حتى

أتمكن من التسلل وإنقاذ أختي، لكن كل ما عرفته هو أين تبدأ هذه الأنفاق، وليس أين تنتهي.

قال كولتون: «إذن، يمكن أن تؤدي مباشرة إلى معقل آخر من معاقل «داه زي»».

قالت كاريسا: «أو يمكن أن تؤدي إلى الحرية».

***

في أثناء التفتيش التالي، أُخرِجَت مجموعة كاملة من الصبية من الصف وأُخِذَت بعيدًا لتفكيكها. لو وُجِدَ أي نمط أو سبب لمن يختارونه، فقد عجز كولتون عن فهمه. لقد اعتاد الخوف من التفتيش. اعتاد راحة السماح له بالعودة إلى زنزانة الاحتجاز الصغيرة الرهيبة، وكأن العودة إلى هناك نوع من الانتصار.

لم يبتعد رودين اليوم، فقد وقف في الأمام، يفحص ويتأكد من خلو المختارين من الجروح، ويحدد جودة المنتج ومن قد يحتاج إلى عناية طبية لإعادة النظر في سعر أجزائه. لكن كولتون عرف سبب وجوده هنا حقًّا. إنه يبحث عمن يصلحون لتجاربه. وفيما تحرك رودين متجهًا نحوه، خطرت فكرة بذهن كولتون. ربما هي فكرة سيئة للغاية، لكنها خطوة يائسة في وقت يائس للغاية. تقدم خارج الصف وانتظر أن يلاحظه أحد.

رفع حارس كعب بندقيته، وتحرك وكأنه سيضرب كولتون، لكن هذا الأخير عرف أنه لن يفعل. ليس أمام سونثي، الذي يقف عند نهاية الصف، وبالتأكيد ليس أمام الطبيب. يجب ألا يتلف البضاعة.

قال كولتون بمجرد أن رآه الطبيب واقفًا خارج الصف: «أريد أن أتطوع». أصابته كلماته بالرعب، لكنه أيضًا شعر بطاقة تسري في

عروقه بسبب المخاطرة التي يخوضها. أضاف: «أريدك أن تغيرني أيها الطبيب رودين. أريد أن أصبح شيئًا جديدًا.. مختلفًا. شيئًا عظيمًا».

ابتسم رودين وكأنه قد فتح للتو الهدية المثالية، وقال: «متطوع. نادرًا ما أحصل على متطوعين. قليلون من يتمتعون بمثل هذه الشجاعة».

علم كولتون أن رودين قد حدد مصيره فعلًا. لو لم يحدث ذلك اليوم، فغدًا أو بعد غد. عندئذ سيصبح سجينًا. لكنه الآن خضع طوعًا. قد يحدث هذا فرقًا كبيرًا.

سأله رودين: «وما الهيئة التي تريد أن تصبح عليها؟».

ازدرد كولتون لعابه وحاول مسايرته: «سأترك الأمر لخيالك».

نظر إليه رودين، وقيَّمه، ثم قال محاولًا قراءة أفكاره: «إنك تخشى القصف الدماغي».

قال له كولتون: «إننا جميعًا نخشاه، لكن الأمر ليس كذلك فقط. أريد شيئًا... أكبر».

توجه رودين إلى الحارس، وتحدث إليه باللغة البورمية. هز الحارس رأسه. لم يعرف كولتون ماذا قال، لكن رودين ابتسم له مرة أخرى، قائلًا: «يجب أن أكمل التفتيش، ثم سنتحدث».

بعد انصراف رودين، التفت كيمو إلى كولتون، وسأله وقد فقد هدوءه تمامًا: «لماذا؟ لماذا فعلت شيئًا كهذا؟».

همس كولتون: «لإنقاذنا. لو أن النفق موجود، فسأجده»، ثم وجه حديثه إلى كاريسا: «امنحيني ثلاثة أيام، وفي تفتيش اليوم الثالث، اطلبي رؤية شقيقتك».

- ولماذا سيسمحون لي بذلك؟

قال كولتون بثقة: «سيفعلون». سيحضرها سونثي، ولو لمجرد رؤية النظرة على وجهها. أضاف: «الجزء الصعب هو إقناعهم بأن كيمو وجامون يجب أن يأتيا أيضًا، لكني أثق أنكِ ستجدين وسيلة».

ابتسمت له كاريسا في خبث، قائلة: «تتحدث كما لو أنك إوُول آكرون».

هز كولتون رأسه نفيًا، وقال: «لستُ بطلًا؛ أريد النجاة فحسب».

- أثق أن هذا ما قاله كونر لاسيتر عندما هدَّأ شرطي الأحداث وأخذ العُشر رهينة.

سأله كيمو: «وماذا لو لم تتمكن من العثور على نفق؟».

- عندئذ لن نصبح أسوأ حالًا مما نحن عليه الآن.

أوضح كيمو: «بل ستصبح أسوأ حالًا»، ووافقه كولتون، لكنه لم يعد يتحمل المقلاة. إنه مستعد لمواجهة النار.

***

عند انتهاء التفتيش، وعودة الآخرين إلى أماكن الاحتجاز الرمادية القذرة، وجه رودين -باللغة البورمية أو اللاوية أو مزيج من الاثنتين- تعليمات للحرس، فأمسكوا كولتون بعنف. أوقفهم رودين فورًا، ووبخهم، فرفعوا أيديهم عن كولتون، لكنهم وقفوا بالقرب منه وهم يرافقونه إلى القصر الحجري المغطى بالطحالب.

قال له رودين، بعد أن أغلقوا البوابات الحديدية عقب دخوله: «ستحصل على غرفة خاصة هنا في القصر الأخضر»، فتساءل كولتون هل يعرف الطبيب أن الجميع يطلقون عليه القصر المسكون. أضاف رودين: «كما سنهتم بكل احتياجاتك». لوح بيده، فجاء كونال ركضًا.. أو قفزًا على يديه.

- لدينا متطوع.

- أمرك، أيها الطبيب رودين.

- أرشده إلى الغرفة الثالثة والعشرين.

- أمرك، أيها الطبيب رودين.

التفت رودين إلى كولتون، قائلًا: «لقد علَّمتُ كونال الإنجليزية. أعتزم اصطحابه إلى الغرب وإبهار العالم بما فعلناه هنا».

وجد كولتون أن هذا احتمال بعيد للغاية. إن رودين واهم مثلما تتوهم برافدا.. توهمت.

قاد كونال كولتون في طاعة من خلال الفناء، ونظر كولتون حوله، محاولًا ألا يبدو استطلاعه للمكان واضحًا، كما حاول تجاهل الأصوات القادمة من الغرف التي تحد الفناء. لم يرغب حتى في تخيل وجود مخلوقات هناك. ركز انتباهه على منتصف الفناء. لقد تحدثت كاريسا عن بئر في المنتصف، لكن الآن لا يوجد سوى شجرة ضخمة ومعقدة؛ تلك التي تسلقها كونال بناءً على طلب الطبيب.

- أخبرني، هل يمكنك قول أي شيء أكثر من «أمرك، أيها الطبيب رودين»؟

قال كونال: «لقد تحسنت لغتي الإنجليزية».

نظر كولتون إلى أسفل، إلى اليدين المتصلتين بكعبيه، فوجده يرتدي فيهما قفازًا جلديًّا من دون أصابع. سأله: «هل أنت متطوع؟».

لم يجبه كونال.

- أأنت سعيد بما... بما حوَّلك إليه؟

توقف كونال ونظر بإمعان إلى كولتون، الذي حاول بدوره استشفاف أحاسيسه، لكنه لم ينجح في ذلك. لم يتأكد هل كونال صديق أم عدو. هل كسب الطبيب ولاءه حقًّا؟

قال كونال: «عقلي وجسدي ما زالا هنا. هذا أفضل من غيابهما».

- أوافقك الرأي، لكن هذا لا يجيب سؤالي.

- لا أفهمك.

- أعتقد أنك تفهم.

وصلا إلى الجزء الخلفي من الفناء الكبير، وهو المكان الذي تتلاشى فيه الأصوات الغريبة، وفتح كونال بابًا خشبيًّا ملتويًا بمفتاح قديم الطراز في سلسلة مفاتيحه الضخمة المزعجة. بدت الغرفة نفسها -كما وعد الطبيب- مريحة للغاية، مقارنة بالزنزانة المزدحمة التي جاء منها. المتطوع فحسب يحصل على الأفضل.

قال كونال: «ابق هنا. ربما يأتي الطبيب لإحضار الغداء. وربما آتي أنا، وقد لا يأتي أحد».

ألقى كولتون نظرة ثانية على الشجرة، التي تصدر حفيفًا عندما يداعبها النسيم، وسأل كونال: «هل تسلقت الشجرة كلها، وصولًا إلى القمة؟ هل حاولت؟ أراهن أنك تستطيع».

- لن أتحدث بعد الآن.

حبسه كونال في الداخل وقفز مبتعدًا عن الغرفة، لكن بعد ساعة رآه كولتون من خلال النافذة الصغيرة في غرفته، يتأرجح وسط أعلى فروع الشجرة الضخمة.

***

في وقت متأخر من عصر ذلك اليوم الأول، أحضر رودين كولتون إلى مكتبه في الطابق الثاني، بعيدًا عن الأصوات القادمة من الغرف العديدة بالأسفل، وناقشا مستقبل الفتى.

قال الطبيب في مرح: «توجد العديد من الاحتمالات، أليس كذلك؟».

لم يستطع كولتون منع ركبته من الاهتزاز في توتر. لا بأس بذلك. اجتهد لوضع كل قلقه في تلك الركبة، حتى لا يظهر في أي مكان آخر.

أخبره رودين: «سأستلم شحنة الأسبوع المقبل. جناحا طائر الباتروس المتجول؛ يبلغ طولهما ثلاثة أمتار وخمسة أقدام، وهما الأكبر في العالم. لقد غُرِسَا في الحمض النووي البشري، للتغلب على رفض الأنسجة بين الأنواع».

أومأ كولتون برأسه فقط، وأغلق فكيه بإحكام، لأنه لو لم يفعل، فقد يصرخ. اعتبر الطبيب صمته تفكيرًا، وأضاف: «لا بد أنك تتخيل كيفية الطيران، أليس كذلك؟»، ثم ألقى نظرة على النصف السفلي للفتى، مواصلًا: «إن ساقي الإنسان أثقل من أن تسمحا له بالطيران طبعًا، لكنهما خُلقتا للمشي. ما الحاجة إليهما لو استطعت الطيران؟».

حاول كولتون التمسك بما قاله رودين في البداية. الأسبوع القادم. لو أن هذا مصيره، فلن يحدث ذلك حتى الأسبوع القادم. بحلول ذلك الوقت ربما يستطيع العثور على ذلك النفق والخروج من هنا.

- لكن ربما يجب أن نفكر في تسليط الضوء على تلك العينين البنيتين. إنهما ضائعتان في الوجه، ألا تعتقد ذلك؟ لكن تخيلهما في راحتي يديك. كم ستصبح فائدتهما أكبر!

سأله كولتون أخيرًا: «أهذه خياراتي؟ عينان في يديَّ، أم جناحا طائر الباتروس؟».

عبس وجه رودين وهو يسأله: «ألديك ما هو أفضل؟ شيء تحلم بأن تكونه؟ شيء لا يستطيع الجسم البشري عمله في شكله الطبيعي الأدنى؟».

تنفس كولتون بعمق. ما أبشع تنوع محتمل يمكن أن يقترحه؟ شيء من شأنه أن يبقي معظمه دون أن يُمَس؟ لكن الأهم من ذلك؛ شيء قد يستغرق وقتًا طويلًا للغاية لتحضيره.

تخيل أجنحة طائر الباتروس، مما دفعه إلى التفكير في بيجاسوس، ثم قاده إلى التفكير في «القنطور». لم يستطع تصديق أنه يفكر في الأمر حتى، ناهيك بقوله جهرة.

ضحك الطبيب: «إنك تمد يدك إلى النجوم، أليس كذلك؟ القنطور، ألمع كوكبة في السماء الجنوبية. إنك مثلي؛ مفتون بالأساطير. يمكنني احترام ذلك». دلك الطبيب ذقنه بعمق، مضيفًا: «لقد فكرت في الأمر من قبل طبعًا، لكن مثل هذا المسعى محفوف بالمضاعفات. يجب أن ينحني العمود الفقري بزاوية حادة؛ يجب دمج الجهاز العصبي المركزي بفاعلية، والعملية نفسها محفوفة بالأخطار.. إنها مخاطرة كبيرة»، ثم نظر إلى كولتون لحظة أخرى، وضرب سطح الطاولة بكفه في حماس، مستدركًا: «لكن لو أنك مستعد للتحدي، فأنا أيضًا مستعد لذلك!».

نهض، ممتلئًا بالإثارة، فبدأ كولتون يضحك. لم يجد أيًّا من هذا مضحكًا، ومع ذلك أخذ يضحك دون معرفة السبب. اعتبر الطبيب ضحكه علامة على نوع من الموافقة.

- سنجد جوادًا بالحجم المناسب. كستنائيًّا -على ما أعتقد- ليناسب شعرك. سيستغرق الأمر عدة أسابيع لحقن الحمض النووي البشري فيه.

عدة أسابيع. تلك هي فترة السماح التي تمناها كولتون! استعد الفتى لتهنئة نفسه على ذكائه، حتى قال رودين: «لكن يجب أن نمنحك أولًا قلبًا أكبر. سأجعل ذلك أولوية هذا الأسبوع».

- ماذا؟

- لا يمكنك أن تتوقع من قلب بشري عادي أن يضخ الدم حتى مؤخرتك.

- لا، لكن... لكن ألن تحتاج إلى وقت لحقنه بالحمض النووي البشري أيضًا؟

- عادةً نعم، لكنني أملك قلب ثور فعلًا. خططتُ لصنع مينوتورين لإيقافهما على جانبي مدخل القصر، لكن ذلك يمكن أن ينتظر؛ هذا أكثر إثارة بمراحل.

صفق رودين في سرور، وأضاف: «يا لها من أعجوبة سنصنعها!».

هنا، شعر كولتون بالدوار، فقبض على مقعده بقوة، داعيًا أن يتمكن من مغادرة هذه الرحلة قبل نهايتها الرهيبة.

***

4 - كونال

الفخ الذي نصبه هذا الصبي لنفسه أسوأ من أي فخ يمكن للطبيب أن يبتكره. اعتقد كونال أن عقله معطل بالضرورة؛ مثل تلك الفتاة الروسية المسكينة. أو ربما تخيل نفسه حقًّا كأحد مكونات الأساطير.

حُدد موعد الإجراء الأول -زرع القلب- يوم الجمعة؛ بعد ثلاثة أيام فقط من وصول كولتون إلى القصر الأخضر. سيباع قلب الصبي في السوق السوداء، ويحل محله قلب بقري أكبر من ضعف حجمه.

حضر كونال إجراء المحادثة الثانية بين الطبيب وكولتون، ليتناقشا قبل الجراحة.

قال له الطبيب رودين بلا مبالاة: «يجب علينا طبعًا تكبير صدرك قليلًا، لكن هذا إجراء بسيط جدًّا».

راقب كونال كولتون، لكنه لم يبدِ أي رد فعل. كيف لا يشعر بالرعب؟ لقد شعر كونال بالرعب عندما أصبح محور اهتمام الطبيب، لكن في نهاية الأمر، لم يكن كونال متطوعًا، بل مُختارًا.

ربما لهذا يلقى هذا الصبي الأمريكي معاملة مختلفة عن الآخرين.

أمر رودين كونال: «ستحبسه في غرفته ليلًا، واسمح له بالتحرك في القصر في أثناء النهار، لكن راقبه من كثب. رافقه أينما ذهب».

جرؤ كونال على سؤاله: «لماذا أيها الطبيب رودين؟ لماذا لا نقيده بالأغلال؟».

نظر إليه الطبيب في استياء، قائلًا: «هل تستجوبني؟».

- بل أسأل لأفهم فحسب.

تنهد رودين، وأجابه: «سيموت هذا الصبي بالتأكيد. إن لم يحدث هذا بعد الإجراء الأول، فسيحدث بعد الإجراء التالي. لا يمكن تحقيق التقدم دون التجارب الفاشلة، أليس كذلك؟ لكنني معجب بشجاعة هذا الصبي. أقل ما يمكنني فعله هو تركه يستمتع بإنسانيته ليوم أو اثنين».

لم ترق كونال فكرة أنه أصبح الآن خادمًا لطفل أمريكي مدلل، لكن معرفة ما ينتظره خفف قليلًا من حدة حكمه.

في صباح اليوم التالي، اصطحب كونال كولتون في جولة رائعة في القصر الأخضر، أو على الأقل الأماكن التي يُسمح لكونال بالذهاب إليها، وهي المكتبة الملأى بالكتب العفنة، والضريح -فقبل أن يسكن الرجال هذا المكان، كان مقرًّا لعبادة وثنية- والشرفة، التي تطل على سور مكهرب يفصل القصر عن الغابة وتايلاند في الشرق، حيث تقع حدودها على بعد كيلومتر واحد فقط؛ قريبة كالسراب.

يوجد طبعًا حرس في جميع أنحاء المكان، ورغم أنهم يشددون أيديهم على أسلحتهم عندما يرون كولتون، فإنهم يعرفون ضرورة عدم لمسه. ليس إلى أن يلمسه مبضع الطبيب.

ارتكب كونال خطأً بإحضار كولتون بالقرب من الجناح الشمالي، فقد جعلت الأصوات كولتون يتوقف عن السير. إنها مختلفة عن تلك المسموعة في الأقسام الأمامية من القصر؛ المقتصرة على أصوات ما بعد الحادث. كائنات مدمرة تتخبط وتثرثر، في محاولة لفهم وجودها الشبيه بفزاعات بيت الرعب. لكن الصادر من الجناح الشمالي أصوات الأرواح في مرحلة انتقالية. عواءات المطهر الجوفاء.

رغم محاولات كونال لإبعاد كولتون عن الجناح الشمالي، تحرك الصبي نحو باب مزدوج محكم الإغلاق، سمع من خلفه أنينًا مكتومًا وعويلًا ضعيفًا. إنها بوابات جحيم رودين.

قال كونال لكولتون على مضض: «إنها غرفة الإنعاش. بعضهم يعيش، وبعضهم يموت. وبعضهم يصبح في حال أسوأ من الموت. إنك لن ترغب في الوجود هنا الآن. ستأتي إلى هنا قريبًا جدًّا».

ثم أمسك ذراعه ليسحبه بعيدًا، لكن كولتون تخلص منه.

- صه.

نظر كونال حوله للتأكد من عدم وجود حرس يراقبونهم، لأن الطبيب لا يحب أن يظل كونال في الجناح الشمالي. ثم سمعوا وسط الآهات الجماعية صوتًا واحدًا يتوسل للمساعدة بالإنجليزية، وبلهجة أسترالية.

قال كونال: «إنه صديقك. لقد نجا.. حتى الآن».

- ماذا فعل به رودين؟

- لا أعرف بعد. سأعرف عندما يخرج.

في أثناء ابتعادهما عن غرفة الإنعاش، لمح كونال شيئًا في عين كولتون. شيء أكثر من مجرد استسلام لخطط رودين التجريبية. شيء متمرد. فكر كونال: *ربما يوجد المزيد خلف هذا الصبي الأمريكي في نهاية الأمر*.

***

5 - كولتون

كل أمل كولتون الآن معلق على نفق ربما ليس له وجود. ظلت الشجرة الموجودة في مركز الفناء الكبير مركز اهتمامه. دار حولها مرارًا وتكرارًا، محاولًا ألا يثير الشبهات. الجذور ثقيلة ومعقدة كالأغصان. لو وُجِدَت بئر هنا، فقد دمرها نمو الشجرة المستمر.

سأله كونال: «هل تريد التسلق؟ من الأفضل أن تتسلق الآن. لن تتمكن من ذلك لاحقًا. إما أن تموت، وإما أن تصبح حصانًا. تسلق الآن. سأريك».

الشيء المميز في كونال، أنه لا يستخدم الكلمات الإنجليزية القليلة التي يعرفها بلباقة وحرص. نظر كولتون إلى الشجرة وهز رأسه، قائلًا: «لن يسعد رودين بك لو تسببت في دق عنقي».

قال كونال: «سأساعدك، تعال».

يبدو أن فرحة كونال الوحيدة هي قدرته المكتشفة حديثًا على تسلق هذه الشجرة، وفكر كولتون في مدى روعة قدرة البشر على التكيف مع أي شيء يُلقى عليهم. لو نجا كولتون، فهل سيصبح قادرًا على التكيف؟ إنه غير مستعد لتخيل شكل حياته إذا نجحت عمليته التي لا يمكن تصورها.

وفيما يقتربان من الشجرة، رأى كولتون حفرة صغيرة بين جذرين كبيرين، لا يزيد حجمها على قبضة اليد، فركع لفحصها.

قال كونال: «يوجد شيء سيئ هناك. إنها ثعابين البايثون».

- ظننت أن الثعابين البورمية تعيش في الأشجار، وليس تحتها.

هز كونال كتفيه، قائلًا: «إذن، فهي جرذان كبيرة. توجد أشياء كبيرة كثيرة في بورما».

ومع ذلك، ركل كولتون الحفرة، فسقطت بعض الأوحال فيها، فاتسعت الحفرة قليلًا. ابتسم ونظر إلى كونال، الذي بدأ يتسلق فعلًا، وانضم إليه في أدنى فروع الشجرة. أتى حارس فورًا ليصيح به حتى ينزل، لأن كونال فقط المسموح له بالتسلق؛ ليس كولتون، لكن لا بأس بذلك. نزل كولتون، وألقى التحية على الحارس، واتجه عائدًا إلى غرفته، وقد عرف كل ما يحتاج إلى معرفته.

أدرك كولتون أن في حالة هروبه، سيحتاج إلى شخص لديه إمكانية الوصول. شريك داخلي. لذا في تلك الليلة عندما أحضر كونال العشاء، خاطر كولتون بكل شيء.

- ماذا لو أخبرتك يا كونال بوجود طريقة يمكنك من خلالها الهروب من هذا المكان؟

ضحك كونال فحسب، قائلًا: «سأقول إنك مجنون».

- تلك الحفرة أسفل الشجرة ليست مجرد جحر للفئران. إنها نفق. أثق تمامًا أنها تؤدي إلى الغابة؛ ربما حتى تعبر الحدود إلى تايلاند.

جعل قوله كونال يتوقف ليفكر.

- هل تريد مغادرة هذا المكان يا كونال؟ فكر في الأمر!

بدأت عينا كونال تدمعان، وقال: «ماذا ينتظرني هناك؟».

- أيًّا كان الأمر، فهو أفضل مما لديك هنا. لن تضطر إلى أداء دور قرد الطبيب المدرب.

تراجع كونال في غضب، فأدرك كولتون أنه أخطأ في اختيار كلماته.

- سأحضر لك الإفطار في السابعة. لا تتحدث إليَّ، ولن أتحدث إليك.

وغادر مسرعًا، فأخذت سلسلة مفاتيحه ترن وهو يقفز على يديه.

***

6 - كونال

إن الفتى الأمريكي مجنون. وقوله يثبت هذا. ومع ذلك، لم يستطع كونال إخراج صوت كولتون من ذهنه. «لن تضطر إلى أداء دور قرد الطبيب المدرب». هذه حقيقته الكاملة، أليس كذلك؟ حيوان أليف. حيوان يمكن للطبيب تعليمه أداء الحيل لتسلية نفسه. تسلق الأشجار. التحدث بالإنجليزية.

في تلك الليلة، وضع كونال الثلج على كعبيه المتألمين، كما يفعل دائمًا، لكن لاحقًا، بعد أن نام الجميع باستثناء حرس الليل، غادر غرفته في الطابق العلوي. تسلل خلسة من خلال الشرفة المحيطة بالفناء إلى المكان الذي تقترب فيه أغصان الشجرة الثقيلة من المبنى. ثم قفز إليها، وزحف إلى أسفل في صمت حتى وصل إلى القاعدة. بالنسبة إلى الحرس الذين يطوفون في دورية، تعتبر الشجرة بمنزلة نقطة عمياء. انتباههم منصب على البوابات والأبواب والحواجز التي إما تبقي الناس في الداخل، وإما تمنعهم من الدخول.

متجاهلًا خوفه مما قد يوجد في الأسفل، كشط كونال الأتربة حول الحفرة بين الجذور، مستخدمًا أيديه الأربع، حتى صنع فتحة يزيد عرضها على قدم. لم يستطع أن يرى في الظلام. أسقط حجرًا في الداخل. استغرق الأمر ثانية على الأقل، قبل أن يسمع صوت اصطدامه بالقاع. إن كولتون محق؛ هذه أكثر من مجرد حفرة. سارع بتغطيتها

بأوراق وأغصان. يجب ألا يعرف أحد بهذا. الطبيب لديه العديد من الأسرار. والآن كونال لديه سر أيضًا.

في الصباح، وصل سونتي مع ثلاثة هاربين من التفكيك: زميلا كولتون المتبقيان في الغرفة، وفتاة تملأ جسدها الوشوم؛ لم يرها كونال من قبل.

سارع كونال إلى الوقوف بجوار الطبيب، مدركًا أنه أفضل مكان يوجد فيه عندما يحدث شيء غير مدرج في جدول الأعمال. لو أنه في أي مكان آخر، واستدعاه الطبيب، لصب جام غضبه عليه، بدلًا من مجرد إصدار الأوامر له.

قال سونتي بابتسامة عريضة: «إنها تتمنى أن ترى أختها. أعتقد أن الوقت قد حان».

عبس وجه الطبيب، وقال: «منذ متى أصبحت وظيفتك أن تفكر؟».

تقبل سونتي التوبيخ في صمت متوتر. يعرف كونال أنه يحتقر رودين، لكن هذا مخيم الطبيب، وفي «داه زي»، عقاب عدم احترام رئيسك هو الموت.

ثم صرخت الفتاة: «لقد خالفتم صفقتكم معي، أيها الأوغاد! ستفككونني الآن، وما زالت أختي سجينة. أقل ما يمكنكم فعله هو أن تدعوني أودعها».

تجاهلها الطبيب، وسأل سونتي: «وماذا عن هذين الآخرين؟».

هز سونتي كتفيه، قائلًا: «أصرا على المجيء معها. أخبرتهما أنهما لو جاءا فلن يعودا. لذا أعتقد أن لديك متطوعين جديدين».

***

7 - كولتون

سمع كولتون الضجة عند البوابة، ومن خلال نافذة غرفة نومه الصغيرة، رأى كاريسا والآخرين مع سونثي. لقد جاؤوا في الموعد المحدد تمامًا. لم يبدُ الطبيب سعيدًا، وبدا كونال قلقًا، وهو ينقل ثقله من يد إلى أخرى. غادر كولتون غرفته، التي فتحها كونال في وقت سابق من اليوم، وسارع إلى هناك.

سمع سونثي يقول: «أعتقد أن لديك متطوعين جديدين».

قال الطبيب، وهو يلوح بيده رافضًا: «لا أحتاج إلى متطوعين اليوم. أخرجهما من هنا. يجب مكافأة وقاحتهما بالتفكيك».

أمسك الحرس الثلاثة، لكن في تلك اللحظة رأى كونال كولتون يقترب والتقت نظراتهما.

ما فعله كونال بعد ذلك غيَّر كل شيء.

راقب كولتون كونال وهو يمد يده ويهز مفاتيحه قليلًا، ثم أومأ له. تعني هذه الإيماءة: «أنا في صفك. سأصبح شريكك. رجلك في الداخل». خطر بذهن كولتون كيف يمكن لإيماءة واحدة أن تغير العالم.

قال كولتون: «انتظر، إنك بحاجة إليهم، أيها الطبيب رودين».

اتجهت كل الأعين إليه. بدا الصبية الآخرون مصدومين لرؤيته غير مقيد.

تقدم كولتون نحو جامون، قائلًا: «انظر إلى مدى نحافة هذا الصبي. أنت بحاجة إلى شخص صغير لأجنحة طائر الباتروس، أليس كذلك؟

وكيمو؛ إنه يجلس طوال اليوم وراحتا يديه متجهتان نحو السماء. ضع عينين في تلك الراحتين، ثم دعه يخبرك بما يراه».

ساد صمت مذهول، حتى الطبيب لم يقل شيئًا.

حدق كولتون إلى كاريسا، وواصل: «وهذه الفتاة ... صائدة الهاربين من التفكيك. يجب أن تسمح لها برؤية شقيقتها. ثم أضف إليها ذراعيها الموشومتين، ففي نهاية الأمر، ستجد بينهما توافقًا بيولوجيًّا كبيرًا، وسيساعدك ذلك على الاقتراب خطوة إضافية من الحصول على كالي التي تريدها».

نظرت كاريسا إليهم في ارتباك متزايد، ورددت: «ذراعاي؟ ما الذي تتحدث عنه؟ ما الذي يتحدث عنه؟».

ثم أطلق سونثي ضحكة عالية طويلة، وقال: «يبدو أنك وجدت أخيرًا روحًا تشبهك، أيها الطبيب. من المؤسف اضطرارك إلى وضعه تحت رحمة المبضع».

نظر رودين إلى كولتون بشيء من الرهبة أو الإعجاب على الأقل، ثم قال: «حسنًا، إذن».

أمر الحرس بوضع جامون وكيمو في زنزانة احتجاز، وأرسل كونال لفتح غرفة ماريسول. رافق سونثي كاريسا شخصيًّا لزيارة أختها. لم ينصرف كولتون، بل بقيَ في الفناء مع الطبيب.

قال له رودين: «أنا وأنت نتفق في أسلوب التفكير. هذا يمنحني حافزًا أكبر للتأكد من نجاتك من العملية الجراحية».

وهنا، سمع كولتون من زنزانة ماريسول صرخات الصدمة والحزن التي تحرق روح كاريسا، جنبًا إلى جنب مع ضحكات سونثي التي لا تنتهي.

***

8 - كونال

الأمل غير المتوقع في الحرية مغرٍ ومرعب في الوقت نفسه. حياته هنا مروعة، لكنها محتملة. ماذا ينتظره هناك في عالم سينظر إليه كوحش؟ يمكنه أن يعيش وحيدًا، منعزلًا على حافة الحضارة، لا يزعج أحدًا، ولا يزعجه أحد. أهذه هي الحياة التي يريدها؟

إنها أسئلة لا يعرف كونال إجابتها؛ كل ما يعرفه هو أن الحرية مرغوبة فوق كل شيء. لا يمكنه السماح لخوفه بحجب رؤيته. وهكذا -بعد منتصف الليل- غادر غرفته مرة أخرى، وقد تشكلت خطة كاملة في ذهنه. خطة قد يصبح قادرًا على تنفيذها.

***

9 - كولتون

تجول كولتون في غرفته في الظلام. لم يستطع النوم؛ لم يستطع حتى الجلوس طويلًا. سيأتون إليه عند الفجر لإعداده لعملية جراحية. قريبًا، سيحدث توسيع لصدره، وتثبيت قلب الثور بدلًا من قلبه.. ما لم يأتِ كونال.

قال له كونال فيما يحبسه في غرفته تلك الليلة بعد العشاء: «انتظر.. انتظر، سآتي».

- ماذا عن الآخرين؟

لم يجبه كونال، بل كرر: «انتظر!».

تحرك القمر في منتصف السماء، قبل أن يظهر كونال عند بابه. لم تصدر مفاتيحه رنينًا. دار المفتاح في القفل ببطء وهدوء. بدا وكأن قلب كولتون يصعد حتى شعر به ينبض في عنقه؛ قلبه الذي سيفقده بعد قليل. لقد جاء كونال؛ هذا يعني أنه سيحتفظ بقلبه. هذا لو أن النفق نفقٌ حقًّا. ولو أن الحرس لم يقتلوه قبل أن يصل إليه.

رأى ظل كونال عندما فتح الباب، وهمس له: «هيا، هيا! لا يوجد وقت»، ثم أعطى كولتون مسدسًا، فشك أنه مملوء برصاصات التهدئة. لم يحمل كولتون سلاحًا من قبل، لكنه يعلم أنه سيستخدمه إذا اضطر إلى ذلك.

لم ير الآخرين إلا عندما خرج من غرفته. كيمو، وجامون، وكاريسا، وماريسول، وظلها العنكبوتي في الظلام. لقد سلحهم كونال جميعًا.

كان كولتون ليتجه مباشرة إلى الشجرة، لولا شيء واحد. جينسون ليس معهم.

همس كولتون: «يجب أن نحضر جينسون».

قال كونال: «لا. ارحل الآن. سيبقى. فات الأوان بالنسبة إليه».

لكن كولتون عَلِم أنه لن يسامح نفسه أبدًا لو لم يحاول، فقال لكونال: «خذهم إلى النفق»، ثم مد يده إليه، مضيفًا: «أعطني المفتاح».

تردد كونال لحظة فحسب. وجد المفتاح في حلقة المفاتيح لكنه لم يستطع خلعه، لذا سلم الحلقة بأكملها لكولتون، وقال له: «أنت غبي.. شديد الغباء»، ثم غادر مع الآخرين.

تسلل كولتون وحيدًا في الظلال إلى الأبواب المزدوجة لغرفة الإنعاش. حتى في هذا الوقت من الليل، لم يسد الصمت هناك. ما زالت توجد أنات وصرخات خافتة يائسة ممن أصابتهم اللعنة. انتظر مرور الحارس بجولاته، ثم ذهب إلى الباب، وفتحه، متسللًا إلى الداخل.

أول ما صدمه هو الرائحة الكريهة. رائحة الدواء والمرض في الوقت نفسه. من الصعب ألا يختنق. الأضواء نادرة وخافتة، وقد أسعده ذلك، لأن في كل أركان الغرفة توجد ضحية تجربة أخرى للدكتور رودين؛ تتعافى بعد الجراحة.

وهذه بالضبط حقيقتها؛ تجارب وليست إبداعات. شعر كولتون أنه يكاد يسمع الفرضيات التي يحاول الطبيب بحثها.

أيمكن وضع الدماغ في مكان آخر غير الجمجمة؟

أيمكن أن يوجد جانوس أسطوري، بوجهين على الجمجمة نفسها؛ متقابلين دائمًا في اتجاهين متعاكسين؟

أيمكن الحصول على عملاق من خلال تكديس الأعمدة الفقرية؟

وهؤلاء هم الناجون من تجاربه.

لم يستطع كولتون حتى أن يتخيل الأخطاء التي لم ينجُ ضحاياها.

ثم وجد جينسون.

سمعه كولتون يقول: «من هناك؟ أعلم أنك موجود؛ يمكنني سماعك!».

اقترب كولتون من سرير المستشفى الذي يرقد عليه جينسون، فيما ثُبِّت كعباه ومعصماه بإطار السرير. ويوجد أنبوب وريدي يغذي ذراعه.

- لا تتظاهر بأنك لست موجودًا! إنني أسمع تحركاتك!

- إنه أنا يا جينسون.. كولتون.

في البداية بدا وكأن شيئًا لم يحدث له... لكن عندما أدار رأسه في اتجاه صوت كولتون، رأى ذلك الأخير أن جينسون لم يعد يملك عينين، وبدلًا منهما، حصل على أذنين إضافيتين في مكان العينين.

ارتجف كولتون وهو يتذكر قول الطبيب رودين: «أعرف طريقة ستجعله يستمع».

- ساعدني يا كولتون. أخرجني من هنا.

حاول كولتون، لكن ثقوب المفاتيح في أغلال جينسون لم تتطابق مع أي من مفاتيح كونال.

- أرجوك يا كولتون! عليك أن تفعل ذلك! عليك أن تفعل ذلك!

- إنني أحاول.

ثم علا بالخارج صوت صيحات باللغة البورمية وطلقات نارية. سمع فتاة تصرخ. أهي ماريسول؟ كاريسا؟ المزيد من الطلقات النارية، ثم وابل من نيران المدافع الرشاشة. لقد حدث خطأ ما! ابتعد كولتون خطوة عن جينسون ليختلس النظر من الباب.

صرخ جينسون: «لا، لا تذهب!»، ثم هدأ، وأضاف: «لو لم تتمكن من تحريري، اقتلني. أرجوك يا كولتون. لا أريد أن أعيش هكذا».

تفهم كولتون رغبته. فهو أيضًا لن يرغب في العيش هكذا. سحب المسدس من خصره ووجهه نحو جبهة جينسون الملأى بالندوب.

لكنه لم يستطع الضغط على الزناد.. لم يستطع.. لم يستطع فحسب.

قال كولتون: «أنا آسف يا جينسون.. أنا آسف». واستدار راكضًا، وهو يعلم أنه إذا نجا من هذه الليلة، فلن يتمكن أبدًا من مسامحة نفسه على لحظة ضعفه. وعلى فشله في إعطاء جينسون ما يحتاج إليه حقًّا.

***

10 - كونال

ألقى كونال اللوم على القمر. لو أنها ليلة بلا قمر، لأسدل الظلام الكامل أستاره عليهم. كان ينبغي له أن ينتظر بضع ساعات أخرى، حتى يغيب القمر، لكنه شعر بالقلق، وأربك ذلك حكمه. الآن يمكن أن يضيع كل شيء. سمع صراخ الحارس الأول، الذي لفت انتباه الثاني. لم يستطع رؤيتهما بعد، لكنه يعرف الاتجاه الذي تأتي منه الصيحات. أُصيبت ماريسول بالذعر، وركضت نحو الشجرة، لكنها لم تعرف إلى أين تذهب. اتجهت نحو الجانب الخطأ، فلاحقتها كاريسا. ثم أطلق أحد الحرس النار. أصيبت كاريسا، وسقطت وهي تصرخ ألمًا، لكن هذا لم يوقفها. تدحرجت وبدأت تطلق النار في اتجاه الحرس باستخدام المسدس الذي أعطاه لها كونال.

ثم فقد الصبي التايلاندي الصغير -هل اسمه جامون؟- السيطرة. لم ينطق بكلمة منذ أن أحضروه إلى هنا، لكنه ركض فجأة إلى وسط الفناء، مطلقًا صرخة حرب بأعلى صوت. لقد أخذ كونال كل الأسلحة التي يمكنه حملها عندما داهم مستودع الأسلحة. لم يفكر كثيرًا إلى من سلَّم كل سلاح. حصل جامون على مدفع رشاش، أخذ يطلقه الآن بعنف على أي شيء يتحرك.

وهذه بالضبط نقطة التحول التي احتاجوا إليها.

قال كونال لكيمو: «توجه إلى الجانب الأيسر من الشجرة؛ بين الجذور. اذهب الآن!».

ركض كيمو، ممسكًا بماريسول، فيما عرجت كاريسا خلفهما. انصب انتباه الحرس على جامون، الذي أسقط فعلًا أربعة منهم على الأقل. اشتعلت الأضواء في الطابق العلوي، لكنها ليست الأضواء الكاشفة الكبيرة، مما يعني أنه ما زال يوجد وقت، لو تمكنوا من الوصول إلى الشجرة.

***

11 - كولتون

اندفع كولتون إلى الفناء، وهو يكاد لا يصدق ما يراه. الجثث متناثرة على الأرض. لا يعرف من هم. ثم أمسكه أحدهم. استدار، مستعدًّا لاستخدام مسدسه هذه المرة، لكنه وجد كونال، الذي قال له: «اذهب الآن! الآن! إنها الفرصة الأخيرة!».

ركضوا إلى الشجرة، واتخذوا الطريق الطويل للبقاء تحت سقف الشرفة العلوية، بعيدًا عن ضوء القمر. في الفناء، سقط الصبي الصارخ الذي أطلق النار بالمدفع الرشاش قتيلًا برصاصة في الرأس. أهو... أهو جامون؟

- إلى هناك! اذهب!

وصلا عند جذور الشجرة. توجد رائحة كريهة.

انتشرت من كل مكان حولهم رائحة كريهة. أشبه برائحة البنزين...

دفعه كونال، فغاص كولتون في الحفرة التي بالكاد كفته، وأخرجته من هذا العالم، ليولد في آخر.

- هل أنت بخير؟

إنه كيمو. كاريسا أيضًا هناك وكذلك ماريسول.

تأوهت كاريسا. لقد أصيبت برصاصة، لكنها حية.

استدار كولتون نحو الحفرة، متوقعًا أن يرى كونال ينزل خلفه، لكنه لم يأتِ.

- كونال!

لقد خذل صديقًا فعلًا اليوم؛ ولا يمكنه أن يخذل آخر. تسلق كومة من الطوب المحطم عائدًا نحو الحفرة.

صرخ كيمو: «ماذا تفعل يا كولتون؟!».

توقفت الطلقات النارية. أخرج كولتون رأسه من بين الجذور. لم يرَ كونال في أي مكان. لكن شخصًا يراه ويركض نحوه. إنه ليس كونال. إنه سونثي. رفع مسدسه...

وفجأة ابتلعت النيران العالم كله.

***

12 - كونال

في لحظة انزلاق كولتون في الحفرة، أمسك أحدهم كونال من الخلف، وسحبه بعيدًا عن الشجرة، وألقاه مثبتًا على الأرض، ومن يكون سوى الطبيب نفسه؟!

- أيها الوغد الشرير الجاحد الصغير! ماذا فعلت؟

أمسك كونال مسدسًا في يده، لكن الطبيب ضرب يده بالأرض حتى أسقط المسدس. قاوم الصبي، لكن الطبيب ثبَّت كلتا يديه على الأرض الصلبة، مضيفًا: «سأجعل سونثي يخضعك إلى التفكيك حيًّا شيئًا فشيئًا حتى لا يتبقى منك شيء».

قال كونال: «لقد نسيتَ شيئًا، أيها الطبيب»، ثم ابتسم، وبيده التي كانت قدمًا، غرز سكينًا بعمق في عنق الطبيب. بالكاد وجد رودين الوقت لتسجيل دهشته قبل أن يموت.

في عدم وجود وقت ليضيعه الآن، دفع كونال جسد الطبيب بعيدًا عنه ونظر نحو الشجرة. رأى سونثي الحفرة وركض نحوها، لكنه لم يرَ كونال. رفع الرجل مسدسه، مستهدفًا الحفرة، فأمسك كونال مسدسه ورفعه أيضًا، لكن بدلًا من التصويب على سونثي، صوب نحو قاعدة الشجرة.

أطلق كونال مسدس الإشارة، الذي أصاب جذرًا كبيرًا، فاشتعلت النيران في الشجرة التي غمرها بالبنزين منذ ساعة.

***

13 - كولتون

سقط كولتون مرة أخرى في الحفرة، عائدًا إلى النفق، وقد احترق شعره وحاجباه.

- ماذا يحدث بحق الجحيم؟

حال انتهاء كيمو للتو من تضميد جرح ساق كاريسا، تلألأ حولهم الضوء المنبعث من الحفرة المشتعلة، فأضاء نفقًا يتجه إلى ظلام دامس.

سأل كيمو: «هل نعرف إلى أين يتجه؟».

قالت ماريسول، وهي تلف أذرعتها الأربع حول نفسها: «بعيدًا عن هنا».

قال كولتون، وهو ينظر إلى الحفرة المشتعلة في بداية النفق: «لم أستطع إنقاذهم، لا جينسون، ولا جامون، ولا كونال».

وافقه كيمو: «لا، لم تفعل. لكنك أنقذتنا».

أومأ كولتون برأسه، مدركًا أن هذا يكفي، ثم ابتعد عن النيران التي بدأت الآن تتساقط على الجدران كالحمم البركانية وقادهم من خلال النفق إلى ظلام مملوء بالأمل.

***

14 - سونثي

جاءت الأضواء الكاشفة متأخرة دقيقتين، فقد انتهت الحاجة إليها، لأن الشجرة اشتعلت، وأضاءت الفناء بالكامل.

صرخ سونثي بغضب يمكن أن يهز الجبال: «في الصباح أريد دليلًا يثبت احتراقهم هناك! أريد رؤية جثثهم المتفحمة!».

اشتعلت الشجرة بسرعة، واشتبه في وجود عامل مساعد على الاشتعال. ربما بسبب خطة وضعها الهاربون ولم تنجح. لو أن الأمر كذلك، فسوف تحرقهم نيرانهم. أمر الرجال بإحضار خراطيم المياه لإطفاء الشجرة المشتعلة. لم يعد الهاربون مهمين. الأولوية القصوى هي إطفاء هذا الحريق اللعين قبل أن يشتعل المكان كله.

وهنا، جاء القرد المتكلم كونال، وسحبه من ذراعه، قائلًا: «سيد سونثي! سيد سونثي! إنهم يقتلون الطبيب! يسرقون المفاتيح ويقتلون الطبيب!».

زمجر سونثي ونظر إلى حيث يشير كونال. هناك على الأرض، على بعد عشرات الأمتار، رقد الطبيب، وسكين يبرز من عنقه. يا لها من فوضى عارمة! يا لها من فوضى كريهة! كيف حدث هذا؟

ثم تأمل كونال، الذي بدا الحزن والذعر في عينيه، وهو يسأل: «ماذا أفعل؟ ماذا أفعل؟».

ضحك سونتي. في خضم هذه الليلة البائسة، أخذ يضحك، وهو يقول لكونال: «احصل على دروس في التمثيل».

اكتفى كونال بالنظر إليه في ارتباك.

لا بأس؛ دعه يتساءل. سونتي ليس بأحمق. إنه يعرف أن الهاربين من التفكيك لم يقتلوا الطبيب. لا سبب لديهم لذلك؛ إن هدفهم الوحيد هو الهرب. ليست مفاجأة بالنسبة إليه لو أن كونال ساعدهم، ثم استخدم هروبهم كغطاء مثالي لقتل رودين. يمكنه إلقاء اللوم على الهاربين من التفكيك، ولن يعرف أحد الحقيقة أبدًا. نعم، كلما فكر في الأمر، أدرك أن هذه هي المسرحية الحقيقية الجارية هنا. هذا ما حدث بالضبط.

فكر سونتي في تسليم كونال إلى السلطات، لمعاقبته على فعلته. لكن لماذا؟ لقد قدم له خدمة في نهاية الأمر. لقد تخلص من الطبيب، وترك سونتي مسؤولًا عن المخيم. لو أن عليه ما يفعله، فيجب أن يكافئه.

سأله كونال مرة أخرى: «ماذا أفعل يا سيد سونتي؟».

قال سونتي: «جهِّز لي الحمام. جهِّز لي الحمام في جناح الطبيب الخاص»، ثم فكر لحظة وأضاف: «لكن جهِّز حمامًا لنفسك أولًا».

منحه كونال النظرة المرتبكة نفسها.

- ألم تسمعني؟ رائحتك كريهة! اذهب واستحم في حجرة الطبيب. خذ وقتك ولا تتعجل. هذا أمر.

- أمرك يا سيد سونتي.

ابتعد كونال قفزًا بطريقته الغريبة المعتادة، لكن بدا في خطواته وقع لم يظهر من قبل.

وهذا جعل سونتي يضحك ويضحك ويضحك.

***

15 - كولتون

بعد ستة أسابيع، جلس في المطعم نفسه الذي التقى فيه كاريسا، وتناول «كاري بانانج» وهو يقرأ صحيفة باللغة التايلاندية. لقد تعلمها بأسرع مما اعتقد. أمكنه بسهولة قراءة العنوان الرئيسي، الذي يقول: «اكتشاف عصابة قرصنة أعضاء بين رجال الشرطة».

وجد وجه رئيس الشرطة الذي سلمه إلى «داه زي» منشورًا أسفل العنوان الرئيسي مباشرةً، وبدا أقل غطرسة وتعاليًا مما بدا عندما تحدث إليه.

مر توك توك مسرعًا. لقد مرت أسابيع قبل أن يتمكن كولتون من ركوبه مرة أخرى، لكن حتى السائق الذي أحضره إلى المبنى الرمادي قُبِضَ عليه. من المحتمل حتى ألا يُحَاكَموا. مع الطريقة التي يكره بها التايلانديون التفكيك، لن يفاجئه اختفاؤهم من الوجود فورًا.

بعد هروبهم، اختفى كيمو بطريقته الخاصة أيضًا. إنه في لاوس الآن، في دير في «لوانج برابانج». لا يملك كولتون أدنى فكرة عما حدث لكاريسا وأختها. بعد تخبطهم إلى أن استطاعوا الخروج من الغابة والعودة إلى العالم المتحضر، سارتا بسرعة في طريقهما الخاص. افترض كولتون أنهما معًا، وتتعاملان مع مشكلات ماريسول الخاصة للغاية. لكن كولتون وجد أنه ليس فضوليًّا حتى. كل ما يهمه أنهما على قيد الحياة ولم تعودا مشكلته.

ما زال مخيم الحصاد موجودًا هناك، عند الحدود مباشرة، إضافة إلى ستة من مخيمات «داه زي» الأخرى. لا يمكنه محاربتهم مباشرة، لكنه يستطيع محاربة عملائهم هنا في بانكوك. إن قوات الشرطة التايلاندية أكثر من سعيدة بالتعاون معه، بالطريقة نفسها التي استخدم بها «داه زي» كاريسا. لكن بدلًا من الإمساك بالهاربين من التفكيك، بدأ العمل متخفيًا لكشف قراصنة الأعضاء. إنه عمل خطير، لكنه يتقاضى أجرًا جيدًا، وهو مجزٍ بطرق أخرى. إنه يعلم أن كل قرصان أعضاء يزيله من الشارع يعني إنقاذ العشرات من الهاربين من التفكيك. لن يعرفه أبدًا أولئك الهاربين ولن يعرفوا أبدًا ما فعله من أجلهم، لكن لا بأس. على الأقل بدأ يُكَفِّر عن إحساسه بالذنب إزاء أولئك الذين لم يتمكن من إنقاذهم من القصر المسكون.

مزج الأرز بالكاري وتذوقه. غربت الشمس. قريبًا سيخرج السائحون بكامل قوتهم لتجربة الحياة الليلية في بانكوك، وسيبدأ كولتون العمل.

للحظة -لحظة فقط- توقف ليفكر في الحياة التي تخلى عنها. راحة عائلته. الحزن والشعور بالخيانة عندما فككا أخاه. لكن هذا بدا وكأنما حدث في حياة أخرى. ابتسم كولتون. لم يعد الشخص الذي كانه من قبل. لقد أصبح مختلفًا تمامًا.

***

انتهت القصة

غير مؤكد

اقترب هايدن من قصر «ويست بالم بيتش» بسيارة مستأجرة. ما زال يجد ذلك مدهشًا. منذ عام كان عدو الشعب رقم أربعة، بعد كونر وريسا وستاركي مباشرة. لكن الآن يطلق عليه الناس في المطارات السيد أبتشرتش ويسلمونه مفاتيح سيارات تويوتا وهيونداي، بابتسامة، وكأن شيئًا من هذا لم يحدث قط.

قالت الموظفة المتحمسة عندما أجرت له السيارة: «أستمعُ إلى برنامجك الإذاعي طوال الوقت يا سيد أبتشرتش. إنك ماهر للغاية!».

ابتسم ومنحها الإجابة التي يقولها لكل من يتحمس له: «لستُ ماهرًا بما يكفي للحصول على هذه السيارة مجانًا!».

الغريب أنه في ثلث المرات التي يقول فيها ذلك تقريبًا، يقدمون له الأغراض مجانًا، أيًّا كانت: وجبة طعام، تذكرة فيلم، أو حتى علبة علكة في متجر صغير. كل ما عليه فعله هو ذكر اسمه، وهنا يتعرفون صوته، ويبدأ السحر. في بعض الأحيان، يدفع الثمن في هيئة الثواني العشر التي يستغرقها التقاط صورة مع أحدهم، وهو أمر سخيف، لأن صوته هو الذي أصبح مشهورًا، وليس وجهه، لكن من هو حتى يجادل في الغداء المجاني؟

لم يحصل على السيارة المستأجرة مجانًا، لكنه لم يدفع مقابلها مالًا. أعطته مجموعة وسائل الإعلام الضخمة الفاسدة التي ترعى برنامجه الإذاعي بطاقة ائتمان للشركات. إنه يجد هذا أكثر سخافة. كيف لا يعتبر هذا سرقة؟ لم يرغب في التفكير بعمق في الأمر. لو أن هذه هي المدة القصيرة التي سيحظى فيها بالشهرة، فهو ينوي أن يتجرعها حتى آخر

قطرة. لا ذنب له، ولا ندم. ربما يتلقى علاجًا نفسيًّا عندما ينتهي كل شيء، لكن اللعنة، لا ندم.

المرأة التي جاء لزيارتها أكبر منه ببضع سنوات فقط. عمرها واحد وعشرون عامًا؛ ربما اثنان وعشرون. إنها من الأثرياء الجدد، كما يقولون. انتقلت من الفقر إلى الثراء بطريقة مذهلة للغاية. هايدن هنا بدعوة شخصية منها. لم يقابلها قط، رغم وجود بعض الأصدقاء المشتركين الرئيسيين بينهما.

أعلن عن وصوله في جهاز اتصال داخلي على جانب الشارع، فَفُتِحَت ببطء بوابة حديدية تؤدي إلى ممر نصف دائري والقصر خلفه. إنه قصر فلوريدي وردي فخم تزينه أشجار النخيل والشرفات والسقف المكسو بالبلاطات الحمراء. يوجد الكثير من «جاذبية المكان»، كما قد يقول سمسار عقارات، رغم أنه خلف البوابة لا يمكنك حقًّا رؤية المنزل من الخارج، وهو ما يمثل جاذبيته بالنسبة إلى سكان هذا النوع من الأحياء.

استقبل هايدن عند الباب كبير الخدم. كبير خدم حقيقي. قال بصوت حزين: «السيدة سكينر تنتظرك. تفضل من هنا يا سيد أبتشرتش».

المنزل مزخرف من الداخل كما هو من الخارج. يوجد الكثير من الرخام والأثاث المصمم خصوصًا واللوحات الفنية باهظة الثمن. بدا كشيء قد يراه المرء في مجلة للتصميم الداخلي، وهذا ليس جيدًا. بدا كمنزل نموذجي أكثر من كونه منزلًا حقيقيًّا. بارد ومزيف.

قاده كبير الخدم إلى داخل المنزل وخرج من زوجين من الأبواب الفرنسية إلى مسبح في الفناء الخلفي. لم تسترخِ جرايس سكينر بجانب المسبح، بل في الجانب البعيد منه، أمام بيت ضيافة صغير. جلست هناك أمام حامل لوحة؛ ترسم. عندما اقترب هايدن خطوة خلف كبير الخدم، أمكنه رؤية لوحتها. إنه كلب، أو حصان، أو زرافة. ليس

واثقًا تمامًا. إما أنها فنانة ذات أسلوب تجريبي، وإما أنها لا تجيد الرسم مطلقًا. استغرقت فيما تفعله، حتى أنها لم تلحظ أنهما اقتربا منها.

تنحنح الخادم بأدب؛ مرتين. وأخيرًا، رفعت عينيها إليهما.

وقفت، صائحة: «أوه، انظروا، انظروا، من خرج من المذياع مباشرة!».

إنها تماثل هايدن طولًا، وهو فارع الطول. مدت يدها لمصافحته، لكنها سحبتها قبل أن يتمكن من ذلك، قائلة: «إنها فكرة سيئة. ليس إلا إذا أردت أن تتلطخ يداك بالألوان الزيتية. من الصعب إزالة هذه الأشياء من بشرتك. ناهيك بالملابس».

سألها الخادم: «هل أحضر المزيد من عصير الليمون؟».

قالت له جرايس: «نعم، نعم، إنها فكرة جيدة».

أخذ الخادم صينية عليها إناء فارغ، واتجه إلى المنزل.

قالت لهايدن: «اجلس، اجلس، اجلس!»، ففعل، مدهوشًا بعض الشيء من أسلوبها الودود. لقد راقته أكثر بكثير من منزلها.

أشارت إلى لوحتها، وسألته: «ما رأيك؟»، لكنها لم تنتظر إجابته، وأضافت: «إنها سيئة، أليس كذلك؟».

ابتسم هايدن، مجيبًا: «نعم، لكنها تحمل نوعًا نادرًا من الشغف».

- إنني أرسم لأني أحب الرسم، وليس لأني أجيده. لو أردت فنًّا جيدًا، عد إلى المنزل. الجدران ملأى به.

قال هايدن: «نعم، لاحظت ذلك. أظن أن هذا ليس أسلوبك».

هزت جرايس كتفيها، قائلة: «لقد أحضرت خبيرة فنية -ترتدي حذاءً بكعب مرتفع وتتحدث بلكنة مميزة- لتزيين المكان بالكامل، لأني كنت سأملؤه بمهرجين تعساء وأشياء مخملية. هذا ليس الطراز الذي يُفترض أن يحبه الأثرياء».

- لكن هذا منزلك، يجب أن تملئيه بالأشياء التي تحبينها.

رفضت جرايس الفكرة، موضحة: «قد أمتلكه، لكنه ليس المكان الذي أعيش فيه»، ثم أشارت إلى بيت الضيافة، وأضافت: «هذا هو المكان الذي أعيش فيه. المنزل الكبير بارد جدًّا ومخيف، ويشعرني بالوحدة ليلًا. حصلت عليه لأني أستطيع ذلك. ولأنه من المفترض أن يصبح استثمارًا».

أخبرته كل شيء عن صفقتها مع شركة «ريفكين للأدوات الطبية» لإنتاج طابعة الأعضاء التي حصلت عليها من سونيا، التي ربحت منها مبلغًا كبيرًا من المال، وكيف حولت بعض الاستثمارات الاستراتيجية للغاية هذا المبلغ إلى ثروة حقيقية. قالت: «لقد حصلت على مستشارين ماليين أخبروني ألا أفعل هذا ولا ذاك، لكن استراتيجياتي الاستثمارية تؤتي ثمارها دائمًا وتجعلهم يبدون كالأغبياء، وهذا سبب احتفاظي بهم. أحب أن أجعل الأشخاص الذين يعتقدون أنهم يعرفون كل شيء يبدون كالأغبياء. على أي حال، الآن لدي أموال تُعد ولا تُحصى، كما يقولون».

ضحك هايدن بصوت مرتفع، فبدا بعض الحرج على جرايس، لكنه لم يتعمد ذلك. لقد وجد حديثها مشجعًا للغاية.

سألها هايدن: «أخبريني إذن، ماذا ستفعلين بكل هذا؟».

هزت جرايس كتفيها، قائلة: «سألعب.. ربما أشتري متنزهًا ترفيهيًّا أو شيئًا من هذا القبيل. وسأوزع بعض المال على من يستحقونه». نظرت إلى القصر، وأضافت: «لقد اعتدت تنظيم حفلات للفقراء في المنزل، حتى لا يبقى فارغًا طوال الوقت، والجميع يستحقون قضاء ليلة فاخرة في مكان يجب دعوتهم إليه، وبخاصة الفقراء الذين لا يُدعون أبدًا إلى أي مكان مملوك إلى من لا يمت لهم بصلة قرابة. إنني أشتري لهم الفساتين وحُلل السهرة الرسمية التي يمكنهم الاحتفاظ بها عندما يذهبون، وأطعمهم نوع اللحم الذي لا يضطرون إلى وضع الكاتشب

عليه ليصبح قابلًا للأكل. أجعلهم عائلتي، لأن عائلتي الحقيقية لم تنجح علاقتي بها».

ثم شردت ببصرها بعيدًا، ربما تفكر في شقيقها. لم يقابل هايدن آرجان قط، لكنه يعرف أنه لعب دورًا حاسمًا في إنقاذ كونر من تاجر السوق السوداء القاسي.

قال هايدن: «أتخيل إذن أنك دعوتِني إلى هنا، لأنك تريدينني أن أجري مقابلة معكِ في برنامجي الإذاعي».

قالت: «لا أريد التحدث عن ذلك بعد».

وصل الخادم، حاملًا عصير الليمون وكعكات رقائق الشوكولاتة، فقالت: «تناول الحلوى واشرب العصير واستمتع بوقتك. أليس هكذا تسير الأمور؟».

أوضح هايدن: «يوجد جزء ثانٍ لهذا التعبير، لكنه ليس ممتعًا على الإطلاق».

سألت وفمها ممتلئ بالكعك: «سمعتُ أنك مكثت مع كونر وريسا في قبو سونيا، عندما ذهبا إلى هناك لأول مرة، أليس كذلك؟».

- ذات مرة.
- أثق أنها ليست قصة خيالية.
- إن قبو سونيا يحمل نوعًا مختلفًا من «الكآبة».
- بعد ذلك، رافقتهما في مقبرة الطائرات. هناك بدأ بث إذاعة «فري هايدن»، أليس كذلك؟
- إنكِ تعرفين الكثير عني.

هزت جرايس رأسها، قائلة: «أعرف الأشياء التي أخبرني بها كونر فحسب. والأشياء التي تقولها في برنامجك. فأنت -كما تعلم- تتحدث عن نفسك كثيرًا».

- أعرف؛ إنها عادة سيئة.

سألته جرايس: «أين هما إذن؟».

صمتت في انتظار إجابته، وعندما لم يبادر بها، أضافت: «أعني، كنت أقرب إليهما من أي شخص آخر، لذا لا بد أنك تعرف أين هما الآن، أليس كذلك؟».

تنهد هايدن، قائلًا: «ليس بالضبط».

الحقيقة هي أنه منذ تلك المقابلة التلفزيونية الكارثية التي أجراها كونر وريسا منذ أكثر من ستة أشهر، لم يتواصلا معه، أو مع أي شخص آخر. لا يمكنه لومهما. لم يوجد هايدن هناك؛ لقد سمع فحسب عن الأمر مثل أي شخص آخر. كان الأمر مهمًّا للغاية. مقابلة في برنامج حواري وطني في وقت الذروة. ما زال لغزًا كيف تمكن الرجل من إدخال مسدس وسط جمهور الاستوديو، فيما انتشرت هناك أجهزة كشف المعادن ورجال الأمن في كل مكان، وأكثر من ذلك. إنها أول مقابلة عامة لهما بعد شهادتهما أمام الكونجرس؛ الشهادة التي أحرجت المشرعين واضطرتهم إلى وقف التفكيك نهائيًّا. لكن ما زال الكثير من الناس يدعمون التفكيك، ولن يسمحوا لهذه الحقبة المظلمة من التاريخ بالمرور بسلام.

لولا امرأة مجهولة في الاستوديو، لمات كونر أو ريسا أو كلاهما. لقد شاهدت الجاني ينهض ويمد ذراعه وهو يطلق النار، فدفعت ذراعه لتطيش رصاصته.

هناك، أمام العالم، وعلى الهواء مباشرة، أصيب مقدم البرنامج الحواري المحبوب برصاصة طائشة اخترقت صدره وقُتل. لم تتح له فرصة قط. أنزل أفراد الأمن ريسا وكونر من المنصة، ولم يرَ أحد أيًّا منهما منذ ذلك الحين.

حثته جرايس: «أخبرني.. إنك تعرف أين هما؛ لا بد أنك تعرف!».

- لو أنهما يريدان الاختفاء عن الأنظار، لماذا سيكشفان مكانهما لشخص ثرثار يقدم برنامجًا إذاعيًّا يُبَث في أنحاء البلاد؟

فكرت جرايس في قوله، وقالت: «إنك على حق. اللعنة!».

توجد طبعًا بعض النظريات حول مكان ريسا وكونر. يعتقد بعض الناس أنهما انضما إلى ليف في محمية أراباتشي، ويستمتعان بملاذ سلمي هناك. يقول آخرون إن كونر وعائلته وريسا دخلوا برنامج حماية الشهود، وإنهم جميعًا يحملون الآن هويات جديدة تمامًا. ومع وجوههم التي يمكن تعرفها، لا يستطيع هايدن أن يتخيل كيف سيظلون مجهولين طويلًا. يعتقد معتنقو نظرية المؤامرة أنهم في سجن شديد الحراسة أو ماتوا. يعتقد المتدينون أنهم اختُطِفوا. تزعم كل صحيفة شعبية وجود مشاهدات غير مؤكدة لهم. أما قمصان «أين كونر؟ وأين ريسا؟» التي انتشرت للغاية قبل ظهورهما في تجمع واشنطن، فقد عادت صيحتها إلى الازدهار. يا لسوء حظهما! كلما حاولا الاختباء من أسطورتهما، أكدت وجودها أكثر.

على الجانب الآخر، لا يعاني هايدن مشكلات مع الشهرة أو الفضائح. إنه يحب الكارهين اللاذعين بقدر ما يحب المعجبين الذين يعشقونه. كونه سببًا لمثل هذا الشغف، يمنحه طاقة بلا نهاية. هذا بخلاف الأشياء المجانية التي يحصل عليها طبعًا.

قالت جرايس: «لدي نظرية. وأنا أجيد التعامل مع النظريات والألعاب والاستراتيجيات للغاية. لذا أخبرني برأيك».

- كلي آذان مصغية.

- لقد احتاج كونر إلى شيء من والديه، قبل أن يتمكن من مسامحتهما حقًّا. احتاج إلى تضحية. لذا بعد تلك المقابلة الرهيبة، منحهما خيارًا. إما التخلي عن حياتهما العادية والاختفاء معه هو وريسا، وإما أن يودعاه إلى الأبد. سيعيشان حياتهما من دونه، علمًا بأنه لم يسامحهما قط على توقيع أمر تفكيكه.

- إذن، ماذا فعلا، طبقًا للسيناريو الذي تخيلتِه؟

- لست واثقة من الأمر، لكني أعلم أنهما باعا منزلهما. سمعت أن الرجل الذي اشتراه سيحوله إلى نوع من مناطق الجذب العام -كما تعلم- مثل «جرايسلاند»، رغم أني لا أراه كذلك؛ أعني إنه مجرد منزل. لكن «جرايسلاند» أيضًا مجرد منزل؛ زرته ولم يرُقني كثيرًا، لذا أعتقد أن هذا ممكن. على أي حال، أعتقد أنهما قبلا مرافقة كونر. لقد هربوا جميعًا معًا.

- إلى أين؟

قالت جرايس: «إلى مكان متحرك. أول ما خطر بذهني هو العكس طبعًا. أنهم مختبئون في ألاسكا أو في أي مكان آخر، وليس لهم أي اتصال خارجي بالعالم. لا أحد يراهم، ويجب ألا يقابلوا أحدًا، ويعيشون حياة بعيدة عن المدنية. لكنك تعرف كونر؛ هذا لا يناسبه. إن حياته كلها ملأى بالحركة. إنه مثل سمكة القرش التي يحملها على ذراعه المزروعة؛ يجب أن يواصل الحركة أو يموت. لذلك أعتقد أنهم حصلوا على نوع من القوارب الشراعية أو مزدوجة الهيكل. لا شيء فاخر. أعني أن عائلته ليست غنية. مجرد نوع بسيط من القوارب، وربما يتجولون

في أرجاء البحر الأبيض المتوسط، ويهتمون بشؤونهم، ويتسكعون في مواني أصغر وأقل ازدحامًا. أو ربما يستخدمون قاربهم لإنقاذ الهاربين من التفكيك في الأماكن التي ما زال التفكيك باقيًا فيها. إنها فكرة ريسا، ورغم أن كونر قد يقول إنه لا يريد فعل ذلك بعد الآن، فإنه يقول ذلك فقط لكي تقنعه ريسا. ويدعم والداه هذا، لأن -أكرر- هذا جزء من الصفقة: «أحباني؛ أحبا اختياراتي». وربما يعودون يومًا وربما لا يعودون. لكنني أعتقد أنهم سعداء. ليست السعادة الباقية إلى الأبد، لأن هذه غاية لا يدركها أحد. أعني أننا جميعًا نمرض، وتدعسنا الشاحنات، ونفقد الحب، وما إلى ذلك، لكنني أقسم أنني أرى كونر وريسا يؤرجحان أقدامهما في الهواء، وهما يجلسان على حافة على ذلك القارب، قائلين: «هذا بالتأكيد أفضل من قبو سونيا»».

لم يسع هايدن إلا أن يضحك مرة أخرى، لأن الطريقة التي تصور بها الأمر، جعلته يتخيل ذلك أيضًا.

قالت جرايس: «لكن الدليل هو الأخ. لوك، أو لوكاس، أو أيًّا كان اسمه».

- ماذا عنه؟

- سيرغبون في أن يكمل دراسته. لكنهم لن يتخلوا عنه، لذا يوجد احتمال كبير أنه مسجل في مدرسة داخلية ليست بعيدة عن البحر الأبيض المتوسط. ربما في برشلونة أو أثينا، أو أفسس، أو نيس. ابحث عن لوك، أو لوكاس، الذي التحق منذ بضعة أشهر فحسب بمدرسة داخلية هناك، حيث يُعَلِّمون بالإنجليزية، وستعرف أنني على حق.

ابتسمت جرايس في فخر، وتعاملت مع المسألة برمتها كما لو أنها أمر واقع. كبرهان رياضي لا تشوبه شائبة لإحدى النظريات. ثم تلاشت

ابتسامتها. صبت لنفسها بعض عصير الليمون ولهايدن المزيد، رغم أنه أخبرها أنه لا يريد.

ثم قالت: «لم أطلب منك الحضور إلى هنا للتحدث عن ريسا وكونر. حسنًا، أعتقد أنني ربما فعلت، لكن هذا ليس السبب الرئيسي».

قال هايدن: «صحيح، فلنُجرِ المقابلة معكِ. أخبريني كيف أصبحت جرايس سكينر صاحبة الاسم خلف طباعة الأعضاء. كيف أصبحت تساوي نصف مليار دولار في أقل من عام. إنها قصة أسطورية أمريكية حقيقية».

وضعت جرايس كوبها على الطاولة بقوة جعلت نصف عصير الليمون ينسكب، وقالت: «أولًا وقبل كل شيء، لي نصف الفضل فقط فيما يتعلق بالطابعة. المشروع اسمه «ريفكين-سكينر للبناء الحيوي». صنع ريفكين الطابعة، لقد سلمته النموذج الأولي المكسور المملوك لسونيا فحسب، وعمل هو على تشغيله ونجاحه، وما زلت أشعر بالذنب الشديد لأنني لم أصر على إطلاق اسم «ريفكين-راينشيلد للبناء الحيوي» على هذا المشروع، تيمنًا باسم عائلة سونيا وزوجها، لكنني اعتقدت أنه من الصعب جدًّا تهجئته، وبعد كل ما مررت به أردت الحصول على بعض الفضل. ثانيًا وقبل كل شيء -كما قلت- لا توجد حكايات أسطورية، أمريكية أو غير ذلك. وثالثًا، لا أجري مقابلات، لأنها تجعلني أبدو غبية، وقد سئمت الظهور بمظهر الغبية، لأنه يشعرني بالغباء، ولا أريد أبدًا أن أشعر بالغباء مرة أخرى. لقد حصلت على ما يكفي من المال حتى لا ينعتني أحد بالغبية في وجودي، لكنني لا أريدهم أن يقولوا ذلك في غيابي أيضًا».

قال هايدن بصراحة شديدة: «لا أعتقد أنك غبية يا جرايس. نعم، توجد بعض الأشياء التي تفتقرين إليها ويمتلكها الآخرون، لكنك تحظين

بما يعوض عنها. توجد أشياء يمكنك فعلها تجعل الجميع يشعرون بالخجل من عجزهم. لا أعتقد أنك تعانين ضعف القشرة الدماغية. أعتقد أنك تعانين عمق القشرة الدماغية».

- لو أجريت مقابلة معك، فلن يرى الآخرون الأمر من منظورك نفسه.

- لو لم أحضر إلى هنا لإجراء مقابلة، فلماذا استدعيتني؟

- أريدك أن تعثر على أخي.

أخذ هايدن نفسًا عميقًا، واستمع إليها وهي تتابع: «أريدك أن توجه نداءً إلى مستمعيك. إنهم كثيرون، وسيستمعون إليك».

- جرايس.. لقد اصطدمت طائرة ديفان أوماروف بجبل. امتد الحطام لأميال، ولا يوجد ناجون.

- أعرف، لكني يراودني إحساس معين.

- نظرية؟

قالت في إحباط: «لا! لا أملك ما يكفي لتكوين نظرية. كل ما أملكه إحساس لا يمكنني تجاهله. لم يجدوا أي جزء منه. ولا يوجد دليل على موته».

- الكثيرون قضوا نحبهم دون دليل يا جرايس.

- أعرف ذلك! وأعرف أنني عاجزة عن التخلي عنه. لديك مستمعون. سأضع صوره على الإنترنت. عليك فقط أن تجعل مستمعيك ينظرون إليها.

- وفقًا لما ذكره كونر، لقد اختفى نصف وجهه، ووعده رجل السوق السوداء بوجه جديد. حتى لو نجا من الحادث، وظل حيًا، فما جدوى الصورة؟ لن يبدو كما تعرفينه.

- لماذا لا يمكنك فعلها؟ لو أن كونر هنا، لطلب منك أن تفعلها، أليس كذلك؟ كان ليريد ذلك!

- كان ليخبرك بالضبط بما أخبرك به الآن.

احتقن وجه جرايس كطفل على وشك أن يصاب بنوبة غضب، وصاحت: «اخرج من هنا. لا أريد التحدث إليك بعد الآن. إنك كالآخرين جميعًا، تقول إن آرجان مات، لكن قلبي يعرف أنه لم يمت. إنه ليس ميتًا!».

نهض هايدن، قائلًا: «تقبلي أسفي يا جرايس».

- انصرف فحسب! وخذ معك بعض الكعك، وإلا فسأتناوله كله، وقد أكلت الكثير فعلًا.

ورغم أن هذا يتعارض مع كل غرائزه، قال هايدن: «حسنًا، سأفعل ما تريدين. سأبث نشرة شاملة بمواصفات آرجان، لكن بشرط واحد».

- ما هو؟

كاد يطلب إجراء مقابلة معها. هذا ما يريده. وسوف يستمتع مستمعوه بذلك. لكنه لن يبتزها. فهذه ليست طريقته. إضافة إلى أنه يستطيع تقديم برنامج كامل عنها دون أن يضطر حتى إلى استضافتها. وهو يحب أن يسمع نفسه وهو يتحدث. لذا، بدلًا من أن يطلب مقابلة، قال: «شرطي الوحيد.. هو أن تدعيني إلى حفلك القادم. وسأحضر حتى حُلتي الرسمية».

ابتسمت جرايس، وقالت: «وأحضِر معك صديقًا، أو رفيقة».

ضحك هايدن، قائلًا: «ربما كلاهما. ويمكنهما أن يذهبا للرقص، فيما أحاول إقناعك بإجراء المقابلة».

***

وجه الدعوة إلى مستمعيه للعثور على أخيها كما وعد. آرجان سكينر؛ البطل الغريب غير المتوقع الذي ساعد في إنقاذ إوُول آكرون من البيع مفككًا في السوق السوداء[1]. هل رآه أحد؟ لقد نشرت أخته صورًا له على موقعها على الإنترنت. هكذا بدا. وقد لا يبدو بهذا الشكل بعد الآن. قد يحمل نصف وجه فقط. ثم أتاح هايدن تلقي اتصالات المستمعين في برنامجه. يحول إليه منتجه دائمًا أكثر المكالمات غرابة. وهو أمر جيد للتقييمات. تحدث رجل عن السوق السوداء، وقال إنه يعرف رجلًا يعرف رجلًا يعرف فتاة هربت من مخيم «داه زي» البورمي. وإنها تملك أربع أذرع. هل يمكنك أن تتخيل ذلك؟ قال متصل آخر إن آرجان سكينر هو في الحقيقة مجرد إعادة ترتيب لحروف اسم فندق «ستارك جرين» في ستارك بنيو هامبشاير، لذا لا بد أن هذا هو المكان الذي يختبئ فيه. عندما واجهه بحقيقة أن فندق «ستارك جرين» بُني قبل فترة طويلة من ولادة آرجان سكينر، اقترح المتصل حدوث شكل من أشكال السفر عبر الزمن. كل هذا مسلٍّ وممتع للغاية، لكن كما اشتبه هايدن، فإن هذا القطار لا يقود إلى أي مكان.

ومع ذلك، فإن الأشياء الأخرى التي تحدثت عنها جرايس هي التي علقت في ذهن هايدن، وفي وقت فراغه مارس بعض القرصنة الإلكترونية. لا يمتلك هايدن المهارات التي يمتلكها جيفان -أينما كان هذه الأيام- لكن يمكنه أن يشق طريقه عبر جدار الحماية الإلكتروني في لحظة حرجة. ما وجده هو صورة معينة على موقع مدرسة. مدرسة «مارسيل الأمريكية»، التي تقع على تلٍّ يطل على البحر الأبيض المتوسط المشمس. الصورة لفريق «لاكروس»، الجميع يبتسمون بعد فوز كبير، أو يتظاهرون بالابتسام بعد خسارة كبيرة، لا أحد يستطيع التأكد من ذلك.

(1) راجع «مكتمل»، الكتاب الرابع من دستوبيا «التفكيك». «المترجم».

في الصف الخلفي صبي يُدعى لوكاس سالتري. بدا مألوفًا. ابتسامته. حاجباه. لكن الدليل لا يكمن في بعض التشابه العائلي الغامض، بل في الاسم. شك هايدن بصدق في أن آرجان سكينر ليس له أي علاقة بفندق «ستارك جرين» ... لكن سالتري هو بالتأكيد إعادة ترتيب حروف اسم لاسيتر.

***

نهاية القصة

عُشر لم تُفكك

شارك في كتابتها مايكل نولدن

1 - ميراكولينا

غمرها النهار بألوان نابضة بالحياة. تضيء الشمس الأسرار التي تخفيها عن نفسها. الليل أفضل. يتدفق بدرجات الرمادي والأسود وأضواء الشوارع التي لا تزعج الظلال. تحركت بخفة في الظلام كالبخار.

أحيانًا، تشعر ميراكولينا بعدم الارتياح في علاقتها بوالدتها ووالدها. اختار والداها الحمل بها لإنقاذ شقيقها. ثم اختاراها لتصبح عُشرًا لإنقاذ العشرات من الناس. ثم لم يوقعا على أمر التفكيك عندما بلغت الثالثة عشرة من عمرها. علمت أنهما فعلا ذلك بدافع الحب[1]. إنها تتعلم الإحساس بالامتنان.

في معظم الأحيان تشعر بالسعادة لوجودها بين والديها. لكن لو لم تتصرف كفتاة عادية في الرابعة عشرة، ينقلب مزاج والدها وتبكي أمها. لقد أمضت حياتها كلها في تجهيز جسدها للتقسيم. إنها تحتاج إلى بعض الوقت لإعادة تأهيل نفسها لهذا المستقبل غير المتوقع.

لقد قرأت يومًا أنه يتعين عليك أحيانًا أن تتصرف وكأنك تؤمن، حتى تتمكن من الإيمان. من خلال التظاهر بأنها عادية والتظاهر بالسعادة لأنها تتمتع بهذا المستقبل الطويل الذي لا يمكن التنبؤ به، ربما تتعلم كيف تعيش كفتاة عادية.

---

(1) راجع «منقوص»، الكتاب الثاني من دستوبيا «التفكيك». «المترجم».

بعد إعادتها إلى المنزل من «مغامرتها» كما يسمونها -المغامرة التي جلبتها طوال الطريق إلى توسون في أريزونا، مع صبي سيئ السمعة تحول من مصفق إلى متمرد- لم يعد أي شيء كما كان. اعتقد والداها أنها لن تشعر بالارتياح لارتياد كنيستهما القديمة، لذلك يذهبان الآن إلى كنيسة جديدة. الآن يذهبان إلى كنيسة كاثوليكية رومانية أكبر في ضاحية قديمة من شيكاغو تُذكرها برسمية ومراسم وجمال كاتدرائيات روما. ولأن والديها أرادا منحها بداية جديدة، فهي تذهب الآن إلى المدرسة الرعوية بالقرب من الكنيسة. لا يهم.

- ستحظين بأصدقاء جدد.

هكذا أخبرها والداها. ويجب ألا يعرف أحد ما حدث.

لكن أصدقاءها الحقيقيين في مدرستها القديمة كانوا من الأعشار. وهي لا تعرف كيف تصنع أصدقاء عاديين.

معظم الأيام في المدرسة ليست سيئة للغاية. يرتدون الزي الرسمي. رغم أن التنورة منقوشة باللونين الأحمر والأزرق الداكن، فإن القميص أبيض، مثل الملابس التي ارتدتها وهي عُشر. الأبيض يأتي نتاج غياب اللون أو وجود جميع الألوان، اعتمادًا على الطريقة التي تنظر بها إليه. يبدو بياض القميص مألوفًا، لكن من ناحية أخرى يربطها بشكل غير مريح بهدفها المهجور، لذلك الآن، عندما لا ترتدي الزي المدرسي، ترتدي الأسود، كالراهبات. إضافة إلى ذلك، يتناغم الأسود أكثر مع الليل.

ما زالت ميراكولينا تحلم بالوقت الذي هربت فيه من «قصر كافينو» مع ليف، لينتهي بها الأمر في قبضة قرصان الأعضاء. يأتي الكابوس دائمًا في الصباح الباكر. وفي ساعات يقظتها، تفكر كثيرًا في ليف أيضًا. إنها ليست واثقة مما يعنيه ذلك.

إنها واثقة تمامًا من وفاته. لا بد أنه ميت. عندما رأته لآخر مرة، جمع رجال شرطة الأحداث الصبية في مقبرة الطائرات لتفكيكهم. ثم خُدِّرَت. بعد ذلك وجدت نفسها في سيارة الشرطة، التي نقلتها إلى حياتها القديمة الجديدة.

لكن ماذا لو أنه ما زال حيًّا؟ أما زال هاربًا من التفكيك؟ إذا رأته مرة أخرى، هل ستصفعه بشدة أم ستحيطه بذراعيها؟ ولو أنه حي، فهل يفكر بها بقدر ما تفكر به؟

في وجود مستقبل طويل يمتد أمامها، علمت أنه لا ينبغي لها تضييع الوقت في التفكير بشخص ربما فارق الحياة. من الأفضل التركيز على الكنيسة، وإنقاذ الأرواح، وغيرها من الأمور الأبدية.

***

قال أحد الضيوف في المطعم الخيري: «لا أريد فطائر الجبن، من فضلك. لو تناولت فطائر جبن أخرى، فسأتقيأ». رغم دفء الطقس داخل مركز خدمة المجتمع، فقد ارتدى معطفًا صوفيًّا طويلًا، وسأل: «هل لديكِ رقائق البطاطس؟».

أفضل ما في الكنيسة الجديدة هو المطعم الخيري ومتجر التوفير في مركز خدمة المجتمع التابع لها، فهم يوزعون أكياسًا من البقالة على المحتاجين. ويقدمون العشاء على مدار الأسبوع وعشاءً خاصًّا بعد القداس يوم الأحد. وفي المساء وصباح يوم السبت، يوزعون الملابس مع القهوة والكعك. حتى إن لديهم أسرَّة لمن يريدونها. توجد الكثير من الفرص لفتاة مثل ميراكولينا للمساعدة. فهي تعمل في مركز خدمة المجتمع كلما سنحت لها الفرصة. الأمر لا يماثل تمامًا التبرع بالكبد، لكنه شيء مهم.

صرخت إحدى الراهبات: «إنني قادمة». وضعت وعاءً مملوءًا بشطائر «سلوبي جو» في طاولة البخار أمام ميراكولينا، وأضافت: «ربما أضفتُ المزيد من التوابل إلى هذه الدفعة، لذا تأكدي من تحذير الناس».

تدير الأخت باربرا -التي سميت كذلك تيمنًا بالقديسة باربرا، التي قطع والدها رأسها في القرن الثالث- مركز خدمة المجتمع مع الأب لورانس، الذي سُميَ كذلك تيمنًا بالقديس لورانس، الذي شُوِيَ على الفحم في بانيسبيرنا. سمعت ميراكولينا قصة الشهيدين في درس الدين الأسبوع الماضي. أعجبتها الفكرة.

على الجانب الآخر من المنضدة، لوحت فتاة صغيرة ذات ضفائر سميكة لميراكولينا بكعكة رقائق الشوكولاتة، قائلة: «شكرًا لكِ!»، وغادرت مسرعة قبل أن تتمكن ميراكولينا من قول: «على الرحب والسعة».

وفيما تضع سلطة الكرنب بجوار شطائر «سلوبي جو» في أطباقهم، لفت انتباهها صبي يقف في الصف. للحظة، اعتقدت أنه يشبه ليف وكادت تُسقِط الطبق. ثم أدركت أنه ليس ليف. في الواقع، لا يشبهه مطلقًا.

شعرت بالحيرة وهي تتساءل عن سبب تفكيرها في ليف، عندما صعقتها فكرة ما. الطريقة التي أحنى بها الصبي رأسه، متمتمًا: «شكرًا» وهي تقدم إليه وجبته، مطابقة لما يفعله الهاربون من التفكيك.

نظرت من النافذة، لترى الأب لورانس في الشارع، يتحدث إلى بعض المشردين المصطفين. يستطيع الأب لورانس عادةً أن يعرف لو أن أحد ضيوفهم الأصغر سنًّا هارب من التفكيك، ويفعل ما يجب عمله. ربما تسلل الصبي من جانبه دون أن يراه، أو ربما أخبره أنه قد بلغ الثامنة عشرة. مستحيل أن يكون في الثامنة عشرة.

قالت الأخت باربرا: «اسمعي يا ميرا».

قالت في تهذيب: «اسمي ميراكولينا أيتها الأخت».

عندما انتهت من وضع سلطة الكرنب في الأطباق القليلة التالية، استدارت إلى الراهبة، وتراجعت عندما رأت الأخت باربرا تلوح بقميص أحمر قصير مزركش مثل مصارعي الثيران.

- لقد وضعه أحدهم في صندوق التبرعات بالأمس، وفكرتُ بكِ. سيبدو أجمل بكثير من كل تلك الملابس السوداء التي ترتدينها. ما رأيك؟

إنها ترفض ارتداء شيء مبهرج إلى هذا الحد حتى ولو بموجب مرسوم بابوي. أجابتها: «لا يمكنني ارتداء شيء مخصص للمشردين، أيتها الأخت. وهو مبهرج بعض الشيء بالنسبة إليَّ».

رفعت الأخت باربرا القميص أمام ميراكولينا، وجادلتها: «هراء. أنتِ شابة. قد تحتاجين إلى القليل من البهرجة».

وهو أمر غريب، لأن الراهبات يشتكين غالبًا من ملابس الفتيات الأخريات المثيرة. لكن يبدو أنه يوجد حدود للحياء أيضًا.

دفعت ميراكولينا القميص المزركش بعيدًا برفق، قائلة: «أُقدر الفكرة، أيتها الأخت باربرا، لكن أمي تختار ملابسي». وهي كذبة في الغالب، لأن والدتها تشتري لها قمصان وفساتين زاهية الألوان وأكثر بهرجة من هذا، لكنها تفضل الأسود وتتمنى أن يدعها البالغون وشأنها في هذا الأمر.

بحثت ميراكولينا مرة أخرى عن الصبي الذي بدا كهارب من التفكيك. وجدته يجلس منعزلًا قدر استطاعته حول إحدى الطاولات الطويلة في غرفة الطعام؛ يلتهم طعامه بأسرع ما يمكن. نظر خلسة إلى الضيوف الآخرين، ثم وضع البرتقالة وكيس فطائر الجبن التي تأتي مع العشاء في جيبه، ونهض للمغادرة.

***

2 - برايس

يعلم كل هارب من التفكيك ذكي أن المطعم الخيري يمكن أن يصبح مصيدة فئران. إن تناول الطعام المُغري قد يؤدي إلى تحريك ذراع القانون الحديدية للالتفاف حول المكان واعتقال الغافلين. إن رجال شرطة الأحداث يراقبون دائمًا الملاجئ والمطاعم الخيرية. لقد شاهد برايس هذا المشهد لساعات، قبل أن يقرر أنه آمن، ثم سار خلف عائلة تشبهه إلى حد ما ليتجاوز القس الذي يراقب الصف. إن القساوسة لا يمكن التنبؤ بتصرفاتهم عندما يتعلق الأمر بالهاربين من التفكيك. لم يتخذ الفاتيكان قط موقفًا رسميًّا بشأن التفكيك، مما يمنح القساوسة امتيازًا نادرًا يتمثل في اتباع ضمائرهم بدلًا من السياسة البابوية. قد يسمح له الرجل بالدخول أو يرفض، أو قد يستدعي شرطة الأحداث. من الأفضل تجنب المواجهة تمامًا.

لكن ليس القس من يزعجه الآن، بل الفتاة التي قدمت له وجبته. إنها تواصل النظر إليه. فكر: ربما معجبة بي. *أو ربما تروقها المكافأة التي ستحصل عليها إن أبلغت عني.*

كما لو أن شرطة الأحداث ستدفع الكثير مقابله! كما لو أنه إوُول آكرون! اختلس نظرة إليها وهي مشغولة بجمع الطعام. إنها لطيفة بطريقة تخطف الأنظار، كل شعرة في مكانها. تساءل هل تعمل هنا للحصول على نقاط خدمة المجتمع في المدرسة، أم لأنها تريد حقًّا العمل هنا. ثم وجد نفسه منزعجًا من فضوله. «الفضول قتل القطة»؛

إنه تعبير معروف لدى جميع الهاربين من التفكيك. لقد عرف هاربين قُبِض عليهم لأنهم دسوا أنوفهم فيما لا يخصهم؛ لأن فضولهم غلبهم. لن يرتكب الخطأ نفسه. أيًّا كان سبب اهتمام هذه الفتاة به، يجب أن يعاملها كما لو أنها تهديد لسلامته، ويخرج بأسرع ما يمكن ولا يعود أبدًا. هذا يعني المزيد من البحث في صناديق القمامة عن الطعام، لكن يوجد ما هو أسوأ.

***

3 - ميراكولينا

عندما رأت الصبي ينهض مغادرًا، اتجهت ميراكولينا إلى الأخت باربرا وقالت بسرعة: «هل يمكنني المغادرة مبكرًا، أيتها الأخت؟ لدي اختبار غدًا». إنها كذبة أخرى يجب أن تُقر بها في اعترافها المقبل.

بدت الدهشة على الراهبة، لكنها هزت رأسها موافقة. فكت ميراكولينا المئزر، وارتدت سترتها، وأسرعت تقطع غرفة الطعام، لكن الصبي اختفى.

حل الليل فعلًا عندما وصلت إلى رصيف المشاة. نظرت إلى اليسار، ثم إلى اليمين، وأخيرًا رأته ينعطف عند الزاوية. تقع الكنيسة في أحد أحياء الطبقة المتوسطة، لكن المنطقة غزتها العشوائية بسرعة فيما يتجه الصبي إلى الطريق السريع. حافظ على مسافة آمنة بينهما. لم يبد أنه قد سمعها أو شعر بها وهي تسير خلفه. لقد رافقت الهاربين من التفكيك وتبعت رجال شرطة الأحداث منذ بضعة أشهر وأصبحت تجيد ذلك الأمر.

عندما كانت ميراكولينا عُشرًا، اعتقدت أن الهاربين من التفكيك أسوأ أنواع البشر. مجرمون مذنبون بسرقة جسد لم يعد ملكًا لهم، ويؤدي جبنهم إلى موت آخرين. لكن منذ مغامرتها مع ليف، أصبحت أكثر ترددًا بشأن هذا. في الواقع، إنه يبقيها ساهرة طوال الليل. لقد أصبح الأمر أشبه بالهوس. تتحدث إلى رجال شرطة الأحداث والبوف مفتولي العضلات الذين يتعقبون الهاربين. تستمع إليهم وهم يتفاخرون باعتقال هؤلاء

الصبية. لا يبدو أنهم يهتمون بالأرواح التي أنقذتها الرئات، والأكباد التي ذهبت إلى مرضى السرطان، أو القلوب التي ذهبت إلى مرضى القلب، أو الأرواح التي تحسنت بالقرنيات وأجزاء الدماغ. كل ما يعنيهم هو الإثارة والمكافآت. إنها منافسة.. لعبة؛ لا أكثر.

في بعض الليالي، تتسلل بحثًا عن الهاربين عندما ينام والداها. في بعض الأحيان تجدهم، وفي أحيان أخرى لا تجدهم. أصبح الخوف المشحون بالإثارة -جرَّاء البقاء بمفردها في زوايا مظلمة من المدينة- بمنزلة مخدر بالنسبة إليها. عندما تتحدث إلى الهاربين من التفكيك، تجد بعضهم مجرمين كما تعتقد. إنهم يهربون لأنهم خالفوا عددًا كبيرًا من القوانين، ولا يشعرون بالندم على ذلك. ولا أحد يستطيع التخمين هل كانت قلوبهم سامة إلى هذا الحد قبل أن يهربوا من التفكيك أم لا. هذا مجرد جزء صغير جدًّا من الهاربين من التفكيك. ومعظم من التقتهم ليسوا بهذا السوء. إنهم في الأساس صبية مهذبون ولديهم بالتأكيد ما يقدمونه للعالم. والكثير منهم يهتمون كثيرًا بأصدقائهم أو بمحاربة التفكيك، حتى إنهم على استعداد للتضحية بحياتهم.

صبية مثل ليف.

تسللت ميراكولينا إلى محطة حافلات مغطاة، عندما رأت الصبي أمامها يتجنب جسرًا علويًّا على الطريق السريع ويتجه بدلًا من ذلك إلى جسر للمشاة خافت الإضاءة. زاد فضولها. إنه يتحرك نحو منطقة قذرة حقًّا. ستموت والدتها فحسب لو عرفت أنها تقضي وقتًا هناك.

ما زال الصبي لا يبدو مدركًا أنها تتبعه. أصدر حذاؤها صوتًا على الممر المعدني، لكن الرياح التي تعصف من حولها والسيارات التي تهدر على الطريق السريع أدناه خنقت صوت مرورها.

فقدت أثره عندما وصل إلى نهاية الممر عند الدرج الحلزوني المؤدي إلى الأرض. لم تره يسير في الشارع الرئيسي إلى منطقة المصانع أو الطريق إلى مكب النفايات أو الشوارع إلى المؤدية إلى الحانات وصالونات الوشم وملاهي التعري التي تملأ هذا الجزء من المدينة.

ربما فقدته، ويجب أن تعود إلى المنزل. إن والديها يتوقعان وصولها قريبًا، وبعد اختفائها الأخير، من المؤكد أنهما سيبالغان في رد فعلهما. وعلى أي حال، ربما يكون هذا الصبي من أولئك الخاسرين الذين لا يستطيعون إخبارها بأكثر مما تعرفه فعلًا.

لكن ماذا لو أنه الشخص المناسب؟ ماذا لو أنه يعرف السر؟ ماذا لو أن بإمكانه إخبارها بكيفية تحويل نفسها من دلو قطع غيار بشرية إلى فتاة عادية؟

بيد واحدة على حاجز السلم وقدم واحدة موجهة إلى الكنيسة، كزت على أسنانها. إنها تكره هذا أكثر من أي شيء آخر. لا تعرف أي قرار تتخذ. شعرت بذلك الصوت في مؤخرة رأسها يخبرها أنها يجب أن تشبه ليف أكثر، رغم حقيقة أنه كان مصفقًا مخفقًا وتوجد جائزة لمن يأتي برأسه.

تعبت من التردد، ركضت على الدرج بأسرع ما يمكن في المطاردة، وقاومت الرغبة في العودة إلى المنزل. قررت الاستسلام لو لم تتمكن من التقاط الأثر في غضون دقيقة أو نحو ذلك.

بعد أن تقطعت أنفاسها حال وصولها إلى مستوى الشارع، ترددت ثانية واحدة فقط، محاولة تحديد الشارع الذي اختاره الصبي، عندما أمسك بها من الظلام أسفل الدرج.

صرخ بصوت أجش، وهو يجذبها إليه بقوة شديدة، وقد فاحت منه رائحة القذارة والطعام النتن: «من أنتِ؟».

لم يقدرها الهارب حق قدرها. تخلصت من قبضته ودفعته بقوة، فاصطدم بالدرج، وسقط وسط القمامة والأعشاب الضارة. عندما بدأ ينسل مبتعدًا، قفزت عليه وثبتت جسده النحيل على الأرض. في بعض الأحيان يصبح اتباع نظام غذائي صحي والحفاظ على لياقتك للتبرع بالأعضاء مفيدًا.

همست: «اهدأ، إنني هنا لإنقاذك».

***

4 - برايس

لا بد أن هذه أقصى درجات الإذلال؛ ليس فقط أن تتغلب عليك فتاة، لكن أن تتغلب عليك فتاة تقدم بقايا الطعام في مطعم خيري. حاول التملص منها، لكن الفتاة تمكنت من إبقائه مثبتًا على الأرض.

- كف عن المقاومة، وإلا سأضربك بقوة حتى تعتقد أنك دخلت في حالة انقسام.

ثم رفعته بسلاسة لينهض وسحبته إلى الجانب الآخر من الدرج، ليختبئا عن أنظار الشارع الفارغ تقريبًا. لقد أضيئت مصابيح الشوارع الهزيلة، لكن المساحة خلف الدرج -التي تفوح منها رائحة الأوساخ والبول- مظلمة في الغالب.

هددها: «سأقتلك قبل أن أسمح لكِ بتسليمي للسلطات»، رغم أنه ليس واثقًا تمامًا هل سيتمكن من تنفيذ تهديده، أم لا!

لم يُخِف تهديده الفتاة قط، وقالت: «ما الغامض بشأن عبارة «أنا هنا لإنقاذك»؟ أستبعد إصابتك بضعف القشرة الدماغية، لذا لا بد أنك غبي فحسب».

تجاهل الإهانة، وقال: «كيف ستنقذينني؟ أتقصدين العودة إلى تلك الكنيسة والاعتراف بخطاياي؟ لأن هذا لن يحدث».

قالت: «إن روحك الخالدة هي مشكلتك. إنني أتحدث عن إنقاذ حياتك، لأن أمر تفكيكك شبه لا قيمة له، لكنه ليس معدومَ القيمة تمامًا». تحركت قليلًا حتى أضاءها مصباح الشارع، وسألته: «ما اسمك؟».

رؤيتها بوضوح جعلته يشعر بالارتياح، لكن ليس بالقدر الكافي للإجابة.

سألها: «هل أنتِ شرطية أحداث؟».

صاحت به وهي تشد قامتها في اعتداد: «هل أبدو كشرطية أحداث؟ إنني أعرف ما تواجهه؛ اعتدت الفرار مع الهاربين من التفكيك».

ألقى عليها نظرة شك، فحددت أكثر: «حسنًا، مع شخص واحد خاصةً».

- ما علاقة هذا بي؟

- العلاقة وثيقة للغاية. ذلك القس -الموجود في المطعم الخيري- الأب لورانس، يبحث عن الهاربين من التفكيك ويفعل ما يمليه عليه ضميره. إنه ينقلهم إلى بر الأمان، وأنا جزء أساسي من شبكة الأمان هذه. (ثم نظرت إلى عينيه مباشرة وسألته) أتريدني أن أنقذك، أم لا؟

لا يحتاج برايس إلى فتاة من الكنيسة لإنقاذه، فهو ينقذ نفسه منذ بلغ الثالثة عشرة من عمره ووقَّعت زوجة أبيه أمر تفكيكه. ومع ذلك، يحتاج إلى مَن يعرف طريقة آمنة للخروج من المدينة... لكن الممر الآمن قد يكلفه الكثير.

- لا أملك أي مال.

- لا أريد مالًا. أريد فقط أن أطرح عليك سؤالًا.

توتر، وهو ما لا بد أنها رأته حتى في الظل، فأضافت: «لكن السؤال يمكن أن ينتظر. لنذهب!».

سألها دون أن يتحرك: «إلى أين؟».

- أعرف أشخاصًا يمكنهم اصطحابك إلى حيث لن تضطر أبدًا إلى القلق بشأن مخيمات الحصاد مرة أخرى.

اتجهت إلى الرصيف وانتظرته. انضم إليها، وهو ما زال حذرًا.

مدت يدها، وقدمت نفسها: «اسمي ميراكولينا روزيلي».

صافحها بحذر، قائلًا: «وأنا **برايس بارلو**[1]».

ضغطت على يده بقوة، قائلة: «يسعدني لقاؤك يا برايس».

بعد أربعة مبانٍ تقريبًا، فتحت ميراكولينا باب متجر صغير بين محل رهن وصالون وشم. فوق الباب لافتة مكتوب عليها «جاك وجيل لمكافحة الحشرات». وعلى السطح طفا بالون ضخم على هيئة صرصور. على النافذة ملصق يقول «نستخدم فقط منتجات آمنة بيئيًّا للتخلص من الآفات في منزلك».

توقف برايس على الرصيف، وقال مستنكرًا: «مبيدات حشرية؟ أنا لست صرصورًا؛ لا أريد أن أتعرض للإبادة».

قالت ميراكولينا وقد نفد صبرها: «إنه غطاء لعملية إنقاذ الهاربين من التفكيك. من المفترض أن يبدو الأمر ساخرًا. والآن، ادخل قبل أن يراك أحد».

جعله قولها يقفز إلى الداخل، فأغلقت الباب خلفهما.

---

(1) راجع «مكتمل»، الكتاب الرابع من دستوبيا «التفكيك». «المترجم».

بدت الطاولة الأمامية أشبه بمكتب مستشار مدرسي أكثر من مكان عمل يبيع مبيدات الحشرات. فتحت الباب الصغير المتأرجح عند الطاولة ودفعت برايس ليعبره. في الجزء الخلفي من المكتب دقت الجرس.

صدر فورًا صوت عبر جهاز الاتصال الداخلي؛ مشوه للغاية بسبب التشويش، حتى إنه لا يمكن التمييز هل المتحدث ذكر أم أنثى.

- هل أتيت إلى هنا من أجل عرضنا الخاص بالنمل الأبيض؟ فحص مجاني وخصم عشرة بالمئة لو قررت استخدام خدمتنا. العرض سارٍ حتى نهاية الشهر.

إنها شفرة ضعيفة للغاية، لكن ميراكولينا ضغطت على الزر وتحدثت بجدية كما لو أنها تعمل لصالح وكالة المخابرات المركزية الأمريكية.

- لقد عاد نمل النار.

في لحظة، انفتح الباب، وقال أحدهم: «أهي أنتِ يا ميراكولينا؟».

- نعم يا جاك. وأحضرت معي هاربًا من التفكيك يدعى برايس باور.

صحح لها برايس: «بارلو.. برايس بارلو».

- هل يمكنك اصطحابه؟

- طبعًا.

فتح رجل أحمر الشعر خفيفه، وفي أواخر العشرينات من عمره، الباب على اتساعه، ونظر خلفه، قائلًا: «لدينا ضيف يا جيل».

ظهرت امرأة بجانبه فورًا، بالكاد يصل الجزء العلوي من رأسها إلى ذقنه. ارتدت في يدها اليمنى قفازًا من جلد الغزال البري للوقاية من حرارة الفرن، وفي اليسرى خاتم زواج. وبابتسامة مشرقة، جذبت برايس وعانقته. لم يعانقه أحد منذ الأزل، لكن بعد خمس ثوانٍ تقريبًا،

ربت ظهرها في حرج. عندما تركته، اضطر إلى الابتعاد لأنه لا يريد أن يرى أحد دموعه.

- يسعدني حضورك للغاية يا برايس. لدينا ما يقرب من جالون من الحساء المتبقي من العشاء وعدة قطع من فطيرة الراوند الشهيرة. آمل أنك جائع.

قال برايس، وهو ينظر إلى القفاز الذي ترتديه: «يمكنني التهام غزال بري يا سيدتي».

قالت جيل وهي تقوده في الرواق الطويل: «آسفة، ليس على القائمة. ولا تدعوني «سيدتي». اسمي جيل».

***

5 - ميراكولينا

بدأت ميراكولينا تتبعهما، لكن جاك منعها، وقال واضعًا يده على مرفقها: «فلنتحدث».

عادا إلى المكتب، ونظر من خلال الستائر لثانية، قبل أن يستدير ليواجهها.

ارتسمت على وجهه ابتسامة، لكنها اختفت بسرعة وهو يقول: «لقد أصبحتِ أكبر عميل لدينا يا فتاة. كم عدد الهاربين من التفكيك الذين أحضرتِهم إلينا؟ خمسة؟ ستة؟».

قالت: «ثمانية.. برايس هو الثامن».

حاول الابتسام مرة أخرى، لكن ابتسامته تلاشت عندما نظر من خلال الستائر مجددًا.

سألته: «ماذا دهاك؟».

ظهرت على جبهته خطوط قلق لا تحصى. فجأة بدا أكبر سنًّا بعقود، وهو يقول: «لقد فقدنا واحدًا وثلاثين صبيًّا الأسبوع الماضي. استولى قراصنة الأعضاء على شاحنة صغيرة في ميلووكي. وبعد يومين، هاجموا المنزل الآمن في سانت لويس».

لهثت وهي تسأله: «هل يوجد بينهم أي من الصبية الذين أحضرتهم؟».

هز رأسه، قائلًا: «لا. لكنني لست واثقًا من المدة المتبقية قبل أن يعقد أحد الصبية المختطفين صفقة مع القراصنة ويخبرهم بمكاننا

وبما نفعله. لا تحضري المزيد من الصبية حتى نجد مكانًا جديدًا وغطاءً جديدًا».

زوت ما بين حاجبيها، قائلة: «لكن ماذا لو...».

قطعت عبارتها عندما رأت النظرة البائسة في عينيه. أشار جاك برأسه إلى الجزء الخلفي من المنزل، وقال: «لا يمكنني أن أثق في أي شخص حتى أكتشف من يخوننا. إنني أحتفظ بهذه المعلومات السرية للعائلة فقط، والآن أخبرتك أنتِ أيضًا. لدينا سبعة وعشرون صبيًّا في الطابق العلوي. أصبحوا ثمانية وعشرين بعد إضافة برايس. في وقت لاحق من هذه الليلة سننقلهم في ثلاث شاحنات إلى منازل آمنة مختلفة، لكني لا أريدك أن تأتي إلى هنا مرة أخرى. هل سمعتني؟».

ارتجفت، وهي تتخيل مدى الخطر الذي يتعرضون إليه، وشعرت بغضب شديد لأنها لا تستطيع فعل أي شيء للمساعدة. قالت: «سمعتك يا جاك. عدني بأنك ستخبر الأب لورانس عندما تحصل على مكان جديد. هو سيخبرني». أشارت برأسها نحو الباب الخلفي، وأضافت: «هل يمكنني أن أودع برايس؟».

في أثناء سيرها في المنزل الضيق، تساءلت ماذا ستفعل لو لم تتمكن من إنقاذ الهاربين. هذه هي الطريقة التي تساعدها لتعيش مكتملة، بينما ما زال يصعب عليها تصديق أنها يجب أن تعيش هكذا. لديها مهمة، لكنها خسرتها للتو في مواجهة قراصنة الأعضاء.

تذكرت قرصان الأعضاء الذي سجنها مع ليف، فغلت الدماء في عروقها.

في المطبخ، وجدت ميراكولينا جيل تضع حصة ثانية من الحساء في وعاء برايس. ورغم تناوله العشاء في المطعم الخيري، أخذ يأكل وكأنه

يتضور جوعًا. لا بد أن الصبي قد شعر بالخجل، لأنه سحب غطاء رأس سترته لأسفل ليغطي وجهه.

عمل جريفين شقيق جيل على تنظيف الموقد. إنه حليق الرأس، كث اللحية، لكن مثل جيل، يملك ابتسامة يمكنها إذابة الجليد.

ربتت جيل على وجنة ميراكولينا، وقالت: «تناولي قطعة من الفطيرة يا فتاة»، ثم دفعت شقيقها أمامها، قائلة: «تعال يا جريفين. فلنحزم أمتعتنا».

تركا ميراكولينا وبرايس وحدهما، فجلست على الكرسي المقابل له. رغم أنها تسمع حفيفًا من الجدران والأرضيات والسقف من حولها، فإن المبنى -الذي يحوي العديد من الصبية المختبئين- هادئ بشكل غير طبيعي.

استعدت لطرح سؤالها الذي تسأله لجميع الصبية الهاربين من التفكيك الذين تجدهم، لكن برايس دفع الغطاء عن رأسه ومال نحوها، وسأل: «هل تثقين بهؤلاء الناس؟».

- بالتأكيد!

- حتى الرجل ذو اللحية؟

تأملته ميراكولينا من كثب، وسألته: «لماذا؟».

هز برايس كتفيه، قائلًا: «مجرد سؤال»، ثم رفع وعاءه، الذي أصبح فارغًا مرة أخرى، وقال: «هل يمكنك إحضار المزيد لي؟».

ذهبت ميراكولينا إلى الموقد وملأت وعاءه مرة أخرى، قائلة: «يجب أن تضبط وتيرة تناولك للطعام. إن تناول الكثير من الطعام بسرعة كبيرة...».

لكنها لم تكمل عبارتها قط. لأنها عندما استدارت، وجدت برايس قد رحل.

***

6 - برايس

قد لا يعني الأمر شيئًا. ربما هو فحسب الوسواس القهري الذي يتسلل إلى أفكار كل هارب من التفكيك. لكنه وسواس وقائي -يوجد لسبب ما- وفي أغلب الأحيان، عندما يتوجس برايس خيفة تجاه شيء ما، فإن الحذر ينقذ حياته.

قد لا يكون ذو اللحية هو الرجل نفسه.

وحتى لو أنه الرجل نفسه، فربما الأمر ليس كما يظنه برايس. ما رآه في الزقاق الأسبوع الماضي قد لا يكون له أي علاقة بالهاربين من التفكيك. كل ما يعرفه هو أن الرجل تاجر تبغ، يبيع السجائر على جانب الطريق لكسب بعض النقود الإضافية. من يدري، ربما تذهب الأموال التي يكسبها الرجل من التجارة مباشرة إلى عملية إنقاذ الهاربين من التفكيك.

وربما لا.

برايس لديه ترتيب رائع. يوجد زقاق على بعد بضعة مبانٍ من متجر المبيدات، خلف صف من الحانات ومحلات الرهن. توجد ثلاثة صناديق قمامة في الخلف. ما زال اثنان منهما قيد الاستخدام، لكن الثالث في حالة سيئة للغاية، فقد صدأ الغطاء وأغلقه، لكن يوجد ثقب كبير في الخلف؛ كبير بما يكفي ليتمكن أحدهم من التسلل من خلاله. لقد ملأه بالوسائد، حتى إن لديه كبسولة نوم أخذها من صندوق التبرعات. حتى الآن لم يجد أحد ملاذه الآمن الشخصي.

تسلل خلف حاوية القمامة وصعد إلى الداخل، وبطنه يكاد ينفجر من كم الطعام الذي تناوله، ونظر من خلال أحد الثقوب العديدة التي أحدثتها الرصاصات في صندوق المهملات القديم. لا يوجد نشاط في الزقاق في وقت مبكر من الليل. ومع ذلك، في وقت لاحق ستجري بعض الأمور. يمكن أن تصبح منطقة ترفيه عادية في الخارج. يتجاهل برايس ذلك غالبًا. لا يزعجه حثالة العالم في محيطه الخاص، ولن يفيده إزعاجهم. لكنه يرى أشياء من حين إلى آخر. مثل المرة التي انعطف فيها إلى الزقاق، ومر برجلين يجريان نوعًا من الصفقات السرية.

قال لنفسه: «الكثير من الرجال لهم الهيئة نفسها. ليس هو. ولو أنه هو، فلماذا يجب أن أهتم؟ إنها ليست مشكلتي».

لكنها أصبحت مشكلته مرة أخرى بعد عشر ثوانٍ، عندما تسلق أحدهم، وعبر الفتحة الموجودة في صندوق المهملات، وغزا محيطه الشخصي.

***

7 - ميراكولينا

قالت ميراكولينا، وهي تسلط ضوء هاتفها على وجهه: «لا تفاجأ كثيرًا. إنك لست بالضبط الهارب الخفي».

قال برايس بحدة: «اصمتي! لا أحد يعرف شيئًا عن هذا المكان، ولو سمعك أحدهم بالخارج...».

خفضت صوتها وهمست: «لماذا هربت؟».

- لدي أسبابي.

- شيء ما أخافك، أليس كذلك؟

- هل يمكنك خفض صوتكِ؟

تنفست ميراكولينا بعمق، وهمست بأضعف صوت تملكه، وهي تخفض هاتفها حتى لا يسطع في وجهه: «أحتاج أن أعرف ماذا أخافك».

صمت برايس لحظة، ثم أخبرها أخيرًا: «لقد رأيت شخصًا يشبه جريفين يأخذ مالًا في هذا الزقاق الأسبوع الماضي».

- مال مقابل ماذا؟

- لا أعرف.

اتكأت ميراكولينا على جدار صندوق المهملات الخشن. أيحتمل أن جريفين يخونهم ويتعاون مع قراصنة الأعضاء؟ بدا الأمر غير معقول، ومع ذلك فهم يعرفون بوجود خيانة. لا بد أنه شخص ما بالداخل. ميراكولينا تعرف ما يجب أن تفعله. قالت: «إنهم سينقلون جميع الصبية

في غضون ساعات قليلة. لذا لو أنه يعقد صفقات في هذا الزقاق، فسيعود الليلة». فكرت في الأمر، ثم أومأت برأسها، قائلة: «سأنتظر هنا معك».

لقد اتصلت بوالديها فعلًا، وأخبرتهما أنها ستبقى طوال الليل في الكنيسة للمساعدة في مأوى المشردين. إنهما يثقان في رعاية الراهبات لها. إنها الليلة تضع كذبة فوق كذبة فحسب.

في الضوء الخافت لهاتفها الذي وضعته جانبًا، لمحت برايس وهو يبتسم لها بخفوت، قائلًا: «ألا تمانعين في الجلوس داخل حاوية قمامة مع هارب من التفكيك؟».

تذكرت ميراكولينا الوقت الذي حوصرت فيه في مساحة الأمتعة الصغيرة في حافلة تقطع البلاد مع ليف. بالكاد وجدا مساحة للتنفس، واضطر ليف إلى التبول في زجاجة شامبو تخص أحد الركاب. ابتسمت ووجدت أنه من الغريب أن تصبح هذه ذكرى ممتعة بطريقة ما.

قالت له: «يمكنني التعامل مع الأمر».

***

بعد ساعة، وسط يأس ميراكولينا وخيبة أملها العميقة، ظهر جريفين في الزقاق. راقبته هي وبرايس -من خلال ثقوب الرصاصات في حاوية المهملات- وهو يلتقي رجلًا يبدو أنه فقد أذنه. ورغم أنهما يتحدثان بهدوء، وأنهما على بعد عشرين ياردة على الأقل من الزقاق، فقد سمعت ما يكفي من المحادثة لتعرف أن جريفين هو الخائن.

السؤال هو: هل ستصدقها جيل، أم ستصدق شقيقها؟ ثم أدركت أنها ليست مضطرة إلى إقناعها لو أنها تملك دليلًا. لذا رفعت هاتفها إلى الفتحة الصغيرة وفتحت الكاميرا.

***

تأرجح بالون الصرصور ساخرًا فوق شركة «جاك وجيل لمكافحة الحشرات»، وبدا أكثر تهديدًا من أي وقت مضى. انتظر برايس وميراكولينا عشر دقائق رهيبة في حاوية القمامة بعد مغادرة جريفين، خوفًا من مصادفته في طريق العودة. لم يُجب كل من جاك وجيل على هواتفهما. تنتقل المكالمة مباشرة إلى البريد الصوتي. من الأفضل إجراء الحوار شخصيًّا، وتعلم ميراكولينا أنها لا تستطيع إخبار جيل بذلك؛ يجب أن تخبر جاك. سيعرف كيف ينقل لها الأخبار السيئة بأن شقيقها قد خانهم. لم تُرِد ميراكولينا أن ترى عدم التصديق واليأس على وجه جيل.

لقد سقطت فعلًا ستارة الأمان الفولاذية فوق النافذة، والباب مغلق. لا توجد علامة على وجود أي شخص بالداخل. الأمر دائمًا هكذا بعد ساعات العمل. علامات النشاط قد تثير الشبهات. دقت ميراكولينا الجرس ونظرت إلى الكاميرا التي تعلم أنها مخفية فوقهما، على يسار المدخل، ورفعت إبهامها.

صدر صوت صافرة فتح الباب، فاندفعت ميراكولينا مع برايس ليعبراه. وجدا الباب المؤدي من المكتب الأمامي إلى الرواق الخلفي مفتوحًا جزئيًّا، مما يعني إعفاءهما من الحديث بالشفرة في جهاز الاتصال الداخلي للدخول. تسلل كلاهما من المكتب الأمامي إلى الرواق المؤدي إلى المطبخ. وجدا المكان هادئًا.. هادئًا للغاية. لثانية واحدة فكرت أن جاك قد بدأ عملية الانتقال مبكرًا، وأن الشاحنات قد غادرت فعلًا، حاملة الصبية. مما يعني أنهم في طريقهم إلى السقوط في قبضة قراصنة الأعضاء. ثم وبخت نفسها على الذعر. لم يمر حتى نصف ساعة منذ أن رأيَا جريفين في الزقاق. سمعت صوت حركة أمامهما، شخص

يتجول بين الخزائن، فأسرعا إلى المطبخ... ووجدا جريفين يُعِد لنفسه شطيرة.

- أهذا هو الفتى الهارب من التفكيك؟ أشعر بالدهشة لأنك تمكنتِ من إحضاره مرة أخرى.

لا توجد علامة على وجود جاك أو جيل في أي مكان. أدار برايس ظهره، وفتح الثلاجة وخفض رأسه لينظر داخلها. لم تستطع ميراكولينا تخيل أنه جائع في وقت كهذا، ثم أدركت أنه لو رأى جريفين الأسبوع الماضي في طريقه إلى حاوية القمامة، فقد رآه جريفين أيضًا. لهذا أبقى غطاء رأسه منخفضًا عندما جاء إلى هنا في المرة الأولى. ولهذا أيضًا يضع رأسه داخل الثلاجة الآن. وقفت أمامه، آملة ألا يبدو ما يفعلانه واضحًا لجريفين.

سألته ميراكولينا: «هل يمكنك التحقق من وجود سرير له في الطابق السفلي؟».

قطع جريفين الخردل بسكين لحم حاد إلى حد ما، لكن هذا ليس السلاح الذي يقلقها. يوجد مسدس في حزامه. من المرجح أنه مملوء بالمهدئات، لكن هذا ليس عزاءً.

- إنه لا يحتاج إلى سرير. سننتقل في وقت أبكر من المقرر. لقد أحضرت شاحنتي فعلًا، وجاك وجيل في الخارج لإحضار الاثنين الآخرين الآن. يجب أن نستعد للذهاب بحلول منتصف الليل. (ثم اتجه إلى الثلاجة وسحب برايس خارجها، قائلًا) يا رجل، لا يمكنك ترك الباب مفتوحًا هكذا. سيفسد كل شيء (أغلق الباب، ملقيًا نظرة على وجه برايس. تأمله لوقت أطول مما ينبغي. ثم قطب حاجبيه، وسأله) لماذا تبدو مألوفًا يا فتى؟

شعرت ميراكولينا بإحساس رهيب بالغرق، لكن برايس ابتسم، وأجابه: «لقد حضرتُ إلى هنا لتناول العشاء في وقت سابق فحسب، هل تتذكر؟».

- لا، لقد رأيتك من قبل.

ظل برايس يتجاهل الأمر، وأدى دوره بكل ما أوتي من قوة: «الجميع يقولون ذلك يا سيدي. لدي وجه عادي ومألوف».

لم يصدقه جريفين. وتحت حماية برايس، بحثت ميراكولينا عن شيء على الطاولة. أي شيء يمكن استخدامه كسلاح.

ضاقت عينا جريفين، وسأل برايس: «هل تسكعتَ في أحد الأزقة الأسبوع الماضي، خارج بيرشينج؟».

التقطت ميراكولينا إناءً زجاجيًّا مملوءًا بالقهوة الساخنة، فيما أنكر برايس تسكعه في الأزقة عمومًا، لكن الأوان فات؛ لقد كشفه جريفين، ورفع مسدسه، فألقت ميراكولينا القهوة في وجهه، ثم ألقت الإناء عليه.

عندما اصطدم جريفين بخزانة المطبخ، انطلق سهم تهدئة من المسدس، واستقر في الحائط خلف ميراكولينا. منحهما الخوف أجنحة وهما يركضان إلى الطابق العلوي، وشكرت ميراكولينا السماء بحرارة عندما وجدا الباب في الأعلى مفتوحًا. خلفهما، أخذ جريفين يلعن ويتوعد غاضبًا، وهو يصعد الدرج. وعلى بعد أقدام قليلة فقط، أغلقت ميراكولينا الباب وأوصدته، آملة ألا يملك جريفين المفتاح. لكن، حتى لو أنه يحمله، فهو ليس في حالة ذهنية لاستخدامه. بدأ يركل الباب القديم ويلقي ثقله الكبير عليه، حتى تتحطم مفصلاته.

ارتدى الصبية ملابس رحلتهم الليلية، وجاؤوا من غرف النوم والحمامات إلى الرواق لمعرفة سبب الضجة.

صرخ برايس: «قراصنة الأعضاء!»، آملًا أن تماثل صيحته بالنسبة إلى هؤلاء الهاربين من التفكيك صرخة «حريق» في مسرح مزدحم.

ربتت ذراعه فتاة آسيوية صغيرة ترتدي مشابك شعر وردية، قائلة: «لا، إنه جريفين فحسب». ثم ابتلعت لسانها عندما اندفع جريفين إلى الأمام، ملوحًا بالمسدس.

بدأ الصبية يتراجعون إلى الخلف.

وهنا، أضافت ميراكولينا إلى ما ذكره برايس: «إنه خائن! يبيع الصبية إلى السوق السوداء! إنه يبيعهم إلى مخيم «داه زي» البورمي!».

لم تعرف هل هذا الجزء الأخير صحيح أم لا، لكنه أتى بالاستجابة المطلوبة. توقف الصبية عن التراجع، وبدؤوا يتخذون موقفًا. تقدمت الفتاة الآسيوية الصغيرة وثلاثة فتيان أكبر منها.

صرخ جريفين: «توقفوا! إنني أحذركم!».

هدَّأ اثنين من الصبية، لكن خمسة آخرين حلوا محلهما. ثم قفزت الفتاة ذات المشابك الوردية نحوه، ووجهت إليه أبشع ركلة طائرة رأتها ميراكولينا على الإطلاق. اندفع جريفين ليصطدم بالحائط، وسقط المسدس من يده. وفي لحظة هاجموه جميعًا. عشرات الصبية المسعورين، أخذوا يلكمونه ويصفعونه ويركلونه، حتى خشيت ميراكولينا أن يمزقوه إربًا.

تحولت احتجاجات جريفين الغاضبة إلى توسلات يائسة ترجوهم التوقف.

ثم التقطت ميراكولينا مسدس التهدئة، الذي استقر بسلاسة في يدها. رآها الصبية واحدًا تلو الآخر وهي تحمل المسدس وتتحرك نحو

جريفين، فابتعدوا عنه حتى بقيت الفتاة الصغيرة ذات المشابك الوردية فحسب، تجلس على صدره وتضربه بحماس، فجذبها برايس بعيدًا.

بدا أن جريفين قد تخلى عن المعركة بعد أن لطخته الدماء وأصابته الكدمات، لكن ميراكولينا قررت ألا تخاطر. حافظت على التواصل البصري مع الخائن لحظة، وتأكدت أنه قد رآها تشهر المسدس.

لم يبدُ الندم على جريفين مطلقًا، وقال: «أيتها الغبية الصغيرة...».

أطلقت النار قبل أن ينهي عبارته، وخرجت الكلمة الأخيرة في هيئة أنين مؤلم. استقر السهم في صدره، وبعد ثانية واحدة، تراخى جسده، وغاب عن الوعي.

تنهدت ميراكولينا، وهي تعلم أنها ستصطف للاعتراف غدًا مع الأب لورانس. ليس لإطلاق النار على جريفين، لكن لاستمتاعها بذلك.

عندما عاد جاك وجيل بالشاحنات الإضافية التي يحتاجون إليها لعملية المساء، أدركا بسرعة كبيرة أن الموقف قد تغير حال رؤيتهما جريفين مقيدًا وغائبًا عن الوعي. أظهرت لهما ميراكولينا صور إدانته، لكن حتى من دونها، صدقها جاك وجيل.

غضبت جيل وشعرت بالحزن، لكن لدهشة ميراكولينا، بدا عليها الارتياح أيضًا.

- الآن بعد أن عرفنا مكان تسرب المعلومات، لن يقع المزيد من صبيتنا فريسة لقراصنة الأعضاء على مرأى منا.

وبما أن جريفين يعرف مكان المخابئ الجديدة، فقد أُلغِيَت الخطة، وقضى جاك بقية الليل يتحدث هاتفيًّا، لترتيب مكان آمن. ما زال عليهم المغادرة الليلة؛ من يدري عدد من يعرفون أن الصبية هنا! من الأفضل ترك هذا المكان في أقرب وقت ممكن.

ظل السؤال حول ما يجب فعله مع جريفين قائمًا. لا يمكنهم تسليمه للسلطات، لأن إيواء الهاربين من التفكيك غير قانوني حاليًّا في نظر القانون، تمامًا مثل قرصنة الأعضاء. سيُلقى القبض عليهم جميعًا.

برايس هو من توصل إلى الحل. قال: «اتركوه هنا. عندما تأخذون الصبية إلى المخبأ الجديد، اتركوه فحسب. سوف يستيقظ، ليجد الجميع قد اختفوا دون أثر».

أضافت ميراكولينا: «وبما أنه قد حصل فعلًا على أجر مقابل المعلومات، سيشعر بقلق أكبر بشأن انتقام تجار السوق السوداء، ولن يفكر في تعقبكم».

بعد نصف ساعة، وضعوا الصبية في الشاحنات. ظهر الأب لورانس لقيادة الشاحنة الثالثة. إنه لا يخاف أبدًا من التورط شخصيًّا عندما يتعلق الأمر بالخلاص، حتى لو أنه خلاص من سلطة الأحداث فحسب.

لاحظت ميراكولينا أن برايس يتباطأ، ولا يركب أيًّا من العربات الثلاث مع الصبية الآخرين. أملِت أن ذلك فقط لأنه يريد قضاء المزيد من الوقت معها.

قال لها: «أردتِ أن تسأليني سؤالًا، ما هو؟».

بدا غريبًا بطريقة ما أن تسأل بعد كل ما مروا به، لكنه سؤال تسأله لكل هارب من التفكيك تساعده.

- كيف تحلم بمستقبل عندما لا يُفترض أن لك مستقبلًا؟ كيف تستمر في المضي قدمًا في ظل تخلي العالم عنك؟

يضحك بعض الصبية عندما تسأل هذا السؤال، ويتجاهله آخرون لأنهم لا يملكون إجابة، لكن برايس -وهذا يُحسَب له- فكر في الأمر بجدية.

- أظل أُذكر نفسي بأنني على حق، والعالم على خطأ.

- لكن كيف عرفت؟

ابتسم، وأجابها: «أنا مؤمن. ليس نفس نوع إيمانك، لكني أومن بنفسي، وهذا يناسبني تمامًا في الوقت الحالي».

بعد أن أحصى جاك الصبية ثلاث مرات، أخبر برايس بوجود مكان له في شاحنته، فأخبره ذلك الأخير بما خشيت ميراكولينا أن يقوله.

- لن أذهب.

حاول جاك إقناعه، لكن برايس قاطعه، قائلًا: «القرار نهائي. إنني أعيش بمفردي منذ أكثر من عام. أنا معتاد ذلك، وأحبه. سأكون بخير».

سأله جاك: «ولو لم يحدث ذلك؟».

قال برايس: «إذن فهذا خطئي، ويمكنني التعايش معه».

أشارت ميراكولينا: «لن تتعايش مع أي شيء لو قُبِض عليك؛ ستفكك».

- سأتحمل هذه المجازفة.

بعد بضع دقائق، انطلقت الشاحنات، تاركة برايس وميراكولينا بمفردهما، وبدأ الفجر للتو يخترق ضبابًا هادئًا وصامتًا.

قالت له ميراكولينا: «رافقني سيرًا إلى الكنيسة».

ورغم أن طلبها بدا أشبه بالأمر، فقد أسعده أن ينفذه.

قالت ميراكولينا مازحة في أثناء سيرهما: «حسنًا يا برايس بارلو.. ماذا تريد أن تفعل في هذه الحياة التي لا يُفترض أن تعيشها؟».

قال لها: «الكثير من الأشياء. إنني لا أعرف فحسب ما هي بعد، لكن لا بأس. الشيء الوحيد الذي أعرفه يقينًا هو أنني سأصبح شخصًا مهمًّا. ستصبح لي أهمية. **وسيعرف الناس اسمي**».

قالت له: «أنت مهم فعلًا بالنسبة إلى الصبية الذين ساعدت في إنقاذهم اليوم، حتى لو لم يعرفوا اسمك».

قال: «نعم، إنه أمر مضحك كيف تسير مثل هذه الأمور، أليس كذلك؟ أعني، انظري إليكِ؛ أراهن أنك لمستِ حياة الكثير من الناس الذين لا يعرفون اسمك. أنت أشبه بالرابط غير المرئي بين المئات».

حدقت إليه، وقد أصابت كلماته شيئًا عميقًا في داخلها، وفجأة فهمت. إن رغبتها في الانقسام لا تتعلق بإبادة الذات، بل بتوسيع دائرة خدماتها على الآخرين. إن الانقسام من شأنه أن يربطها بمئات الأشخاص، لكن توجد العديد من الطرق المجزية للتواصل، أليس كذلك؟

قالت عندما وصلا إلى الكنيسة: «شكرًا لك».

ضحك، وسألها: «لماذا؟».

قالت: «شكرًا فحسب.. لأني أفضل أن أقول شكرًا بدلًا من وداعًا».

- حسنًا، في هذه الحالة، على الرحب والسعة!

ثم استدار واختفى في الفجر الضبابي.

***

في مركز خدمة المجتمع بالكنيسة، انشغلت بعض الأخوات فعلًا بإعداد الإفطار، فيما ظل ضيوف المأوى نائمين.

قالت الأخت باربرا: «لقد أتيتِ مبكرًا اليوم يا ميراكولينا. ألا تنامين أبدًا؟».

تثاءبت ميراكولينا، قائلة: «من حين إلى آخر».

إنه السبت، أليس كذلك؟ ستقضي بعض الوقت هنا، ثم تعود إلى المنزل وتنام بقية اليوم.

- ربما يمكنك مساعدة الأخت فيتاليس في نسيجها. تلك المسكينة لا تستطيع الرؤية جيدًا بما يكفي لأداء العمل.

جلست الأخت فيتاليس -المسماة كذلك تيمنًا بالقديسة الشهيدة فيتاليس، التي دُفنت حية تحت كومة من الصخور- في زاوية تحاول إصلاح إحدى مفروشات الكنيسة. بدا أنها تعمل على ذلك صباحًا وظهرًا وليلًا بصبر لا ينتهي.

قالت ميراكولينا: «دعيني أساعدك في ذلك أيتها الأخت»، فسعدت الراهبة للغاية بمشاركة العمل.

فكرت ميراكولينا: *عِش مثل ليف*. هذه هي صرخة المعركة التي أطلقها الأعشار الذين أُنقِذوا في «قصر كافينو». لا تستسلم للرغبة في إطفاء نفسك في مياه العالم، بل كن نورًا فوق تلك المياه للمساعدة في إنارة الطريق.

فكرت: *شكرًا لك أيضًا يا ليف*. ومثل وقتها القصير مع برايس، أدركت الآن أن صداقتها المضطربة بليف هدية. لا يمكنها إلا أن تأمل أنه ما زال حيًّا، حتى تتمكن من رد الجميل له يومًا ما.

وضعت الأخت فيتاليس النسيج في حجر ميراكولينا، وبلطف، تركتها تتولى الأمر. الآن عرفت أنها لا تحتاج إلى التنازل عن عينيها إلى راهبة عجوز. ولا تحتاج إلى التنازل عن إحساسها بذاتها للتواصل مع الآخرين.

هذا إضافة إلى أنها في الرابعة عشرة من عمرها فحسب. أمامها حياتها بالكامل لتصبح شهيدة.

***

مُجمَّعون

00039 - 1

- المنشار. روبيك. لف.. لف.. لف.

مضغ أفكاره كقطعة علكة فقدت نكهتها منذ فترة طويلة. إن 00039 ما زال يعتقد أنه قد يفهم هذه الأفكار يومًا. ليس لديه خيار سوى الإيمان، لأن فقدان الأمل في التحلي بالأمل أمر لا يمكن تصوره. لا يمكن تصور وجوده تقريبًا.

- أعلم أن جميعكم بالتأكيد غاضبون. مرتبكون. لكم كل الحق في ذلك.

- مدرسة السلمون. قطيع من الأوز. قتل الغربان.

يوجد العديد من الآخرين هنا في هذه المجموعة من الأرواح المجزأة والمُشرَّحة. كلهم مثله. إنهم قبيحون ومصابون بندوب. يقضون أيامهم الخالدة وهم يتحدثون عن تناقضاتهم. ويتشاجرون؛ يتشاجرون دائمًا. لكن بأيدي من يتعاركون؟ هل يعرف أحد؟

- إنني هنا لتسهيل الأمر عليكم. لمساعدتكم في العثور على أنفسكم، وهذا ما سيحدث، أعدكم بذلك.

إنه فتى جميل.. نجم إعلامي.. الأول من نوعه.

تذكرت أجزاء مختلفة من 00039 الشاب وهو يخاطبهم. إنه المثال المتألق لما يمكن أن يكون. إنه الحلم قبل الكابوس. كامو كومبري[1].

(1) راجع «منقوص» و«مكتمل»، الكتابين الثاني والرابع من دستوبيا «التفكيك». «المترجم».

على عكس العشرات ممن جُمِّعوا هنا في مولوكاي، فإن كامو كومبري لديه نقاط التحام لطيفة بدلًا من الندوب الخشنة. على عكسهم، درجات لون بشرته العديدة مصممة جيدًا ومتناسقة، وتنبثق ممتدة في ديناميكية من نقطة في منتصف جبهته. على عكسهم، يعيد شعره -المزدحم بملمس متنوع وألوان مختلفة- تعريف مفهوم الطراز ذاته. إنه عمل فني. إنه يتناقض معهم. ومع ذلك، يدَّعي أنه أحدهم.

يعرف 00039 أنه ليس عملًا فنيًّا. رغم أنه لم يرَ نفسه في المرآة قط، فإنه يعرف ذلك لأنه يستطيع أن يرى نسخًا من نفسه في المُجَمَّعين من حوله. كلهم في سن المراهقة، وليس لهم عمر محدد. إنهم مزيج من أعمار عديدة. كلهم عالقون بين ما كانوه يومًا، وما قد يصبحونه.

كيف حدث هذا؟ كيف وصلت هذه الحالة الرهيبة من الوجود إلى هذه الحالة؟

- المنشار. روبيك. لف.. لف.. لف.

لو أن بإمكانه التفكير بوضوح أكبر...

أصر كامو كومبري، الصبي الذهبي: «لقد كنتُ حيث أنتم الآن. أعرف مدى الألم الذي تشعرون به، لكنك سوف تندمجون. تتجمع القطع معًا إذا واصلتم العمل عليها».

من المريح أن تسمع هذا، لكن لا شيء مما رآه 00039 هنا يثبت ذلك. المُجمَّع الوحيد الذي اندمجت أجزاؤه بالكامل هو ذلك الذي يخاطبهم. لو استطاع 00039 أن يصبح مجرد جزء بسيط من شخصية كامو، لبات ذلك كافيًا. لذا، بدلًا من الاستياء منه، قرر المُجَمَّع الإعجاب به. لقد جُمِّع كامو، مثلهم تمامًا. نعم، بعناية أكبر بكثير، لكنه جُمِّع من أجزاء وقطع من الآخرين.

يتذكر 00039 عملية التجميع. أو بالأحرى، يتذكر أصداء العشرات من عمليات التجميع. عندما استيقظ لأول مرة، واستعاد وعيه، اعتقد أنه يعيش في حالة انقسام، وأن دعاية سلطة الأحداث لا بد أنها حقيقية، وهذا هو إحساس المرء بأنه حي، لكن منقسم. ومع ذلك، سرعان ما أدرك أن هذا شيء مختلف تمامًا. وعندما أدرك طبيعته، شعر بالخجل.

قال كامو كومبري: «ما حدث لكم جريمة. لا أستطيع تغيير ذلك. ما يمكنني فعله هو تعليمكم كيفية العيش بكرامة».

التفت إليه المُجَمَّع الواقف بجوار 00039 بعينين فارغتين ومتناقضتين بشكل مقلق، وقال وهو يشير إلى كومبري: «أفعى.. جانوس.. لوسيفر». ثم ابتسم ابتسامة ملتوية، مضيفًا: «لينكولن.. كينيدي.. كينج.. بانج بانج! الشرطة ليس لديها أدلة».

لم يعرف 00039 ما يعنيه، ولم يُرِد أن يعرف. أيًّا كان الأمر، فهو غير سار. تجاهل المُجَمَّع الواقف بجواره، وحوَّل انتباهه مرة أخرى إلى كامو كومبري، الذي بدا حاد الذكاء في زيه العسكري، ومقنعًا في بلاغته. أراد 00039 أن يصدق أن كل ما يقوله صحيح.

- المُخَلِّص.. التناول.. هالويا.

نعم، ربما يستطيع هذا المُجَمَّع الأول أن ينقذه.

***

2 - كام

غادر المكان وهو يشعر بالغثيان. ليس مما رآه، بل مما أحس به. لا توجد جحيم عميقة بما يكفي لتليق بروبرتا وزملائها. نعم، حُكِم على روبرتا بالسجن مدى الحياة، لكن هذا ليس كافيًا. لا يمكن لأي عقوبة أن تكفي على الإطلاق، عقابًا على إنتاج هذه المخلوقات المسكينة.

قال كام لنفسه: «لا، ليسوا مخلوقات. إنهم بشر».

لقد توصل كام أخيرًا إلى رؤية نفسه كإنسان. واجه صعوبة في الوصول إلى هذه المرحلة وأن يصدق ذلك حقًّا. كم سيصبح الأمر أصعب بالنسبة إلى هؤلاء المُجَمَّعين الذين لا يتمتعون بالمزايا التي يتمتع بها؟ لم يُصنَعوا من أجزاء مختارة يدويًّا. لم يُصنَعوا من صفوة الأجزاء، لقد جُمِّعوا من مجموعة عشوائية من المفككين، دون مراعاة أي شيء آخر غير قدرتهم على حمل سلاح. كان من المفترض أن يصبحوا بداية لجيش من العبيد، فلو أنك مجموعة من الأجزاء، فأنت لستَ شخصًا، بل جمادًا مملوكًا.

على الأقل هذا رأي الجنرال بوديكر. حسنًا، إنه في السجن مع روبرتا، والآن أصبح العالم مضطرًّا إلى التعامل مع جيشهم النموذجي من المُجَمَّعين.

لقد تطوع كام -الذي أصبح الآن بطلًا- للعناية بهم، وسعد الجيش للغاية بوضعهم بين يديه. ورغم أن كام مجرد طالب عسكري، فإن

الجميع اتفقوا على أنه لا يوجد من هو أكثر ملاءمة منه للإشراف على المُجَمَّعين في مولوكاي.

ينظر إليه الجيش كجليسة أطفال ماهرة، فهو يُبقي المُجَمَّعين تحت الحراسة وبعيدًا عن أعين العامة. إنهم لا يهتمون بأن يعثر المُجَمَّعون على السلام ويشعروا بالهدف من وجودهم. لكن كام يهتم.

قال الطبيب العسكري الذي لحق به وهو يخرج من مبنى سكن المُجمعين: «لقد ألقيتَ خطابًا جيدًا. لستُ واثقًا أنهم فهموا أي شيء منه، لكنه مُلهم للغاية».

اتجها إلى المجمع الرئيسي على بعد نصف ميل تقريبًا. تتوفر عربة جولف لنقله، لكن كام يفضل المشي.

قال كام للطبيب: «لقد فهم معظمهم».

ارتدى الطبيب نظارة شمسية لحماية عينيه من أشعة الشمس الحارقة في هاواي، وقال: «نعم، أعتقد أنك تعرف».

بدا واضحًا أن الطبيب بيتيجرو يستاء من وجود كام هنا. حسنًا. فليستأَ منه! إن أوامر الرجل واضحة؛ عليه أن يتعامل مع كام كما لو أنه ضابطه الأعلى. استياؤه مزعج، لكنه ليس عقبة. سيفعل كام ما يجب عليه فعله هنا.

قال الطبيب فيما يسلكان الطريق المؤدي إلى القصر، الذي ما زال مركزًا للعمليات: «بدت الإناث أكثر انتباهًا».

صحح كام: «الفتيات».

قد ينظر الطبيب إليهم كحيوانات، لكن كام لن يسمح لهذه العقلية بالسيطرة على الطريقة التي يتحدث بها عنهم. يوجد عدد أقل من

الفتيات بين المُجَمَّعين، مما يعكس تحيز المواطنة الاستباقية في إنشاء هذا الجيش النموذجي. يتعاطف كام مع الفتيات أكثر من تعاطفه مع الفتيان. رؤيتهن تكاد تجعله يبكي في كل مرة. يجب أن يُذكِّر نفسه أن الأمر كان يمكن أن يصبح أسوأ. كان بإمكان روبرتا أن تجعلهم جميعًا بلا جنس. توقف كام عن السير في منتصف الطريق بين مبنى إقامة المُجَمَّعين والقصر. ارتفع قصب طويل وخيزران خلفه، مما يخفي مبنى المُجَمَّعين عن الأنظار. توجد أمامه نباتات القلقاس، على حافة المنحدرات؛ حتى من هنا يمكنه سماع صوت الأمواج المتلاطمة. كانت مولوكاي يومًا مستعمرة للمصابين بالجذام، ومعزولة قدر الإمكان. سيسعد العالم بجعل هذه مستعمرة للمُجَمَّعين، ولن يفكر في الأمر مرة أخرى. لا يستطيع الناس تحمل فكرة قتلهم، لكنهم يريدون حقًّا التخلص من المُجَمَّعين. لن يحدث هذا في عهد كام.

نفد صبر الطبيب وهو يراقب لحظة تأمل كام، فسأله: «هل تخطط لنزهة خلوية؟».

حدق إليه كام كأنما لم يسمعه جيدًا، وقال: «أريدك أن تحدد موعدًا مع كل مُجمَّع على حدة».

- موعد؟ لستَ جادًّا بالتأكيد. مع كل الاحترام الواجب، إن لهم القدرة المعرفية للشمبانزي الآن.

- ولو أردنا تغيير ذلك، يجب أن نبدأ في التعامل معهم كبشر، وليس كحشد من القردة.

ظل الطبيب مترددًا.

اقترح كام، وهو يقرأ ما يريد الرجل إخفاءه: «أو ربما لا تريد أن يتغير ذلك. ربما من الأسهل بالنسبة إليك رؤيتهم أقل من البشر».

شعر الرجل بالانزعاج، فقال: «اعفني من التحليل النفسي».

ابتسم كام. يقترب الطبيب من الأربعين، ويتلقى أوامر من شاب يبلغ نصف عمره. سمح كام لنفسه بلحظة -لحظة واحدة فحسب- من التفاخر بموقفه.

كرر كام، قبل أن يواصل سيره نحو القصر: «موعد مع كل منهم، بدايةً من التاسعة من صباح الغد. وستحضر معي كل مقابلة».

ثم ابتعد، مدركًا أن الطبيب لا يملك سوى تنفيذ أمره.

***

يعيش كام بالقصر في الجناح نفسه الذي أفاق فيه لأول مرة. فحتى مع كل الذكريات السلبية، يعتبره -وهكذا فعل دائمًا- بيته.

وجد أونا في الخلف، جالسة على مقعد في الفناء الواسع المطل على البحر؛ المكان نفسه الذي نظر فيه يومًا إلى النجوم مع الفتاة التي لا يستطيع تذكرها. إنه يحاول تعلُّم كيفية التعامل مع غياب الذاكرة. إنه حزن يسبب فراغًا؛ يملؤه وجود أونا.

تقدم بهدوء من خلفها. لقد انتهت للتو من ضبط إحدى قيثاراته وبدأت تعزف عليها. إنها تعزف جيدًا، لكنها لا تعزف للآخرين أبدًا، وبالتأكيد ليس له. تعزف فقط عندما تعتقد أن لا أحد يستمع. انتظر على بعد بضعة أمتار خلفها، وأخذ يستمع حتى شعرت بوجوده، فتوقفت عن العزف، وقالت له: «الرطوبة هنا تشوه الخشب. لا يمكن الحصول على آلة واحدة نغماتها صحيحة».

- بدا الأمر جيدًا بالنسبة إليَّ.

قالت متذمرة: «إذن، لا بد أنهم أخذوا أذنيك من متجر التخفيضات».

منحها ضحكة هادئة روتينية، وجلس بجوارها، قائلًا: «كان علينا إحضار إحدى قيثاراتك معنا، لنريهم كيف تفعلين ذلك».

قالت بفخر: «أثق أن الكثير من قيثاراتي موجودة على الجزر. لقد عبر الناس المحيطات للحصول على آلاتي الموسيقية». وأخيرًا تأملته لحظة، وأضافت: «لقد تحدثت إلى المُجَمَّعين اليوم، أليس كذلك؟ كيف سارت الأمور؟».

قال لها كام: «حسنًا، بلى فعلت. لا مفاجآت»، ثم أضاف: «تمنيت لو أنك أتيتِ».

بدا الهواء دافئًا للغاية، لدرجة لا تسمح بالإحساس بالبرودة، لكنها حركت كتفيها وظهرها وكأنها تشعر بالبرد، وقالت: «لا يحق لي الوجود هناك. كنت سأصبح مجرد شيء آخر يربكهم، وأنت تعلم ذلك».

ذكَّرها: «إننا هنا لنفعل هذا معًا».

نظرت إلى عينيه مباشرة، قائلة: «دلني إذن على شيء لأفعله. أنا لست حلية ترتديها على ذراعك».

تنهد كام، وسألها: «كيف لي أن أدلك على شيء لتفعليه، عندما لا أعرف حقًّا أنا نفسي ما يجب فعله؟».

فكرت أونا في ذلك، ثم أعطت القيثارة ضربة حاسمة واحدة، أصدرت رنينًا هادئًا، وقالت: «أقترح أن تعمل على لحنك، وسأجد أنا تناغمي الخاص».

قال كام: «إنها التركيبة المثالية».

ثم مد يده خلف رأسها، ساحبًا ربطة شعرها، ليتركه منسدلًا.

قالت: «توقف! إنك تعلم إنني أكره ذلك!».

لكنه يعرف أنها لا تكره ذلك، ويدرك أنها ارتدت ربطة الشعر ليفكها فحسب، فابتسم، وقال مازحًا: «أخبريني كم تكرهيني».

أجابته، وهي تكتم ابتسامتها بوضوح: «أكثر من أي شيء في العالم».

- أخبريني كم تندمين لأنك تزوجتِني.

حدقت إليه، لكن كل هذا مجرد تظاهر، وأوضحت: «لم أتزوجك، بل تزوجت يديك».

- أثق في وجود منشار في مكان ما هنا، لو أنهما الأجزاء الوحيدة التي تريدينها مني.

وضعت القيثارة على العشب، وصاحت به: «اصمت فحسب، أيها المُجمَّع الغبي»، ثم أمسكت به وقبَّلته، وهي تعض شفته السفلى بما يكفي لتؤلمه. إنها لا تُقبِّله أبدًا دون إهانته أولًا. لقد أصبح يستمتع بذلك تقريبًا بقدر ما يستمتع بقبلاتها المصحوبة بقليل من الألم.

وعندما أفلتته، قالت شيئًا لم تقله من قبل.

- لا أعرف إلى من تنتمي الشفتان اللتان أقبلهما، لكني بدأت أحبهما.

ثم دفعته إلى الخلف بقوة على مقعده، حتى كاد يسقط على ظهره، ومررت إليه القيثارة، مضيفة بلطف: «حان دورك. اعزف شيئًا ما. سيريحك ذلك. ربما يمنح عقلك استراحة من المُجمَّعين».

أمسك القيثارة، التي أدفأتها شمس منتصف النهار، وسألها: «أتريدين أن أعزف شيئًا من موسيقى ويل؟».

نظرت إلى اليدين اللتين كانتا ذات يوم لخطيبها، ويل تاشين، وقالت بلطف: «لا. اعزف شيئًا من موسيقاك أنت».

وهكذا أبدع لأونا لحنًا جديدًا تمامًا من وحي هذا اليوم العشوائي متعدد الأنسجة. لحنًا يغذي ويؤكد على الرابطة المتنامية بينهما، دون أن ينسيهما النغمة المشؤومة للمهمة التي تنتظرهما.

***

00039 - 3

اصطُحِبَ المُجمَّع إلى غرفة في ممر متعرج يعرف أنه ليس متعرجًا مطلقًا، بل مستقيم. إنه عقله فحسب الذي يرى الأمر غير ذلك. لقد أدرك الآن. يعلم أن الجدران التي تبدو ملتوية ليست كذلك، وأن النوافذ ذات الزوايا الغريبة هي في الواقع مستطيلات مثالية. وكلما أخبر عقله بذلك، بدأ يقبله أكثر. حتى عضلاته تتعلم التعاون عندما يمشي. إن كامو كومبري محق. سيأتي التكامل، لو اجتهد لتحقيقه.

أخذوه إلى غرفة، وفي تلك الغرفة جلس كامو والطبيب، الذي لم يتحدث إليه مباشرة من قبل، يتحدث فقط بالقرب منه، أو عنه. وكأنه غير موجود. فيما ينظر الطبيب إلى جهازه اللوحي، وينقر على الملاحظات، نهض كامو وابتسم بحرارة، وهو يمد يده لتحيته. مد 00039 يده لمصافحته، لكنه أدرك أنه مد اليد الخطأ.

قال: «علامة حمراء. تلعثم. طباعة غير سليمة».

ظل كامو مبتسمًا، ومنتظرًا مد اليد الصحيحة، وهو ما فعله المُجمَّع. صافح كام 00039، قائلًا دون ذرة انتقاد: «الكلمة التي تبحث عنها هي «خطأ»».

كرر المُجمَّع: «خطأ».

لقد اكتسب الكلمة وشعر بالفخر لذلك. إنها كلمة جيدة، ومهمة. سيتذكرها.

قال كامو: «سترتكب الكثير من الأخطاء. ولا بأس بذلك».

أومأ 00039 برأسه، وقال مشيرًا إلى رأسه: «المنشار. روبيك. لف.. لف.. لف».

قال كامو كومبري: «أها! إنني أعرف هذا جيدًا! التجميع يشبه لغز بازل رباعي الأبعاد!».

جلس مشيرًا إلى المُجمَّع ليجلس بدوره. واصل الطبيب تدوين الملاحظات، وأخذ ينظر إلى أعلى من حين إلى آخر، راضيًا باستبعاده من المحادثة.

ظل المُجمَّع لا يعرف ما يدور حوله الأمر، فقال الشيء الوحيد الذي استخلصه: «لغز؟ حل لي هذا اللغز!».

استغرق كامو لحظة لفك شفرة عبارته، ثم فهمها أخيرًا: «آه! علامة استفهام كبيرة على صدرك، أليس كذلك؟ إنك تسألني لماذا. لماذا أنت هنا».

أراد 00039 أن يومئ إيجابًا، لكنه أدرك بعد ذلك أنه هز رأسه، فلم يفهم كامو ما يعنيه.

- أنت هنا حتى نتعارف. ولكي أساعدك في أي شيء تواجه مشكلة بشأنه.

أخذ 00039 نفسًا عميقًا مرتجفًا. أيوجد أي شيء لا يواجه مشكلة بشأنه؟ إنها ليست مجرد مسألة من أين نبدأ، لكن كيف نعبر عنها. أولى مشكلاته هي الأعداء. لقد أزعجه الأعداء منذ أن لاحظهم. رفع يديه حتى يتمكن كامو والطبيب من رؤية الأعداء بنفسيهما.

قال، ناقلًا نظراته من يد إلى أخرى ومكررًا ذلك: «يسار - يمين». رفع يده اليسرى السيينا الشاحبة، شارحًا: «هذه»، ثم رفع يده الأخرى الآمبر المائلة إلى البني، مضيفًا: «تكره هذه».

نظر الطبيب إلى كام، الذي أومأ برأسه متفهمًا، وقال: «حسنًا. إحدى يديك آمبر، وجزء من دماغك عنصري. في الواقع، يجب أن يتعلم هذا الجزء من دماغك التعامل مع الأمر».

هز 00039 رأسه؛ إنه ليس واثقًا تمامًا من إمكانية حدوث ذلك، لكنه مستعد لترك كامو بأخذه في الرحلة.

قال كامو: «فكر في الأمر بهذه الطريقة: يوجد مئة رجل داخل غواصة. يأتون من أماكن مختلفة، وخلفيات مختلفة. بعضهم مهذب، وبعضهم حقير، لكن يجب عليهم جميعًا العمل معًا وإلا ستغرق الغواصة. أنت الغواصة. سيتعلم الطاقم العمل معًا، بل والثقة ببعضهم، لأنهم مضطرون إلى ذلك».

هز 00039 رأسه. الغواصة الوحيدة التي تبادرت إلى ذهنه صفراء، لكنه يعرف أن هذا لا يهم. إنها الوظيفة التي يتحدث عنها كامو كومبري، وليس الشكل.

قال كامو: «يوجد سبب آخر لوجودك هنا. في رأيي، أعتقد أنه الأهم»، ثم مال إلى الأمام، مع إعطاء المزيد من الثقل لما يوشك على قوله: «أنت هنا لتجد اسمك».

لم يستطع المُجمَّع استيعاب الفكرة تمامًا. تقول العلامة الموجودة على كعبه 00039. هذا هو التعريف الوحيد الذي يعرفه. إن مفهوم كونه أي شيء آخر يجعل أجزاءً مختلفة من دماغه تتهيج وتشعر بالحكة.

قال كامو: «أراهن على وجود الكثير من الأسماء المتداولة في مجتمعك الداخلي».

هذا شيء لم يفكر فيه 00039 من قبل، لكن الآن بعد اقتراحه عليه، بدأت الأسماء تتساقط من فمه: «شون، إيثان، أرماندو، رالفي، ديفون، أحمد، جويل...».

نظر الطبيب إلى أعلى، وقال رافعًا حاجبيه: «رائع!».

وضع كامو صفحتين أمام المُجمِّع. في هاتين الصفحتين توجد قوائم أسماء، وقال: «هؤلاء هم الصبية الذين فُككوا لصنعكم جميعًا. ابحث عن اسم أول وآخر أوسط، ثم اسم أخير يناسبك حقًّا. أعد تجميع اسمك من هذه القائمة، وسيصبح هذا أنت».

عقد 00039 حاجبيه وهو يركز انتباهه على القائمة، مما جعل مواضع التحام وجهه تؤلمه. إنه يعرف أن هذا مهم. أول شيء مهم طُلِب منه عمله منذ تجميعه. عدد من الأسماء الموجودة في القائمة مشطوبة. لا بد أنها أسماء أخذها مجمعون آخرون. لكن أكثر من نصفها ما زال باقيًا. وفيما ينظر إلى القائمة، قفزت أمامه بعض الأسماء وكأنها تخرج من الصفحة. فمع اسم كيتون، استعاد ذكرى خاطفة في غرفة زرقاء مغطاة بالملصقات وملأى بملابس متسخة نادرًا ما تصل إلى سلة الغسيل. ومع ميجيل، رأى ذكرى عيد الميلاد. وكاد لقب شيلتون يجعله يقف ويصرخ: «هنا!».

أشار إلى تلك الأسماء الثلاثة. كتبها الطبيب على جهازه اللوحي، وشطبها كامو من القائمة. لا أحد سيختار تلك الأسماء سواه.

قال كامو، وهو يمد يده إليه: «إنه لمن دواعي سروري مقابلتك يا كيتون ميجيل شيلتون»، وصافحه كيتون بشكل صحيح من المرة الأولى.

عاد كيتون إلى السكن وقد انتابه إحساس بالإنجاز. وفي وقت لاحق من تلك الليلة، تلقى هدية في صندوق مكتوب عليه «كيتون م. شيلتون». إنها لعبة بلاستيكية من عهد ما قبل الحرب. «مكعب روبيك» مُهدى من كامو كومبري.

***

4 - كام

حصل المُجَمَّعون جميعًا على أسماء. توجد في القائمة أسماء أكثر بكثير من عدد المُجمَّعين، لذا لم ينصرف أحد دون خيار. لم ينصرف أحد وهو يشعر بالإهانة.

عمل كام على تذكر كل من أسمائهم ووجوههم. في البداية، صَعُبَ التمييز بينهم، فجميعهم لهم رؤوس شبه محلوقة بدأ شعرها ينمو، وعدم التماثل جعل الأمر أصعب. العقل البشري مصمم للتعرف على الوجوه، وليس على الفسيفساء، والطبيعة المختلطة لملامحهم لا تترك للعقل الكثير ليستوعبه. لم يبدأ كام في التمييز بينهم إلا عندما بدأ يركز انتباهه على الندوب. كل مُجَمَّع يملك نمطًا فرديًّا خاصًّا لندوبه. سرعان ما عرف العديد منهم بالاسم، لكن ليس جميعهم. يوجد منهم من يحافظون على مسافة، ويختبئون في الظل كلما جاء. اختار كام تجاهل الأمر. لو منحهم مساحة ووقتًا كافيين، فسيخرجون من قوقعتهم عندما يصبحون مستعدين.

لقد وجدت أونا التناغم الذي تريده. وهي الآن تحمل كاميرا، وتوثق تقدم المستعمرة.

قالت لكام: «يجب أن أختار صوري بحكمة. يجب عليَّ إظهار المُجَمَّعين كمنتصرين وضحايا مأساة في الوقت نفسه. يجب على الناس أن ينظروا إليهم كبشر، لكن عليهم دائمًا أن يتذكروا مدى سوء فكرة صنعهم».

عِلِم كام أن ما تقوله صحيح، لكنه ظل يؤثر عليه من منطلق شخصي للغاية. قال لها: «أترين أن صنعي فكرة سيئة؟».

قالت أونا وهي تلوح بيدها رافضة: «أرجوك! لماذا يجب أن يدور الأمر دائمًا حولك؟»، لكنها لم تلبث أن فكرت في الأمر بجدية أكبر، وأضافت وهي تلثم وجنته بقبلة: «العالم مملوء بالأفكار السيئة التي تتحول إلى أشياء رائعة».

***

5 - كيتون

ارتفعت الروح المعنوية في جناح المُجَمَّعين بعد يوم التسمية. أصبح العراك بينهم أقل، وزادت الضحكات. ظهرت إشارات إلى حدوث تواصل حقيقي بين المُجَمَّعين. سعِد كيتون بمشاهدة ذلك، مستمتعًا بالتغيير. إن الإحساس بالمستقبل أكثر إقناعًا من حاضر لا نهاية له.

لقد شاهد صبيين يحاولان لعب لعبة «الداما»[1]. مرت خمس دقائق كاملة من اللعب، قبل أن يقلب أحدهما اللوحة غاضبًا، فاضطر الحرس إلى التفريق بينهما. خمس دقائق! هذه بداية رائعة. غدًا ربما تصبح المدة عشر دقائق!

ثم ضرب أحدهم كيتون بقوة على كتفه. استدار ليرى مُجَمَّعًا بعينين غائرتين غير متطابقتين. ضرب الصبي كيتون على ذراعه مرى أخرى، قائلًا: «ديرك.. ديرك مولن. ديرك زاكاري مولن».

واصل ضربه حتى قال كيتون: «ديرك.. نعم، فهمت».

قال ديرك: «أنت وأنا.. جزء، وجزء»، ثم رفع يده اليمنى. إنها نفس درجة اللون البني ليد كيتون اليسرى، فأدرك كيتون أن هاتين اليدين جاءتا من المُفكك نفسه. إنهما زوجان متطابقان.

فجأة، أمسك ديرك يد كيتون الآمبر. بدا الأمر غريبًا، لكنه مألوف في الوقت نفسه عندما أمسكت هاتان اليدان بعضهما.

---

(1) «الداما»: لعبة تشبه الشطرنج. لكنها لها أسلوب لعب مختلف، وخطط مختلفة. «المترجم».

قال ديرك: «شقيق نفسي.. يد يدي».

لم يترك ديرك يده. وأخيرًا كرر كيتون: «يد يدي»، فترك ديرك قبضته راضيًا.

قال ديرك: «أنت وأنا.. لا نأخذ أي أسرى»، ثم ضحك مضيفًا: «الشرطة لا تملك أي أدلة».

بدأ الحرس يحشدون المُجَمَّعين في الكافيتريا لتناول العشاء، وانسحب كيتون مبتعدًا عن ديرك زاكاري مولن، واختار الجلوس حول طاولة مزدحمة للتأكد من أن ديرك لا يستطيع الانضمام إليه لو أراد.

أكل كيتون، لكن بلا شهية، لأن كل ما يمكنه التفكير فيه هو ديرك وتلك العينان. معظم أعين المُجَمَّعين غير متطابقة، لكن الأمر أكثر من ذلك بالنسبة إلى ديرك. رأى كيتون شيئًا في عيني ديرك، وهذا يخيفه. لأن الشيء الذي رآه ... لا شيء.

***

6 - كام

قرر كام السماح للمُجَمَّعين بالخروج.

ليس خارج سياج المكان طبعًا، بل خارج جناح إقامتهم فحسب. منح بعض المهتمين منهم وظائف، حتى يزداد احترامهم لذاتهم.

أبدى الطبيب بيتيجرو ملاحظة في هذا الشأن: «العمل الشاق على الأرجح هو كل ما يمكنهم أن يأملوه».

تجاهله كام. في أوقات فراغهم، يعطي كام مجموعة منهم كرات سلة، ويتركهم يلعبون في الملعب المجاور للقصر الرئيسي. تذكر كام أن المفككين خضعوا للمراقبة في مخيمات الحصاد حتى يمكن تحديد أسعار مجموعاتهم العضلية، لذا تأكد من عدم وجود كاميرات فيديو تراقب المُجَمَّعين الآن وهم يلعبون.

ما زال كام يواظب على الركض في العديد من مسارات مجمع مولوكاي. ويشجع المُجَمَّعين على الركض معه، مانحًا إياهم القدوة، وهو يقول لهم: «الجسم السليم يجلب عقلًا سليمًا. علموا عضلاتكم العمل معًا، وسوف يتبعها باقي كيانكم».

ركض البعض معه، وسار آخرون على الطريق ببطء، غير قادرين على إقناع أنفسهم المعاد تشكيلها بالانخراط في سياق الجري المعقد. والبعض لم ينضموا إليه على الإطلاق. ولم يجبرهم كام، لأن لكل شخص معدلًا زمنيًّا مختلفًا.

سأل الطبيب بيتيجرو، معتقدًا بوضوح أن كام أحمق، لأنه لم يبقهم محبوسين في الجناح: «هل من الحكمة حقًّا منحهم كل هذا القدر من الحرية؟».

لو أن الأمر بيد هذا الطبيب «الماهر»، لتحول هؤلاء المُجَمَّعون إلى عجزة، غير قادرين على التصرف خارج جناح إقامتهم.

قال له كام: «سيحصلون جميعًا على حريتهم في النهاية. يجب أن يتعلموا معناها ويشعروا بها الآن».

إنه يعرف أن الطبيب يرسل التقارير إلى رؤسائهم. لم يملك كام إلا أن يأمل أن يتلقوا تقارير بيتيجرو بحذر، وأن يصبح التقدم الذي يحرزه هو مع المُجَمَّعين دليلًا على فاعلية أسلوبه.

لكن ماذا لو أرادوا ما يريده الطبيب؟ ماذا لو لم يهتموا بإعادة التأهيل؟ ماذا لو أنهم يرغبون ببساطة في إخفاء كل هؤلاء المُجَمَّعين كالأتربة تحت السجادة، حتى ينسى العالم أمرهم؟

يجب أن يعتقد أنه لو تمكن من إثبات قيمتهم -وإنسانيتهم- فسوف يرى رؤساؤه أن حبسهم بعيدًا عن العالم خطأ.

بعد جولة اليوم، وجد كام أونا في غرفة المعيشة الكبرى في القصر. إنه مكان به العديد من الذكريات. يحوي المرآة التي رأى نفسه فيها لأول مرة، وجهاز الكمبيوتر المكتبي الكبير الذي استخدمته روبرتا لإعادة تأهيله من خلال الصور والتمارين العقلية المعذِّبة.

اليوم، فتحت أونا أيضًا صورًا على واجهة الكمبيوتر؛ الصور التي التقطتها. وأخذت تفحصها باهتمام.

قالت له: «تعال. أريد أن أريك شيئًا».

امتلأ سطح المكتب بصور المُجَمَّعين الرقمية، لكنها حركت يديها على الشاشة، ومررت معظم الصور جانبًا، لتركز اهتمامها على ثلاث صور. إنها ليست أفضل صورها؛ فهي رديئة الجودة والوضوح، كما لو أنها قد التقطت من مسافة بعيدة، ثم كُبِّرَت. كلها صور للشخص نفسه.

- هذا المُجَمَّع. هل تعرفه؟

شعر كام ببعض الحرج في الاعتراف بأنه لا يعرفه. رغم أنه بذل جهودًا كبيرة لمعاملة كل مُجَمَّع كشخص له كيان متفرد، فإن بعضهم يسقط من خلال الشقوق، أو بالأحرى، يختبئون في الشقوق. هذا واحد منهم. ربما يظل بعيدًا عن الأنظار في وجود كام، الذي يعرف أنه لا بد قد اجتمع به، لكن ربما هو أحد الصامتين الذين تجنبوا النظر إلى عيني كام مباشرة.

قالت أونا: «ألقِ نظرة من كثب»، ثم كبرت الصورة المركزية. له يد آمبر وعينان غير متطابقتين بشكل سيئ؛ تبدوان كما لو أنهما تحدقان إلى العدم.

- إنه يختفي عندما يراني، لذا فهذه هي الصور الوحيدة التي يظهر بها.

ثم نقرت بأظفارها على الشاشة الزجاجية، مضيفة: «شيء ما به يزعجني».

استطاع كام أن يرى السبب. يوجد فراغ به... فراغ فريد من نوعه. النظر إليه يشبه النظر إلى جوال فارغ.

بدأ كام يقول: «يبدو كما لو أن...»، لكنه سرعان ما طرد الفكرة من رأسه قبل أن تتاح لها الفرصة للظهور. وقال بدلًا من ذلك: «ممم... يبدو أنه يواجه صعوبة في التكامل».

حدجته أونا بنظرة عميقة ومتفحصة. يكره كام ذلك.

- الأمر أكبر من ذلك، وأنت تعلم هذا جيدًا.

قال كام، بصوت مرتفع قليلًا: «كل ما أعرفه هو أن كل مُجَمَّع يجب منحه الوقت والفرصة ليصبح نفسه».

سألته أونا: «ماذا لو لم يصبحوا أحدًا على الإطلاق؟ ليست كل مجموعة من الأجزاء تشكل كُلًّا».

الإغلاق! طرأت الفكرة على ذهن كام، كما حدث في الأيام الخوالي. عندما تظهر فكرة خطِرة للغاية، اعتاد إسقاط جدار حماية داخل دماغه للحفاظ على ذاته في مواجهتها. ومع ذلك، لم يترك الكلمة تفلت من بين شفتيه، بل أغلق فمه حتى يتجاوز ما يدفعه إلى قولها، وقال بصوت هامس يكاد يصبح تهديدًا: «احذري يا أونا...».

لكن أونا ليست من النوع الذي يتراجع. ليس حتى في حقل ألغام.

سألته، مواصلة إلحاحها: «لماذا؟ هل تعتقد أن مُجَمَّعًا واحدًا بلا روح يعني أنكم جميعًا كذلك؟».

هذه المرة ترك كام عقله يدخل في حالة الإغلاق، بدلًا من مواجهة السؤال.

***

7 - كيتون

أخذ كيتون يدير «مكعب روبيك» مرارًا وتكرارًا، دون أن يبدو أنه يقترب من حله أبدًا. حصل على صف واحد من الألوان المتطابقة، لكن محاولة الحصول على الصف التالي تفسد الصف الأول. قاوم إحباطه وحاول مرة أخرى.

قال له الحارس: «كما تعلم، توجد خدعة. يمكنني أن أريها لك».

مد يده، لكن كيتون أبعد المكعب عن متناوله، وقال: «لا. لا خدعة. سأصل إلى الحل بنفسي».

قال الحارس: «حسنًا. افعل ما تريد».

حاول كيتون توجيه كل انتباهه إلى اللعبة، لكن ذهنه تشتت لا إراديًّا بسبب المُجَمَّع 00047، المدعو ديرك.

إن ديرك يدبر خططًا. كيتون يعرف ذلك، لكنه لا يستطيع أن يعرف ماهية تلك الخطط. هذا المُجَمَّع ليس مظلمًا فحسب؛ إنه معتم وكحجر السبج[1]؛ متعرج وحاد. لفترة، أخذ كيتون يراقب ديرك وهو يحاول كسب ود المُجَمَّعين الآخرين، لكن لم يرغب أحد في التقرب إليه. لقد نبذته المجموعة. كلهم يشعرون بوجود شيء خاطئ بشأنه، رغم أن الجميع لم يصرِّح بذلك. الآن يتسكع ديرك ويختبئ ويأكل وينام. ويراقب الآخرين من خلال تلك العينين اللتين تبدوان كأنما لا أحد يعيش خلفهما.

---

(1) السبج: حجر كريم داكن يتكوَّن من الحمم البركانية، ولونه أسود وأحيانًا أخضر. «المترجم».

ما زال معظم المُجَمَّعين يشيرون إلى ديرك بتسميته الرقمية. قالت إحدى المُجَمَّعات لكيتون: «إنه سيئ، ذلك السابع والأربعون، الجميع يبتعد عنه وينبذه».

قال لها كيتون: «لقد سمعت ذلك».

ورغم أن كيتون يريد أن يحافظ على مسافة عشرة أقدام بينه وبين ديرك، فإنه دائمًا ما يختاره ليتحدث إليه، ربما لأن كيتون لا يعامله بالتجاهل نفسه والرفض الذي يعامله به الآخرون.

قال ديرك وهو يصدر صوتًا أشبه بمحرك سيارة يدور: «أنت وأنا! لقد وُلدنا لنصبح وحوشًا يا يد يدي».

- نعم، بالتأكيد. أيًّا كان ما تقوله.

لكن هذا الرد لم يكفِ بالنسبة إلى ديرك، الذي ابتسم بخواء جعله مرعبًا أكثر من هيكل عظمي مبتسم، وهو يقبض على ذراع كيتون، ويغرز أظفاره فيها، قائلًا: «أنت وأنا، أوزوالد، وروبي، وبوث، ثم أُطلق سراحنا بكفالة. الشرطة لا تملك أي أدلة.. بوتش وصندانس[1]».

تملص كيتون منه. للحظة ظن أنه أخذ يد ديرك معه، لأنه ظل يشعر بأطراف الأصابع تمسك ذراعه لفترة طويلة بعد انصرافه.

تُترك أبواب جناح إقامتهم مفتوحة في أثناء النهار بناءً على أوامر كامو كومبري. لا يريدهم أن يشعروا أنهم في سجن. تحدث الطبيب عن ذلك، لكنه يتحدث عن كل شيء. هدأ عند وضع حرس إضافيين على الأبواب.

---

(1) بوتش وصنداس: شخصيتان من الفيلم الأمريكي (Butch Cassidy and the Sundance Kid)؛ إنتاج عام 1969. بوتش وصندانس يتزعمان عصابة، حيث يضع بوتش الخطط، ويتولى صندانس التنفيذ بمهارة. «المترجم».

المجمع يحيطه سياج محكم لعزله عن بقية الجزيرة. في معظم الأماكن، يصبح السياج مزدوجًا مع وجود منطقة محرمة يبلغ طولها عشرين قدمًا بين السياجين، لكن ليس في كل مكان. توجد بقعة واحدة ينفصل فيها مضمار الركض عن الطريق خارجي بسياج واحد فقط. هذا هو المكان الذي يتجمع فيه السكان المحليون أحيانًا لإلقاء نظرة على المُجَمَّعين الذين سمعوا عنهم، لكنهم لم يروهم.

يحدث هذا في الاتجاهين. يريد المُجَمَّعون اختلاس النظر إلى الخارج، بقدر ما يريد السكان المحليون النظر إلى الداخل.

في هذا اليوم، سلك كيتون المسار المؤدي إلى السياج الفردي، قائلًا لنفسه إنه ذاهب للركض فقط، لكنه عرف أن هذا عذر. توجد سيارات قليلة على الطريق؛ متوقفة هناك على الجانب الآخر من السياج. انتظر القليل من سكان الجزيرة ظهور أحد المُجَمَّعين. بعضهم من سكان هاواي الأصليين، لكن الكثيرين منهم مهاجرون من أماكن اختاروا الابتعاد عنها.

توقف كيتون عن الجري ليحصل على بعض الراحة، فاقتربت فتاة من هاواي -في السادسة أو السابعة عشرة من عمرها- بحذر من السياج.

قالت وكأنها تسأل، لا تلقي تحية: «مرحبًا؟».

قال كيتون: «مرحبًا. خائفة؟ لا خوف». ثم صحح حديثه: « أعني، لا تخافي».

- حسنًا...

لكنها بدت خائفة بعض الشيء على أي حال.

قال لها: «اسمي كيتون».

أجابته: «وأنا كيليانا».

أشار كيتون إلى وجهه، قائلًا: «قبيح. أليس كذلك؟».

لكن كيليانا هزت رأسها نفيًا، قائلة: «لا... غريب فحسب».

تبسم كيتون من قولها؛ يمكنه احتمال كونه غريبًا. وابتسامته جعلتها تبتسم.

وفجأة حجب شيء ما كلًّا منهما عن الآخر.

إنه ديرك الذي ظهر من العدم فجأة، وألقى بنفسه على السياج كالحيوان، وأمسكه بيديه. أجفلت كيليانا وقفزت متراجعة إلى الخلف.

صرخ ديرك في كيليانا بابتسامة شريرة: «**ليلة الحفلة الراقصة! ليلة الحفلة الراقصة.. المقعد الخلفي! سأجعلك تحبين ذلك! سأجعلك تحبين ذلك!**».

أصدرت كيليانا صيحة اشمئزاز، ثم نظرت إلى كيتون كما لو أن ديرك خطؤه بطريقة ما، ثم ابتعدت هاربة.

ناداها كيتون بيأس: «لا تذهبي! إنه هو، ليس أنا! أنا لست هو!».

لكن فات الأوان. التفت كيتون إلى ديرك، وانفجر في وجهه: «إنني أكرهك! أكرهك!».

لم يبدُ ديرك مكترثًا لثورته. رفع يده اليسرى فحسب، قائلًا: «أنا وأنت واحد، يا يد يدي».

اصطدمت الصخرة الأولى بالسياج بصوت مدوٍّ، فيما مرت الثانية، وأصابت ذراع كيتون.

استدار، ليرى صبية الجزيرة الآخرين قد تسلحوا ويرشقونهما بالحجارة، وهم يصرخون: «ابتعدا! أيها الوحشان النتنان!».

قال قائدهم: «سنفري لحومكما!»، فضحك الآخرون وبدؤوا يرددون مثله: «سنفري لحومكما! سنفري لحومكما!».

ركض ديرك أولًا، لكن كيتون تجمد في مكانه لحظة أطول، حتى اصطدمت صخرة بجبهته وأدرك أن لا فائدة من ذلك. سيواصلون إلقاء الحجارة ما دام سيظل هدفًا.

- سنفري لحومكما! سنفري لحومكما!

لذا استدار، مبتعدًا عن الطريق، واتجه إلى الشجيرات الكثيفة للهرب منهم. عزاؤه الوحيد هو أن كيليانا لم تُلقِ الحجارة معهم.

***

ينام المُجَمَّعون كالموتى. ربما لأنهم ذاقوا الموت. عندما يحلم كيتون، تكون أحلامه غالبًا عبارة عن ذكريات متنوعة، بل وأكثر تشتتًا من الأحلام العادية، لأن الذكريات تنتمي إلى عشرات الأشخاص المختلفين. لكن عندما يحلم بأشياء رآها بعد تجميعه، تبدو هذه الصور حادة تقريبًا كحياة اليقظة. يحلم بكيليانا. يمشي معها على أجمل شاطئ في مولوكاي، الذي يتصادف أنه جزء من مجمع المستعمرة. هل من الخطأ أن يحلم بها؟ يواصل الطبيب توقع انجذاب ذكور المُجَمَّعين إلى الفتيات الموجودات بينهم، كما لو أنهم من نوع خاص. في الطبيعة، حتى أكثر المخلوقات بشاعة تنجذب إلى بعضها. لكن المُجَمَّعين ليسوا نوعًا. تجد الفتيات الفتيان مخيفين ومنفرين للغاية، ويقابل ذلك اشمئزاز مماثل من جانب الفتيان. لن توجد عرائس لفرانكشتاين بين هذه المجموعة. يشك كيتون أن أي فتاة في العالم الخارجي لن ترغب في صحبته، لكن قواعد الأحلام مختلفة. كم هو محبط أن ينتشل من أعماق مثل هذا الحلم الجميل.

- شوشانك! شوشانك!

إنه ديرك. همس في أذن كيتون عن قرب، فلم تبدُ همسة مطلقًا.

- ابتعد!

لكن ديرك لم يدعه وشأنه، وكرر: «شوشانك! الآن! الآن!».

- ابتعد! لستُ صديقك!

أمسك ديرك يد كيتون الآمبر، وقال: «أنت وأنا، الآن يا يد يدي!».

أخيرًا، نهض كيتون جالسًا في فراشه، وأشار ديرك إلى باب الجناح، مكررًا: «أنت وأنا، الآن!».

آخر ما يريده كيتون التورط في أي مشكلة تدور بذهن ديرك، لكن بطريقة ما أصبح راعيه.

يوجد حارسان في الخدمة في جناح المُجَمَّعين. واحدة للفتيات والآخر للفتيان. الحارس الذكر ليس في موقعه حاليًّا، ربما ذهب في دورية أمنية حول المكان. توجد كاميرات أمنية في كل مكان، لكن القليل منها يعمل. إنها بقايا العهد الذي بلغ نشاط المنشأة فيه أوجه. أما الآن، فنشاطها يقتصر على جناحين للأرواح المحرومة.

عند الباب -الذي يُغلَق دائمًا من الخارج- أخرج ديرك من جيبه بطاقة أمنية من برنامج المواطنة الاستباقية تحمل صورة رجل جاد المظهر.

قال ديرك: «من يجد شيئًا، يحتفظ به».

لا عجب في ذلك. إن المُجَمَّعين يجدون باستمرار أشياء متبقية من عهد المواطنة الاستباقية في هذا المكان. مرر ديرك البطاقة على القارئ الإلكتروني، ففُتِحَ الباب.

قال ديرك بالسطحية نفسها التي يقول بها كل شيء: «سمسم».

لكن أحاسيس كيتون ليست سطحية مطلقًا. أراد نصفه أن يستدير عائدًا إلى فراشه المريح، لكن لو فعل ذلك، ووقع ديرك في نوع من

المتاعب، فسيضرهم ذلك جميعًا، لذا تبع كيتون المُجَمَّع المفرغ من الروح إلى الليل المملوء بصراصير الحقل.

في ضوء القمر الفضي الساطع، قاده ديرك إلى السياج حيث قذفهم السكان المحليون بالحجارة. السياج مرتفع ومحاط بعدة صفوف من الأسلاك الشائكة المغطاة بالمهدئات. بوخزة واحدة تفقد وعيك وتسقط، وتهبط بقوة كافية لكسر عظامك، وربما عنقك. بالنسبة إلى مُجَمَّع ما زال في مرحلة التكامل، لن يفاجأ لو تحطما إلى عشرات الأجزاء كمكعبات الليجو. الفكرة جعلته يشعر بالغثيان.

قال كيتون: «لا جدوى. لا يمكن الخروج. لا جدوى»، ثم أمسك ذراع ديرك، مضيفًا: «عد الآن. لقد تأخر الوقت. النوم أفضل لك من هذا».

لكن ديرك تملص من قبضته وسار مقتربًا أكثر من السياج.. إلى بقعة بها ثقب في حلقة السلك الحديدي؛ ثقب كبير بما يكفي للتسلل من خلاله. من الواضح أن السلك قد قُطع باستخدام أداة قص المعادن، وربما من الخارج. لقد سمع ذات مرة حرسًا يشكون من تسلل السكان المحليين إلى المكان، نظرًا إلى وجود بعض أفضل شواطئ الجزيرة في المجمع. نادرًا ما فعلوا ذلك في أيام المواطنة الاستباقية، لأن حرسها اعتادوا إطلاق النار على المتعدين بمجرد رؤيتهم. لكن حرس كام مسلحون جميعًا بالمهدئات، التي تمثل ترهيبًا أقل، لو أنك لست هاربًا من التفكيك. لا بد أن ديرك وجد هذا الثقب في اليوم السابق، وأخفاه. الآن، لا يوجد حاجز بينهم وبين العالم الخارجي. شعر كيتون أن قلبه بدأ ينبض بشدة في صدره، وخشيَ أن يغادر جسده.

قال كيتون: «لا! ليس هناك. ليس بعد. لست مستعدًّا. لا أحد منا مستعد». قال ذلك، رغم أنه يعرف أن هذا ليس صحيحًا تمامًا. قد يكون بعضهم مستعدًّا. إنه يشعر بالتأكيد أنه مستعد. لكن ديرك ليس كذلك،

وشك كيتون أنه لن يصبح مستعدًّا أبدًا. ربما لهذا، يشعر ديرك بالحاجة إلى الهرب.

نظر إليه ديرك بفضول بارد، وقال: «أنت وأنا؟ فرانك وجيسي؟ الشرطة لا تملك دليلًا؟».

أصر كيتون: «لا!».

لا يستطيع أن ينكر وجود الكثير من أجزاء الدماغ المتمردة التي ترى ثقبًا في السياج كفرصة، لكن إرادته بدأت تتماسك. الغواصات؛ يجب أن تعمل معًا لصالح الجميع، والآن، الإبحار عائدًا إلى الميناء يعتبر أفضل استراتيجية.

- ارجع الآن. نم، وانسَ هذا.

هز ديرك كتفيه، وقال: «ستخسر»، ثم ضرب رأس كيتون بحجر أخفاه في ملابسه، فغاب عن الوعي.

***

8 - كام

نغمة رنين هاتف كام فريدة من نوعها. لقد صممها بنفسه. تجمع بين بداية مقطوعة «ليلة موسيقية صغيرة» لموتسارت، متراكبة على أغنية لفرقة «البيتلز»، متراكبة على مقطع ساكسفون من تأليف كولترين. كل هذا يمتزج معًا في مثالية أكبر بكثير مما يفعل هو نفسه، لكنه تذكير دائم في أسوأ لحظاته بأن المزيج يمكن أن يتألق أو يتعارض؛ كل هذا يتوقف على العناية التي نوليها إليه. ومع ذلك، في الساعة 2:19 صباحًا، لعن نغمة هاتفه. قِلة من الناس فحسب يعرفون رقمه الشخصي، ولا أحد من هؤلاء سيتصل به في هذا الوقت، إلا في حالة طارئة.

أراد تركه يرن مرة ثانية، لكن أونا نائمة، ولم يُرِد أن يوقظها هذا -أيًّا كان الأمر- لذلك رد على الهاتف، وهو يسرع إلى الحمام ويغلق الباب خلفه.

كما توقع، الأخبار ليست جيدة. توجد حالة هروب في جناح الفتيان.

قال الدكتور بيتيجرو بنبرة أشبه بالاتهام، كما يفعل دائمًا: «لقد هرب مُجمعان من الذكور».

فكرة وجود مُجَمَّعين هاربين على نهج الهاربين من التفكيك علقت في ذهن كام كلحم اليخنة الفاسد.

- اثنان؟ هل نعرف من هما؟

- رقم تسعة وثلاثون، ورقم سبعة وأربعون.

- الأسماء من فضلك.

- لا أعرف بالتحديد.

- وأين الحارس؟

- لديه مليون عذر. ألم أخبرك أننا بحاجة إلى المزيد من الحرس ليلًا؟

قاوم كام الرغبة في الرد. إن ما تقوله لي لن يحل المشكلة. وبقدر ما يكره كام الاعتراف بذلك، وجد بيتيجرو محقًّا. لكن قبل أن يسمح لهذا الأمر بهز ثقته، وضع خطة عمل. مشّط محيط المجمع وأمّنه. ثم اتجه إلى الداخل. أهم شيء ألا يغادرا المكان. لو فعلا، فقد يتفاقم الموقف إلى ما هو أبعد من أي أمل في السيطرة على الأضرار.

عندما خرج من الحمام، وجد أونا قد استيقظت فعلًا وارتدت ملابسها، وسألته: «هل تحققوا من وجود أي مركبات مفقودة؟». من الواضح أنها سمعت جانبه من المحادثة.

- سأتولى هذا الأمر؛ عودي إلى النوم.

- لا داعي للشهامة. أنت بحاجة إلى كل مساعدة ممكنة.

ألقت إليه سرواله، ثم ربطت شعرها إلى الخلف بشريط. وللمرة الأولى، قاوم الرغبة العابثة في فكه.

***

9 - كيليانا

امتد الحفل لوقت متأخر. هذا يحدث دائمًا. ربما كان ينبغي لها البقاء في منزل صديقتها، والنوم على الأريكة، لكن أثاث صديقتها دائمًا ما تفوح منه رائحة أشبه بالكلب المبلل. أو ربما هي رائحة شقيق صديقتها، التي تشبه رائحة الكلب المبلل. من الأفضل البقاء، لكن منزلها يبعد ثلاثة مبانٍ فقط. خمس دقائق سيرًا على الأقدام. ومدينة كاوناكاكاي آمنة للغاية. عادةً.

لا توجد ليالٍ صامتة في مولوكاي. ساعات الظلام ملأى بصراصير الحقل والجنادب. في بعض الأحيان يسود الصخب. في أثناء سيرها إلى المنزل، عائدة من الحفل، شعرت أنها مراقَبة. لكن هذا طبيعي طبعًا. كلما سارت بمفردها في الظلام، ينتابها الإحساس نفسه. إنها طبيعة بشرية. غريزة البقاء البدائية التي تطلق إنذارًا كاذبًا. هذا الإحساس اليوم ليس أقوى من أي وقت مضى، لذا تجاهلته كما تفعل دائمًا. لم يظهر شكل من الظلال إلا بعد أن أدارت المفتاح في قفل الباب. غطت يده فمها قبل أن تتمكن من الصراخ؛ إنها يد لا تتناسب مع بقية جسده.

دفعها إلى الداخل، ورغم مقاومتها، فإنه أقوى بكثير. أدركت أنه أحد المُجَمَّعين، لكنها لم تدرك أنها رأته من قبل حتى تحدث.

قال: «ليلة الحفلة الراقصة! لقد ربحت الرهان!».

إنه ذلك الفظيع الذي رأته عند السياج. رأت عينيه الآن. إنهما ميتتان؛ بلا حياة. هذا الفراغ في عينيه جعل الأمر أفظع. تحررت من قبضته وصرخت أخيرًا، لكنها أدركت أنها بمفردها في المنزل. يعمل والدها في نوبة ليلية، ووالدتها في مؤتمر للمعلمين في ماوي. لا بد أن الجيران

سمعوا، لكن هل سيصلون إلى هنا بسرعة كافية لمنعه من إعادة إحياء أي ليلة حفل راقص مروعة يتذكرها دماغه المجزأ، وأي رهان ملتوٍ عقده ذلك المفكك مع أصدقائه المخادعين؟

ركضت إلى المطبخ، وهي تفكر في الهرب من الباب الخلفي، لكنها تدرك مدى صعوبة ذلك. ومع ذلك، المطبخ به أسلحة. مدت يدها إلى دُرج السكاكين، لكنه عرقلها من الخلف لتسقط على الأرض، في اللحظة التي وضعت فيها يدها بقوة على مقبض الدُرج، الذي خرج بأكمله من مكانه، فطارت السكاكين والأسياخ والملاعق الخشبية وتناثرت في أنحاء الغرفة، مما يعني أنه يملك إمكانية الوصول إلى أكبر عدد ممكن من الأسلحة المحتملة مثلها. إنه يقف فوقها الآن، وبدأ ينطق أسماء.

- أودري، كاترينا، كاميل، هازل!

هل أولئك الفتيات جميعًا سقطن ضحايا أحد المفككين الموجودين في رأسه؟ لم تدرك أنهم جميعًا أعاصير، إلا بعد أن أضاف أندرو إلى القائمة.

صرخ بصوت أعلى من صراخها: «الفئة الخامسة! لقد ارتفعت الأمواج!». إنه يراها عاصفة، وينوي ترويضها.

فيما يتحرك نحوها، مدت يديها على الأرض وأمسكت بأول شيء في متناولها، وأطاحت به نحو رأسه. إنها مغرفة حديدية. ليست ما أرادته، لكنها ضربته بها بقوة كافية لجرحه في جبهته. ضربته بها مرارًا وتكرارًا، ولتبقيه بعيدًا فترة كفت لوصول أحد الجيران إلى الباب الخلفي، الذي طرق الباب ثم ركله. انكسر إطار الباب، واقتحم الجار المطبخ، فاستدار إليه المُجَمَّع، ودفعه وانطلق هاربًا، لكن ليس قبل الاستيلاء على المسدس من يد الجار. اختفى المُجَمَّع -الذي أصبح مسلحًا الآن- في ظلام الليل. حال رحيله، انفجرت كيليانا باكية، وتركت جارها يواسيها ويهدئ من روعها.

***

10 - كيتون

استعاد وعيه، مدركًا أنه ليس في سريره، لكنه لم يدرك بعد أين هو، أو لماذا هو هنا. ثم بدأت الذكريات تعود إليه مندفعة ومتقطعة، كدفقات طلقات نارية من مدفع رشاش. بالخارج.. عند السياج المحيط بالمكان.. ضربه أحدهم على رأسه. ديرك! إنه ديرك!

كم الساعة؟ ما زال الليل يسدل أستاره. هل يعلم أحد باختفائهما؟ ربما. يوجد جرح في صدغه. توقف النزيف. إنه واثق أنه لم يفقد الكثير من الدم، لكنه ما زال يشعر بالدوار عندما ينهض. أهو ارتجاج في المخ؟ ربما. هذا ليس مهمًّا الآن. المهم هو العثور على ديرك. لذا، شق كيتون طريقه من خلال الفتحة الموجودة في السياج، واضعًا نفسه في عالم قد يكون مستعدًّا له، لكن العالم بالتأكيد ليس مستعدًّا للتعامل معه.

سار على الطريق لأكثر من ميل حتى وصل إلى بلدة في جانب الميناء. ما زال الظلام دامسًا، وبدا أن الصباح لم يقترب بعد. رأى الكثير من النشاط في هذا الوقت من الليل. الأضواء مضاءة في العديد من المنازل، والسيارات في الشارع. لم يخطر بذهنه أن يفكر في السبب، لأنه جل انتباهه تركز على البحث عن ديرك. لا بد أنه سيختبئ في الظل، متربصًا. هذا ما يفعله ديرك. حتى في ضوء النهار، يتربص.

وعندما رأى صفًّا من الناس يحملون مصابيح يدوية، أدرك كيتون أنهم يجرون بحثًا. بدا نصف المدينة في حالة تأهب، وكيتون يعرف من يبحثون عنه بالتأكيد. ماذا فعل ديرك بحق الجحيم؟

سارع كيتون للاختباء بين بعض الشجيرات، لكن أحد المصابيح اليدوية كشف وجوده.

- انظروا هناك! أعتقد أنه هو!

بدؤوا يعدون في اتجاهه، فدفع نفسه من خلال الشجيرات إلى الفناء الخلفي، وقفز فوق السياج، ليخرج إلى شارع آخر. لكن يوجد أناس في كل مكان. رصدوه مرة أخرى، وطارده ستة آخرون. في نهاية الشارع، أضاءته مصابيح السيارات، فرآه الجميع.

صرخ أحدهم: «إنه هو! انظروا، له يد آمبر ومصاب بجرح في جبهته؛ تمامًا كما قالت كيليانا!».

استدار، باحثًا عن طريق للهروب، لكن لا يوجد. إنه محاط من جميع الجوانب، ويعلم أن الحشد من حوله يتحرك، شاعرًا بالانتصار.

صرخ: «لا! ممحاة! تعثر! علامة (X) حمراء!»، ثم أجبر نفسه على نطق الكلمات الصحيحة: «خطأ! إنكم ترتكبون... خطأ!».

وقف بالقرب منه مراهق مفتول العضلات كالبوف؛ إنه أحد الذين ألقوا الحجارة في اليوم السابق. حدق إليه بنظرة كراهية همجية، قائلًا: «أنت من ارتكب الخطأ. وسيصبح هذا آخر أخطائك».

***

11 - كام

قالت أونا لكام في أثناء قيادتهما لمسافة قصيرة إلى كاوناكاكاي؛ تتبعهما حاشية عسكرية كاملة: «كان من الممكن أن يصبح الأمر أسوأ».

- حقًّا؟ كيف؟

- لو أصيبت الفتاة بأذى، لساء الأمر، لكن هذا لم يحدث.

في اللحظة نفسها تقريبًا التي عثر فيها فريق الأمن على الفتحة في السياج، جاءت المكالمة من عمدة كاوناكاكاي بشأن الهجوم.

تحدث العمدة بكراهية شديدة كام يرتجف: «لقد طارد أحد وحوشك اللعينة فتاة. أريدك أن تعرف أنني سمحت باستخدام القوة المميتة».

ضرب كام عجلة قيادة السيارة الجيب بقوة كافية لإصابة يده.

قالت أونا: «اهدأ.. التوتر لن يساعد أحدًا»، ثم أضافت: «كما أن هاتين اليدين وُجِدَتا لعمل أشياء أفضل».

تنفس بعمق، محاولًا تبديد إحباطه. إنه خطؤه بالكامل. ليته استسلم لجنون الآخرين. ليته عامل المُجمَّعين كالسجناء. ليته لم يسمح لمشاعره الشخصية بالتدخل. ربما يحتاج المُجمَّعون إلى إثبات إنسانيتهم قبل أن تُمنَح لهم. لكنه يعلم أن الأمر لا يتعلق بكل المُجمَّعين، أليس كذلك؟ يوجد مُجمَّع واحد فقط يمثل مشكلة. مُجمَّع مختلف تمامًا عن غيره. رقم 00047؛ ديرك مولن. حتى عندما اختار اسمه، فعلها عشوائيًّا من الصفحة، وكأنه لا يهتم. وكأنه يعلم أن وجوده لا يستحق اسمًا. لقد

سيطر تساؤل معيَّن على كام طويلًا؛ هل يملك ديرك روحًا أم لا. الآن أدرك أنه بلا روح بالتأكيد. لأنه رأى في عينيه شخصًا مفرَّغًا، وهذا الفراغ في الداخل -أيًّا كان- هو التعريف الحقيقي للجحيم.

- من بين جميع المُجمَّعين، لماذا هرب رقم 00047 بالذات؟

سألته أونا: «ماذا عن الآخر؟».

قال كام: «كيتون. قد يظل ديرك رقمًا، لكن كيتون ليس كذلك. لن يفاجئني أن يقتله رقم 00047».

قالت أونا: «آمل ألا يحدث ذلك.. إنه صبي طيب».

أشار كام، شارحًا: «جميعهم كذلك، ما عدا واحدًا فقط».

اتجها إلى مركز الشرطة، لكن ضجة فيما يفترض أنه شارع سكني هادئ جذبت انتباههما. صيحات ومصابيح أمامية مضاءة ومحركات تزأر، بدا كنوع من سباقات الشوارع، ثم دوى صوت طلقة بندقية، أتبعه صمت.

قالت أونا، فيما ينعطفان عند الزاوية ويسرعان نحو الحشد: «كنتُ مخطئة. لا يمكن أن يسوء الأمر أكثر من ذلك».

***

12 - كيتون

قبل خمس دقائق من سماع كام وأونا صوت إطلاق النار، وصل انفعال الغوغاء إلى ذروته. سيحققون العدالة. لن ينتظروا لحين تطبيقها؛ سينفذونها بأنفسهم.

لم يستطع كيتون الكلام. لقد أسكتوه. لكن ما أهمية حديثه، حتى لو بإمكانه الكلام؟ لم يستمعوا إلى احتجاجاته من قبل؛ لماذا سيستمعون إليه الآن؟ لقد أمسكوا رجلهم المنشود. إنه يناسب الوصف. وما احتمالات وجود اثنين من المُجمَّعين يتجولان في المدينة؟ ناهيك بمُجمَّعين يمتلك كل منهما يدًا آمبر وجرحًا في الجبهة؟ أدرك كيتون من صيحاتهم الغاضبة ما فعله ديرك. ليس التفاصيل لكن جوهر الأمر، وهذا يكفي. إنه لا يلوم الحشد على ما يفعلونه. لو أنه أحدهم، فقد يفعل مثلهم تمامًا. أو ربما لا. لأن اختيارهم تنفيذ العقاب غريزي للغاية، وشعر كل مفكك داخل كيتون بالرعب، فملأت رأسه مئة صرخة.

لقد وضعوه على الأرض في منتصف تقاطع مع أحبال مربوطة بكل ذراع وكل ساق. أطراف تلك الأحبال الأربعة مربوطة بأربع مركبات، كل منها موجهة في اتجاه مختلف. الأحبال مرتخية الآن، لكنها لن تبقى كذلك طويلًا.

وقف المراهق مفتول العضلات أمام وجهه؛ الشخص الذي ربما ألقى الحجر الأول في اليوم السابق. إنه غاضب للغاية، حتى إن اللعاب يتطاير من فمه عندما يتحدث.

- ستموت، أنت تعلم هذا، أليس كذلك؟

ثم قال لأحد أصدقائه: «أخبره يا تود».

لم يرض كيتون غرور الفتى حتى بالغمغمة من خلف الكمامة.

قال تود: «هذا ما اعتادوا أن يفعلوه بمن لا يستحقون الحياة. في الماضي، تناسبت العقوبة مع الجريمة. يُطلق على ذلك التقسيم. سنفكك ما لم ينبغِ تجميعه في المقام الأول».

دارت المحركات. شعر بالأحبال تهتز، وتُجذَب بقوة كافية لإيلام مفاصله. سمع الناس في الحشد يتبادلون الحديث. بعضهم يقف إلى جانب تود تمامًا وينتظر بدء هذا السيرك الرهيب. لكن توجد أصوات أخرى أيضًا. سمع امرأة تقول: «الأمر يذهب إلى أبعد مما ينبغي. يجب على أحدهم أن يوقف هذا».

أحدهم؛ ليس هي. أدرك كيتون أن أصوات الاحتجاج الخافتة ليست مهتمة حقًّا بوقف هذا. كل ما يريدونه هو تخفيف شعورهم بالذنب، حتى يمكنهم بعد وقوع الأمر أن يقولوا لأنفسهم، حسنًا، أردنا وضع حد لذلك، لكن لم يستمع أحد. وهذا يجعلهم متواطئين مثل الآخرين.

دارت المحركات مرة أخرى. أغلق عينيه وشد عضلاته، لكنه أدرك أنه ليس ندًّا للقوة الحصانية في تلك السيارات الأربع.

ثم سمع صوت فتاة؛ تسب وتصرخ في الناس ليبتعدوا عن طريقها. فتح عينيه ليراها تندفع عبر الحشد، بعينين حمراوين من البكاء، وفك متصلب في تصميم. لكن عندما نظرت إليه، تغير تعبيرها. مال رأسها قليلًا، وفجأة بدا عليها الارتباك والاضطراب، لكن بطريقة مختلفة عما سبق منذ لحظة. تعرفها كيتون أيضًا. إنها الفتاة التي اقتربت منه عند السياج. الفتاة التي عاملته بلطف؛ كيليانا. قرر أن يحافظ على التواصل

البصري معها لأطول وقت ممكن، إلى أن يعمل ناقل الحركة في السيارات، وهو ما سيحدث في أي ثانية الآن.

قالت الفتاة بهدوء في البداية: «هذا ليس هو!»، ثم كررت مرة أخرى، بصوت أعلى: «ليس هو!».

هاجمها تود وبدا كأنه قد يضربها، لكنه لم يفعل، وسألها: «ماذا تعنين بأنه ليس هو؟ إنه هو طبعًا!»، ثم حاول إبعادها عن كيتون، مضيفًا: «دعينا نهتم بهذا الأمر! لقد أذاكِ بما يكفي».

تملصت منه، واقتربت من كيتون، قائلة: «لا! لا يمكنك أن تفعل هذا!».

تجاهلها تود برفع يده، مشيرًا إلى السائقين.. ثم دوى صوت رصاصة بندقية، فصمت الجميع.

تقدم رجل آخر -ضابط شرطة؛ ربما المأمور- ممسكًا بالبندقية التي أطلق نيرانها للتو في الهواء.

- الفتاة تقول إنك أمسكت المُجمَّع الخاطئ. هل تريد الذهاب إلى السجن يا تود؟ ليس فقط بتهمة القتل، بل لقتل الرجل الخطأ؟

صرخ تود: «إنه ليس رجلًا!».

قال المأمور بهدوء: «هذا صحيح. إنه صبي. أطلق سراحه الآن».

عندئذ، وصل كام وأونا ووقفا في الجانب الآخر.

حذر المأمور: «فكوا وثاقه، وإلا أقسم لكم إن كلًّا منكم سيحاسَب!».

بدأت الروح الغوغائية تذوب. لم يعد الحشد همجيًّا فوضويًّا، بل أصبح مجموعة من الناس تشعر بالارتباك والخجل والخزي. وهنا، تجمع الناس حول كيتون، وحاولوا فك قيده. ثم أزال كام الكمامة عن فمه، فبدأ كيتون يسعل، وهو يشعر بالاختناق.

قال كام: «لا بأس يا كيتون.. كل شيء على ما يرام».

حاول الوقوف، لكن مفاصله آلمته من الإجهاد، وكأنهم وضعوه على مشد من العصور الوسطى. ساعدته أونا على الوقوف. استدار، فوجد كيليانا التي ما زالت تقف هناك، لكنها تحافظ على مسافة بينهما. رفع يده الآمبر ليظهرها، قائلًا: «ليس أنا! هذه يدي اليسرى، وليست اليمنى!».

قالت: «أعلم».

ثم خاطب المأمور الحشد: «من الأفضل للجميع أن يعودوا إلى منازلهم، قبل أن أتذكر من شارك فيما حدث هنا الليلة».

بدأ الناس يبتعدون، ثم قال أحدهم من طرف الجمع: «أين دراجتي النارية يا هارلي، بحق الجحيم؟».

***

13 - كام

بدأ كام يشعر بتفكك دماغه، كما لو أنه قد تحول إلى شظايا. هذا يحدث دائمًا عندما يغرقه التوتر. لا يمكنه السماح بحدوث ذلك. ليس الآن. قال لنفسه، وهو يكبح جماح ذعره: «الإغلاق». يجب ألا يتمرد طاقم غواصته.

الدليل الأول على مكان ديرك هو الدراجة النارية المفقودة. فيما ركز المحتشدون انتباههم على إعدام كيتون بتمزيق أوصاله، لا بد أن ديرك قد تسلل خلفهم مباشرة، واختفى، مستترًا بغضب الغوغاء الجنوني. الآن أصبح حرًّا ليُحدِث أي ضرر ينويه. شك كام أن الهجوم على الفتاة ليس حادثًا فرديًا. ما لم يتمكنوا من القبض عليه، فسيواصل هياجه، ولا أحد يمكنه التنبؤ بمدى ما سيصل إليه الأمر من سوء.

أراد جزء من كام الهرب، تمامًا مثل ديرك الذي حاول الهرب من حكم الغوغاء. لكنه لم يستطع. لن يفعل. نظر إلى أونا، وكما هو الحال دائمًا، فإن وجودها يشعره بالاستقرار النفسي.

قالت أونا، وهي تقرؤه بشكل أفضل مما يقرأ نفسه: «لست أنت من صنعه. ما فعله -وما يتصف به- ليس خطأك».

اعترف كام: «هذا صحيح، لكن هروبه خطئي. وهذا يعني أنني مسؤول عن أي شيء يفعله».

لا يوجد شيء يمكنها قوله لتخفيف وطأة هذه الحقيقة.

قال كام: «سأتعامل مع العواقب لاحقًا. ما يهم الآن هو أن نمسك به».

فيما ينظر حوله، رأى المزيد والمزيد من العسكريين يصلون من المجمع، لا يفوق عددهم الغوغاء تمامًا، لكن وجودهم بدأ يُخضِع أسوأ مثيري الكراهية، بدرجة أكبر حتى من وجود المأمور. رحل بعض الناس، لكن المزيد منهم تلكؤوا، ربما يتوقعون حسابًا أدق. ليس بالضرورة أن تسود عدالة الغوغاء، وإنما في هذه المرحلة أي عدالة ستفي بالغرض.

بدعم من القوات الخاضعة لسلطته القضائية، قال كام للمأمور: «سنتولى الأمر من هنا. إنها مشكلتنا». لكن المأمور لم ينوِ التخلي عن الأمر: «لم تعد مشكلتكم عندما هاجم «شيؤك» تلك الفتاة».

للحظة، بدا وكأن مواجهة ستنشأ، لكن كيتون تدخل بينهما، قائلًا: «الغروب! إلى غروب الشمس!»، ثم تلعثم وتجهم وجهه، وهو يحاول فرض التماسك على أفكاره.

سأل المأمور بنفاد صبر: «ما الذي يتحدث عنه هذا الشيء؟».

قال كام، ليمنح كيتون الوقت لتكوين أفكاره: «صه!».

قال كيتون: «اركب... نحو غروب الشمس.. ديرك. ديرك لا يعرف. لا يعرف!».

فهم كام ما يعنيه، وقال: «ديرك لا يعرف أننا على جزيرة!».

ابتسم كيتون، قائلًا: «بالضبط! ديرك لا يعرف!».

أصبح كام على دراية تامة بالطرق في مولوكاي. بالنسبة إلى ديرك، فإن الانطلاق نحو «غروب الشمس» المجازي، لا يمكن أن يصبح غربًا، وإلا لمر عبر الجزء الأكثر اكتظاظًا بالسكان في المدينة، بل سيحمله شرقًا، بعيدًا عن المناطق المأهولة بالسكان. سيسير على طريق

كاميهاميها الخامس السريع، الذي يلتف حول الطرف الشرقي للجزيرة ويعود بطول الشاطئ الشمالي.

سأله المأمور: «كيف لا يعرف أن هذه جزيرة؟».

شرح كام: «لم يتكامل عقله جيدًا مثل الآخرين. ربما لا يستطيع التفكير بوضوح كافٍ لمعرفة ذلك. لقد غاب القمر فعلًا، لذا لن يجد طريقة لقياس اتجاهه، وهو منحنى بطيء يدور حول الطرف الشرقي، لذا سيعتقد أنه يسير بشكل مستقيم. علينا فقط أن نعبر بضعة أميال إلى الشاطئ الشمالي، وسنلتقطه وهو يعود».

سأله المأمور: «وماذا لو أنك مخطئ؟».

قال كام: «لستُ مخطئًا»، ثم نظر إلى كيتون، مصححًا: «لسنا مخطئين».

لكن للتأكد، أرسل كام أسطولًا من سيارات الجيب على طريق كاميهاميها الخامس السريع لملاحقته. ثم عبر هو ومعظم قواته العرض الضيق للجزيرة إلى الشاطئ الشمالي وانتظروا وصول ديرك.

***

14 - ديرك

أنا.. إطارات.. طريق.. حَوَل. وجه.. رياح.. «فروم فروم».. المحيط إلى اليمين.. المحيط إلى اليمين.. أذكى منهم.. أسرع منهم.. «فروم فروم».. المحيط إلى اليمين. «وُلِدتُ لأصبح وحشيًّا».. ذئب السهوب.

ذئب وحيد.. لا أحد يصطاد ذئبًا وحيدًا.. أناس أغبياء.. يقتلون كيتون.. كيتون الغبي.. رأيتهم يفعلونها.. رأيتهم يربطونه.. حبل، حبل، حبل، حبل.. سيارة، سيارة، شاحنة، شاحنة.. شد أرمسترونج.. لم أستطع المشاهدة.. أخذت هارلي.. لم يرَ أحدًا.. أناس أغبياء.

أجزاء مني تعرف كيف.. ناقل الحركة.. المُسرع.. «فروم فروم».. أجزاء لا تعرف كيف.. سأجعلهم يتعلمون بسرعة.. كاد يسقط.. تعلم بسرعة أو مت.

أنا.. أنا.. أنا.. لست مثل المُجمَّعين الآخرين. أعرف ذلك.. أكره ذلك. أعتقد أنهم أفضل مني.. أنا أفضل منهم.. أكرههم.. مات كيتون.. أكره كل الباقين.. سأجعلهم يدفعون الثمن.

ما زال الليل باقيًا.. ما زال الليل باقيًا.. الصباح قريب. دع الحرية ترن.. بعيدًا عن هنا.. «فروم فروم». المحيط إلى اليمين.. متجه جنوبًا؟ شمالًا؟ لا يهم.. حر في كلتا الحالتين. سأجد شيئًا جميلًا.. بضًّا.. ليلة الحفل الموسيقي.. سأجعلها تحب ذلك.. سأكسب الرهان. سأجعلهم جميعًا يحبون ذلك. أنا أذكى منهم.. وأقوى.. فتاة غبية.. سأعثر عليها

يومًا.. وأقتلها لأنها أذتني، لكن ليس الآن.. لاحقًا. بعد وقت أطول مما تعتقد.. الفجر.. الأفق.. المحيط إلى اليمين. وماذا أمامي؟ وماذا أمامي؟

لا!

مستحيل! سيارات الجيب والشرطة والبوف.. حاجز طريق.. وكامو كومبري.. لا يمكن أن يكون أسرع مني.. كيف جاءوا إلى هنا؟ كيف؟

وكيتون..

ميت؟ ليس ميتًا؟ أشباح.. كلهم أشباح.. أهم كذلك؟ طائر عند أذني.

ليس طائرًا. رصاصة تهدئة.. أخطأتني.

لا يوجد مكان آخر لأذهب إليه.

«بففت».. أخطأتني مرة أخرى.

المحيط إلى اليمين.. وجسر. لا يوجد مكان آخر لأذهب إليه.. «فروم فروم».. طريق، طريق، ثم خشب. عجلات تسير على خشب.. كوخ في نهاية الجسر. لا يوجد مكان آخر لأذهب إليه.

***

15 - كيتون

القناصة ليسوا مهرة للغاية في إصابة الهدف. برروا ذلك، متذمرين: «رصاصات التهدئة هي السبب. إنها ليست مثل الرصاصات العادية. ليس ذنبنا أننا أخطأناه».

لا أحد يريد تحمل مسؤولية ديرك. لا أحد سوى كام، الذي رأى كيتون العذاب على وجهه. تمنى لو يمكنه تخفيفه. كل ما فعله كام هو محاولة منحهم بعض الكرامة. لقد نجح الأمر مع كيتون، ونجح مع الآخرين جميعًا، لكن ليس مع ديرك، لأنه مختلف. ديرك يفتقد الشرارة. وهذا يعني أنه لا يوجد شيء يربط أجزاءه معًا سوى الغرز.

يوجد مطعم برجر صغير في نهاية الجسر. هذا هو المكان الذي اتخذه ديرك ملجأً. انزلقت الدراجة النارية وسقطت به وهو يقترب من المكان. نهض وهو يعرج. حاول القناصة تخديره مرة أخرى، فقتلوا أحد طيور النورس. لولا أن الوضع سيئ للغاية، لبدا المشهد مضحكًا. حطمت إحدى رصاصات التهدئة نافذة المطعم، مما وفر على ديرك عناء كسرها بنفسه. رد بإطلاق النار مرة واحدة بمسدسه المسروق -رصاصة عشوائية اختفت في الفجر- ثم تسلل إلى المطعم من خلال النافذة المكسورة للهرب من وابل النيران.

تساءل كيتون: «هل يفهم ديرك ما حدث؟ هل خطر بذهنه أخيرًا أنهم على جزيرة؟ وأن كل شيء هنا عبارة عن دائرة مكتملة؟».

قال كام: «إنه محاصر».

حذرته أونا: «إنه مسلح».

اقترح المأمور: «يمكنه القفز، ثم السباحة إلى الشاطئ والهرب».

هز كيتون رأسه، قائلًا: «دافي جونز[1].. الغرق. الغرق. المُجمَّعون لا يمكنهم السباحة؛ ليس بعد. يجب أن يتعلموا مرة أخرى. الأمر أصعب من قيادة الدراجة النارية».

اقترح أحد ضباط كام العسكريين إزالة المبنى بأكمله: «قذيفة هاون واحدة يمكنها ذلك».

أشار المأمور: «هذا الجسر من معالم الجزيرة».

هز الضابط كتفيه، قائلًا: «ألا يجب أن يوجد المَعلم على الأرض؟».

أعلن كام: «إننا لن نفجر أي شيء. هل يمكننا الاقتراب بما يكفي لإطلاق عبوة غاز مسيل للدموع في الداخل؟ وعندما يخنقه الدخان، يخرج؟».

أخذوا يتبادلون الأفكار. فكر كيتون في شيء ما، لكنه لم يخبرهم، لأنهم سيتجاهلونه ببساطة.

بدأ كيتون يسير على الجسر.

صرخ المأمور: «ماذا يفعل بحق الجحيم؟ عد إلى هنا!».

تجاهله كيتون. دعهم يتصدون له أو يخدرونه. هذه هي الطريقة الوحيدة لإيقافه. إنه يعرف ما يجب فعله. يد يدي. إنه وديرك -بطريقة ملتوية- عائلة، والعائلة تعتني بأفرادها. لا بد أن كام يفهم هذا، لأن كيتون سمعه يقول: «دعوه يذهب».

تحول الفجر إلى شروق في الدقيقة التي استغرقها الوصول إلى كوخ المطعم في نهاية الجسر. توجد دماء على الدراجة النارية الملقاة

(1) دافي جونز: مصطلح من الفولكلور الشعبي الأمريكي، استخدم في القرنين الثامن والتاسع عشر للدلالة على روح البحر، أو البحر مجسدًا في هيئة بشرية. «المترجم».

على الشرائح الخشبية للجسر، ودماء على حافة النافذة التي تسلقها ديرك. خلفه، اتخذ البوف العسكريين مواقعهم على الجسر، وقد شهروا أسلحتهم، لكنهم حافظوا على مسافة بينهم وبين كيتون، الذي ألقى عليهم نظرة واحدة. ثم دخل المكان من خلال النافذة.

جلس ديرك في الزاوية. سرواله ممزق، وبطول أحد خطوط الالتحام في ساقه، يوجد جرح مفتوح بسبب سقوطه من الدراجة.

صرخ ديرك، وهو يلوح بالمسدس في إهمال: «ميت! رأيتك ميتًا!».

قال كيتون بهدوء: «كدت أموت. لقد تركوني أرحل. لقد عرفوا أنه أنت، وليس أنا».

- إنهم أغبياء.

جلس كيتون إلى جواره، صامتًا. انتظر ليرى ماذا سيفعل ديرك. تساءل هل سيطلق النار عليه، أم ربما -مدركًا أنه لا يوجد مخرج- يطلق النار على نفسه. لكن بعد ذلك، فكر كيتون أن ديرك لن يفعل ذلك أبدًا. إنه خيار لا يمكنه اتخاذه. يجب أن تكون حيًّا لتقتل نفسك. فجأة اجتاحت كيتون موجة من الشفقة. ما الإحساس الحتمي الذي ينتاب من يختبر حركات الحياة، ومع ذلك ليس حيًّا؟ كيتون يعرف أنه حي، لأنه يشعر بالشفقة على هذا المخلوق التعس المسكين الجالس أمامه. مخلوق محكوم عليه بأن يصبح مجموعة من الأجزاء فحسب.

فجأة، أمسك ديرك يده: «هل تموت معي يا يد يدي؟ مثل بوتش وصندانس؟».

كما يتذكر أحد أعضاء مجتمع كيتون الداخلي، مات بوتش كاسيدي وصندانس كيد في تبادل إطلاق نار يائس. لم يرغب كيتون في إعادة تمثيل هذا المشهد، فأجابه: «لا، بل مثل جورج وليني».

نظر إليه ديرك في تساؤل. إنه لم يفهم الرمز. حسنًا.

- أعطني المسدس يا ديرك.

ربما هذه أول جملة كاملة يقولها بدافع ذاتي.

ضاقت عينا ديرك الميتتان، وسأله: «لماذا؟».

- لأني أطلب منك ذلك.

- لماذا؟

أمسك ديرك المسدس بإحكام، ووجهه نحو كيتون، الذي فحص عينيه بحثًا عن دلالة على أي شيء. لكن لا. لا يوجد عذاب، ولا ندم، ولا خوف، ولا حتى استسلام. يمكنه إطلاق النار على كيتون. لكنه لم يفعل، بل سلمه السلاح.

قال ديرك: «أنا لا أجيد إطلاق النار. من الأفضل أن تفعلها أنت. تتحدث أفضل، تفكر أفضل، ستطلق النار أفضل».

أقرَّ كيتون: «ربما».

- اذهب وأطلق النار عليهم. أطلق النار عليهم جميعًا. هذا ما يجب أن نفعله. لا تأخذ أسرى.

نظر كيتون إلى المسدس الموجود في يده. لا تعرف يده الآمبر كيف تمسكه، لكن يده السيينا تعرف. في الواقع، يبدو الأمر مألوفًا تقريبًا. تساءل عن سبب ذلك، لكنه قرر أنه يفضل عدم معرفة السبب.

- لا أسرى يا ديرك.

***

16 - كام

هذا خطأ. إنه يعرف ذلك. خطأ آخر فحسب، وسط سلسلة كاملة من الأخطاء. كان يجب أن يدخل بنفسه. ومع ذلك، فهو يعرف أنه لو فعلها، لقتله ديرك في لحظة. كيتون هو الوحيد الذي يحظى بفرصة. لكن كيف تستخدم المنطق مع مخلوق لا يعرف المنطق؟ ولا يعرف حتى سبب وجوده؟

اقترح ضابطه المتحمس للهاون: «ما زال بإمكاننا تدمير المطعم، إذا فشل كل شيء آخر».

ثم علا صوت إطلاق رصاصة واحدة، ليشق سكون الصباح، فطارت طيور النورس من على الجسر مثل الحمام، وحبس كام أنفاسه.

فُتِح الباب الأمامي لمطعم البرجر، وخرج كيتون، وهو يحمل المسدس في يده التي يخفضها إلى جانبه. توجهت الأسلحة كلها الموجودة على الجسر نحوه.

أمرهم كام: «اخفضوا أسلحتكم».

أطاعوه. سار كيتون على الجسر باتجاه كام ووضع المسدس في يده.

لم يقل كيتون سوى: «أنجزت المطلوب»، ثم صعد إلى المقعد المجاور للسائق في أقرب سيارة جيب، وأغمض عينيه، منتظرًا ما سيحدث بعد ذلك.

***

توجد مقبرة قديمة للمصابين بالجذام بجوار كنيسة بيضاء ريفية على جرف مولوكاي الغربي. دُفِن ديرك في مراسم صغيرة أجراها

قس عسكري. لم يحضر أحد سوى كام وأونا. ردد القس ترنيمته التي يحفظها عن ظهر قلب. كلمات عن رحمة الرب، والحياة الأبدية، وكيف أن روح ديرك الآن في عهدة الرب القدير. جعلت كلماته كام يتجهم، ويشعر بأنه منافق لمشاركته في المهزلة. لكن من هو ليقرر هل ديرك حقًّا بلا روح أم لا؟ الساذج أفضل من الساخر.

أُبلِغ رؤساء كام في واشنطن بواقعة هروب ديرك ووفاته اللاحقة بأكملها. كتب الدكتور بيتيجرو عريضة اتهام لاذعة بشأن كيفية تعامل كام مع الأمر، لكن هذه الاتهامات توازنت برواية المأمور، الذي أشاد بكيفية إدارة كام للأزمة، مما أثار دهشة هذا الأخير.

في النهاية، لم يُجرَ تحقيق رسمي. ولا حتى توقيع عقاب طفيف على كام.

سألته أونا بمجرد عودة الأمور إلى حالة أقرب إلى الطبيعية في المجمع: «هل تشعر بخيبة أمل؟».

- في الواقع، نعم. قليلًا.

الحقيقة هي أن مجمع مولوكاي بأكمله يمثل عبئًا ثقيلًا على الجيش، والعودة إلى الوراء غير محبوبة لدرجة تجاهل الأمر تمامًا. الآن أدرك كام أنه ليس مختلفًا. كان يومًا نجم الجيش الساطع، والآن أصبح تذكيرًا بغطرستهم الجامحة. من الواضح أنهم يفضلون عدم تذكيرهم.

تسارع أونا إلى الإشارة: «إن التجاهل له مزاياه. الكرامة لا تنمو تحت المجهر».

***

بعد ثلاثة أسابيع من الحادث، جاء يوم الابتهاج. إنه يوم جديد في حياة المُجَمَّعين. التحق ستة منهم -ثلاثة فتيان وثلاث فتيات؛ الستة الأكثر

اندماجًا- بمدرسة مولوكاي الثانوية. إنهم في الصف العاشر تعسفيًّا، نظرًا إلى أن مجتمعاتهم الداخلية تتراوح بين الثالثة عشرة والسابعة عشرة، لكن جعلهم طلابًا جددًا بدا قسوة غير ضرورية. ولدهشة كام، جاء اقتراح السماح للمُجَمَّعين بالالتحاق بمدرسة مولوكاي الثانوية من السكان المحليين؛ ربما كرد فعل على محرضي الكراهية. في بعض الأحيان يمكن صفع التحيز على رأسه بالتسامح. وبخاصة الآن بعد أن أصبح الناس في المدينة ينظرون إلى كيتون شيلتون كبطل شعبي.

في الليلة التي سبقت يومهم الكبير، نظم كام وأونا عشاءً للمُجَمَّعين الستة الذاهبين إلى المدرسة في غرفة الطعام الرسمية، حيث اعتاد رجال المواطنة الاستباقية يومًا شرب الخمر وتناول الطعام ورشوة محركي ومزلزلي العالم. لم يعد هؤلاء المُجَمَّعون يرتدون ملابس النقاهة الشاحبة. ارتدى الفتيان الجينز والقمصان المريحة، كما ذهبت أونا في رحلة إلى هونولولو للبحث عن أحدث صيحات الموضة للفتيات.

سادت المحادثة على العشاء أجواء مبهجة، مع بعض التكلف وعدم الترابط. بعد تناول الحلوى، أقنع المُجَمَّعون الستة كام وأونا بالعزف على القيثارة، في دويتو مرتجل ينهي الأمسية. استلزم الأمر المُجَمَّعين أنفسهم لإقناع أونا بالعزف أمام جمهور، وهو ما لم يستطع كام عمله بمفرده.

ثم انتهت الأمسية، لكن فيما صعد الآخرون إلى عربات الجولف التي ستعيدهم إلى جناح المُجَمَّعين، توقف كيتون. اقترب من كام وأشار إلى صدغه.

- أحدهم هنا يعزف على القيثارة، لكن بلا إجادة.

ثم رفع يده الآمبر، وتنهد مضيفًا: «أعتقد أن هذه اليد تعزف على الطبول، لكن لا أحمل ذكرى ذلك».

سأله كام: «كيف تشعر حيال الغد؟».

ابتسم كيتون، قائلًا: «أشعر بتوتر شديد. لكن لا بأس» ثم فكر لحظة، وأضاف: «الجزء الأصعب.. هو أنني لا أعرف ما لا أعرفه».

يدرك كام ذلك، فكل شخص يُشَفِّر ويخزن الذكريات بشكل مختلف. وعندما يتعلق الأمر بالتعليم، فإن عقل المُجَمَّعين قد يشبه الجبن السويسري. ربما يعرف كيتون تاريخ العالم، لكنه لا يدرك نظامه بالكامل.

قال له كام: «ستكتشف ذلك بنفسك. تحلَّ بالصبر».

قَبِل كيتون النصيحة. وقال: «لقد تركت لك هدية»، وأشار برأسه نحو غرفة المعيشة، ثم استدار واستقل عربة جولف مع مُجَمَّعتين، أخذتا تضحكان وتتحدثان بترقب شديد عن عودتهن المرتقبة غدًا إلى الجنس البشري.

لم يملك كام إلا أن يبتسم في أثناء انطلاق السيارة.

قالت أونا وهي تمسك يده: «انظر إلى نفسك.. تبدو كالأب الفخور».

قال: «لا، أخ أكبر فحسب».

صعدت أونا إلى الطابق العلويّ. سيكون الغد يومًا مبكرًا وممتلئًا بالأحداث للجميع. يوم مهم. من الأفضل أن تحصل على نوم جيد الليلة. لكن قبل التوجه إلى الطابق العلوي للنوم، توجه كام إلى غرفة المعيشة. في البداية لم يرَ هدية كيتون، لأنها موضوعة على طاولة قهوة؛ متنكرة في هيئة مثقل ورق. عندما لاحظها أخيرًا، ضحك وقد سرته المفاجأة.

الهدايا الأهم هي أحيانًا تلك التي تعود إليك. وبالنسبة إلى كامو كومبري، لا توجد هدية أكثر أهمية من مكعب روبيك قديم نجح أحدهم في حله بامتياز.

***

مجهول

1 - آرجان

لم يتمكن آرجان سكينر من الاحتفاظ بالنصف الأيمن من وجهه.

لقد أراد ذلك بشدة. لقد راقب تفكيك نيلسون من خلال نافذة آلة يونيس الصغيرة. وجد نفسه غير متأثر بصراخ الرجل، ولم يشعر بأي شفقة تجاهه. تساءل آرجان هل هذا يجعله شخصًا سيئًا. حسنًا، من يهتم؟ لقد أنقذ كونر لاسيتر، الذي منذ أن أعيد تجميعه وهو يركل مؤخرات المسؤولين في واشنطن. جعل هذا آرجان بطلًا -حتى لو لم يعرف أحد بذلك على الإطلاق- ويجب السماح لكل بطل بالاستمتاع بلحظة واحدة على الأقل من الانتقام.

حلقت الطائرة في الهواء فعلًا بحلول الوقت الذي انتهى فيه يونيس من نيلسون، لكن عندئذ أدرك آرجان معضلته. إذا أحضر آرجان حاوية الحفظ الحيوي التي تحمل النصف الأيمن من وجهه إلى ديفان، فسيعرف ديفان ما فعله. إن ديفان أوماروف -ملك سوق الأعضاء السوداء في العالم الغربي- يعتقد أن آرجان شديد الغباء، ولا يتصور حتى قدرته على فعل شيء وقح كهذا. هذا التصور أفاد آرجان، وسمح له بالإفلات من العديد من الأشياء.. مثل إعادة تسمية جميع صناديق كونر.

لم يعلم ديفان أن الأجزاء التي دفع مشتروه الملايين مقابلها ليست أجزاء كونر على الإطلاق، بل تنتمي إلى هارب من التفكيك عشوائي لا يستطيع آرجان تذكر اسمه.

لو عرف ديفان ما فعله آرجان بنيلسون، لن يراه الخادم الغبي المطيع الذي يعرفه، وسيصبح في نظره شخصًا مجهولًا يثير الريبة، وهذه مشكلة. ديفان له حلفاء وأعداء؛ أي شخص يقع في مكان ما بينهما قد ينتهي به الأمر ميتًا. منذ اليوم الذي هربت فيه ريسا مع معظم مفككي ديفان، أصبح الرجل يأمر بقتل أي شخص يشك في أمره.

لذلك حرم آرجان نفسه من انتصاره النهائي، وجلس متكئًا في أثناء بيع جسد جاسبر ت. نيلسون كله قطعة قطعة لمشترين جشعين. لم يعرف ديفان حتى إن الشحنة 4833 لا تنتمي إلى أحد مفككيه.

حدث ذلك منذ أشهر. الآن يتحين آرجان الوقت المناسب، فيخدم ديفان بأفضل ما في وسعه، منتظرًا اليوم الذي يفي فيه الرجل بوعده ويسمح له باختيار وجه جديد -وجه كامل- ليحل محل النصف المشوه من وجهه والضمادة الحيوية التي تغطي نصفه الأيمن كالقناع. لا يشك آرجان في أن صاحب العمل سيفي بوعده. ديفان أوماوف مزيج من أشياء كثيرة، بعضها لا يمكن تصوره، لكن آرجان يعرف أنه -قبل كل شيء- رجل يفي بوعده.

***

2 - ديفان

أعماله وصلت إلى أوج نجاحها. مع استسلام حكومة الولايات المتحدة لضمير شعبها، حدث توقف مؤقت لجميع عمليات التفكيك، فأصبح الطلب على الأجزاء في جميع أنحاء العالم كبيرًا. تضاعفت الأسعار ثلاث مرات، ولم يعد ديفان قادرًا على مواكبة الطلب. لو أصبح حظر التفكيك دائمًا، وانتشر إلى دول أخرى، فسيصبح هو و«داه زي» البورمي المصدرين الوحيدين للأجزاء عالية الجودة. وبما أن «داه زي» لا يتعامل في أنسجة المخ، فسيتمتع ديفان بميزة واضحة.

«داه زي» يعرف هذا، ويريد إخراجه من اللعبة أكثر من أي وقت مضى.

ولهذا، اضطر ديفان إلى تطهير صفوفه من أي شخص لا يثق به، والحفاظ على نفسه عند مستوى من الوسواس القهري الذي قد ينقذ حياته، بالنظر إلى الظروف.

اليوم، شاهد ديفان مقطعًا إخباريًّا مرارًا وتكرارًا في «الغرفة الكبرى» المقببة في «ليدي لوكاريتسيا»، وهي طائرة من طراز «أنتونوف إيه إن - 225»؛ أكبر جسم طائر صُنِعَ على الإطلاق. ووسط كل وسائل الراحة المنزلية، وعلى ارتفاع سبعة وثلاثين ألف قدم، جاء خادمه حاملًا إناء القهوة.

قال ديفان، مشيرًا إلى مقطع الأخبار: «هل رأيت هذا يا سكينر؟».

على الشاشة عُرِضَ برنامج حواري. الضيفان المميزان ليسا سوى كونر لاسيتر وريسا وورد. لاحظ ديفان الطريقة التي ارتجفت بها يدا

سكينر عندما رأى المقطع. اصطك فنجان القهوة على الطبق كالأسنان في ليلة باردة، والسبب واضح. يعرف سكينر أن أي عمل يتعلق بكونر وريسا وورد عادة ما يصيب ديفان بالغضب. ربما توقع ذلك، لكن اليوم لا يوجد لدى ديفان أي سبب ليفقد أعصابه.

شرح ديفان: «هذا البرنامج عُرِضَ على الهواء مباشرة في وقت سابق هذا الصباح. شاهد ما سيحدث بعد ذلك».

عندما أوشك المذيع على بدء المقابلة، سُمِعَ صوت طلقات نارية، فانفجر صدر المذيع تقريبًا، وانحرفت الكاميرا في جنون. المزيد من اللقطات. يمكن رؤية ريسا وكونر يسرعان إلى خلف الكواليس؛ يقودهما حرس الأمن، وسط صيحات وصراخ جمهور الاستوديو.

أسقط سكينر إناء القهوة، ونزل على الفور لتنظيفه، معتذرًا بغزارة. لم يُثر هذا قلق ديفان كثيرًا. سينظف سكينر المكان، ثم يحضر المزيد من القهوة. ورغم تصرفاته غير المهذبة من حين إلى آخر، فإنه خادم ممتاز.

قال ديفان: «يبدو أن ريسا والمحتال لم يصابا بأذى، لكنني أشك أنهما سيجريان المزيد من المقابلات».

سأله سكينر: «هل أنت... هل أنت خلف ما حدث؟».

ضحك ديفان على هذا الاقتراح، قائلًا: «بالتأكيد لا. إنني لا أحمل ضغينة ضد ريسا لمجرد أنها هربت. أما بالنسبة إلى المحتال، فهو لا يستحق وقتي، وقد أفادت أفعاله أعمالي في الغالب».

- نعم يا سيدي، أعتقد ذلك.

عندما عاد «كونر لاسيتر» المزعوم إلى الأضواء العامة، بدا واضحًا لديفان أنه محتال بالتأكيد. لقد ذهب ديفان ليشهد بنفسه تفكيك الشاب، لذلك لا يمكن وقوع أخطاء. بِيعَت أجزاؤه وشُحِنَت. ورغم أن المصرفي

السويسري الذي اشترى وجه كونر يدعي أنه تعرض للخداع، وأنه حصل على وجه شخص آخر، فإن ديفان عرف الحقيقة. لا بد أن المصرفي باعه إلى المقاومة الأمريكية المناهضة للانقسام. وربما حصلوا على أحباله الصوتية أيضًا. هذا كل ما احتاجوا إليه لتجميع محتال يبدو ويتحدث مثل كونر لاسيتر. أما بالنسبة إلى وشم القرش، فمن السهل للغاية تزويره. قد ينخدع العالم، لكن ليس ديفان أوماروف.

***

في محطتهم التالية -مطار منعزل في كندا- هبطت «ليدي لوكاريتسيا» وسط هطول أمطار غزيرة. سيحضر ضيوف اليوم. ضيوف يجب على ديفان أن يسمح لهم على مضض بالصعود إلى حصنه الطائر. مرة واحدة سنويًا، يلتقي أخته لمناقشة أعمال الأسرة. تتذمر وتحاول إقناعه بخفض التكاليف وزيادة الإنتاج، فيرفض، مشيرًا إلى حقيقة أن الجودة هي السمة المميزة لمنتجه. تغادر غاضبة، يطير غاضبًا، وهذا كل ما في الأمر حتى العام المقبل. هكذا تسير الأمور عندما تشارك ثروتك مع العائلة.

قال ديفان لموظفيه: «عاملوها بالاحترام الذي تعاملونني به، سواء استحقت ذلك أم لا». ورغم أنه يخاطب الجميع، فإن معظم الآخرين سمعوا هذا من قبل. إن حديثه في الأساس موجه إلى آرجان، الذي لم يسبق له مقابلة عائلة ديفان من قبل.

راقب ديفان من نافذة في غرفة المعيشة الواسعة. اقتربت عدة شخصيات من سيارة ليموزين كبيرة، وتساءل من يرافقها اليوم.. زوجها الضعيف؟ أم محاميها؟ المطر الغزير استلزم المظلات والمعاطف الواقية من المطر ذات القلنسوة. وبسبب هذا، لم يحصل ديفان على صورة واضحة لجميع ضيوفه وهم يستقلون الطائرة. لو رآهم، لما فتح الباب أبدًا.

***

3 - آرجان

شعر آرجان بالفضول والخوف، لكن بالانزعاج أكثر من أي شيء آخر، لأنه من المتوقع الآن أن يلبي احتياجات العديد من الأشخاص، وليس ديفان فقط. يحتفظ ديفان بطاقم هيكلي: الطيارون، وحارسه الشخصي، والطاهي، وآرجان. يدعو آرجان خادمًا، لكنه في الواقع خادم، ومدبر منزل، ونادل في شخص واحد. كل مهمة لا تُسنَد لأحد، تُترك لآرجان. إنه يعمل لساعات طويلة مقابل القليل من المال، وثناء أقل. ورغم ذلك، أصبح يُقَدِّر نظام حياته، ويُقَدِّر ديفان نفسه. إن عمله الآن أفضل بالتأكيد من ماضيه كموظف تسجيل مبيعات في سوبر ماركت.

إن ديفان يعتمد عليه. في منزله، اعتمدت جرايسي عليه أيضًا، لكن الأمر مختلف. لقد استاء من الاضطرار إلى رعاية أخته ضعيفة القشرة الدماغية. لكنه لسبب ما، لا يستاء من العمل لدى ديفان. لا يدري أين جرايسي الآن، وهل ما زالت حية، أم قتلها نيلسون. أقسم كونر إنها حية، لكن آرجان لا يستطيع أن يعرف على وجه اليقين. إنه يحاول عدم التفكير بها. هي من تخلت عنه. أيًا كان ما أصابها، فهي من سعت إليه بنفسها.

انطوى باب الطائرة، ليُفتح متخذًا هيئة مجموعة قصيرة من درجات السلم المؤدية إلى ممر المطار. إن «ليدي لوكاريتسيا» ضخمة لدرجة أن بطنها يرتفع أربعة أقدام عن الأرض. سارع الخدم الذين يحملون المظلات بمرافقة مجموعة من الأشخاص من سيارة ليموزين إلى

الطائرة. اشتدت العاصفة. ربما لن يتمكنوا من الإقلاع حتى تهدأ. هذا ليس جيدًا لمزاج ديفان. إنه يكره البقاء على الأرض.

أول من دخلت امرأة. لم ترتدِ معطفًا واقيًا من المطر، بل كساها من الرأس إلى أخمص القدمين معطف ضخم مصنوع من فراء حيوان منقرض على الأرجح. ربما يكفي معطفها وحده لإبادة الأنواع بأكملها. من الواضح أنها دجمارا، أخت ديفان.

سألت: «أين هو؟ لماذا ليس هنا لاستقبالنا؟».

تبادلت بضع كلمات حادة باللغة الشيشانية مع بولا، الحارس الشخصي لديفان. بعد ذلك، دخل صبي في السادسة عشرة تقريبًا. إنه مالك؛ ابن شقيقة ديفان. إنه وسيم بطريقة جعلت آرجان يرغب في تمزيق إطارات سيارته، لو أنه كان في مدينته. ألقى نظرة واحدة على آرجان، قائلًا: «من أنت بحق الجحيم؟ ماذا أصاب وجهك؟».

أجابت دجمارا: «إنه سكينر.. ألا تتذكر؟ لقد أخبرتك. إنه الفتى الذي باع نصف وجهه لقراصنة الأعضاء مقابل المخدرات، وقد أخذه خالك طيب القلب».

غضب آرجان لكنه علم أنه لا يستطيع إظهار ذلك. روايتها بعيدة كل البعد عن الحقيقة، حتى إنه أراد أن يصرخ، وهو يسألها: «أهذا ما قاله لكِ؟».

هزت دجمارا كتفيها، مجيبة: «لا، لكن يمكنني قراءة ما بين السطور».

أوشك على اصطحابهم عندما دخل شخص أخير، مرتديًا غطاء رأس واقيًا من المطر. خلعه ليتضح أنه آسيوي، داكن البشرة. لا يتطلب الأمر عبقريًّا ليخمن أنه بورمي.

مد الحارس الشخصي بولا يده إلى سلاحه، لكن دجمارا دخلت بينهما، قائلة: «إنه ضيفنا، وهو هنا بناءً على دعوتي».

لم يترك بولا سلاحه، لكنه لم يخرجه من جرابه أيضًا، وسألها في استنكار: «هل أحضرتِ حثالة «داه زي» إلى «ليدي لوكاريتسيا»؟».

قال الرجل البورمي: «إنني أعزل. لست هنا لإحداث المتاعب، لكن لإنهائها».

فكر بولا في قوله، ثم التفت إلى آرجان، قائلًا: «أغلق باب الطائرة»، ثم قبض على ذراع الرجل البورمي، وقال له: «ستنتظر في مكان خاص إلى أن يقرر السيد أوماروف ما «سيصنعه» بك».

ورغم أن آرجان يعرف أن هذا القول ليس إلا نتاج إنجليزية بولا الضعيفة، فإن هذا مناسب. لأن ديفان «صنع» أشياء من قتلة «داه زي» الأربعة الذين أُرسِلوا لقتله. وتساءل آرجان هل حياة البونساي تنتظر هذا الرجل أيضًا.

بدت الشمبانيا وصواني المخبوزات التي قدمها آرجان لطفًا في غير موضعه، وسط فاصل الصراخ الذي تلا اكتشاف ديفان وجود عميل «داه زي» على متن الطائرة. فهو لا يحتاج إلى فهم اللغة الشيشانية لمعرفة ما يحدث، ويبدو أن العاصفة في الداخل تضخمت بسبب العاصفة في الخارج، فيما تجاهد الطائرة النفاثة الضخمة لتجاوز الاضطرابات.

شعر الكبار بحرارة شديدة منعتهم من تناول الطعام أو الشراب، فيما تناول مالك الشمبانيا والمقبلات، وأمر: «أحضِر المزيد!».

حصل آرجان على المزيد من الأطعمة الخفيفة من الطاهي، لكنه قرر أن إعطاء الصبي المزيد من الشمبانيا لن يفيد أحدًا.

أخيرًا، هدأ التوتر، وتحول الاضطراب إلى رجفة عرضية، وطلب ديفان من آرجان إحضار الوجبات الخفيفة، التي تناول مالك معظمها فعلًا. أيًا كان التفاهم الذي توصلوا إليه، فإنه لم يتضمن إخراج الرجل

البورمي من «كوة سايونارا»، وهي كبسولة هوائية خاصة وضعها ديفان لطرد غير المرغوب فيهم.

قال ديفان لآرجان يومًا: «لم تُتح لي الفرصة قط لاستخدامها، لكن من المريح أن أعرف أنها موجودة».

مع بقاء المتطفل البورمي محبوسًا ويحرسه بولا، استقر الوضع، وتبادل ديفان وعائلته الحديث القصير الذي كان من المفترض أن يبدأ به يومهم. يبدو أن الشيشانية هي لغة الغضب لديهم، لأنهم يتحدثون الإنجليزية الآن.

أعد آرجان مشروباتهم وأحضر الطعام من المطبخ، وهو يستمع طوال الوقت، وكأنه يراقب ما يجري. ابن دجمارا الأكبر يدرس في الجامعة، وهو ما يجعلها تشعر بالحرج لأنه يدرس الفلسفة ويتجنب العمل العائلي تمامًا. لقد انفصلت هي وزوجها الذي لا يصلح لأي شيء، وهو يريد الحصول على الشاليه السويسري الذي تملكه الأسرة في حالة الطلاق. أما مالك، فقد طُرِد من مدرسة إعدادية أخرى بسبب سوء سلوكه.

تذمر مالك: «ليس خطئي. كلهم سيئون». عادةً، يستطيع صبي مثل مالك أن يتجنب مثل هذه المواقف بسهولة بفضل مظهره الجميل، لذا اعتقد آرجان أنه بالتأكيد خاسر حقيقي.

ثم سألت دجمارا: «ماذا يوجد خلف الستار؟».

ابتسم ديفان وكأنه انتظر هذا السؤال.

قال لها: «شيء حصلت عليه منذ آخر مرة صعدتِ فيها على متن طائرتي. إنه عمل فني، وهو أيضًا آلة موسيقية».

أثار هذا فضول الجميع.

- أرِهم يا سكينر!

وهكذا، سحب آرجان الستار ليكشف عن الأرغن العضوي، فلاح ثمانية وثمانون وجهًا فوق لوحة المفاتيح.

تأففت دجمارا: «هل هذا أرغن؟».

قال ديفان: «أرغن فريد من نوعه. جوقة سماوية تنتظر قائدًا».

اقتربت دجمارا من الآلة، دون أن يبدو عليها الرعب كما حدث مع ريسا، بل الافتتان، وسألت: «هل يمكنني...؟».

قال ديفان: «تفضلي».

جلست أمام لوحة المفاتيح وبدأت تعزف.

طوال الوقت الذي قضاه آرجان على متن السفينة، لم يسمع قط عزف الأرغن العضوي، باستثناء المرة التي لمست فيها ريسا مفتاحًا، فصدر صوت واحد. بدأت دجمارا تعزف مباشرة مقطوعة كئيبة وقوية؛ مألوفة حتى بالنسبة إلى آرجان، الذي لا يختلف فهمه للموسيقى الكلاسيكية عن فهمه لفيزياء الجسيمات.

قال ديفان: «مقطوعة «توكاتا وفوجا في ري الصغرى» لباخ! اختيار ممتاز».

امتلأت «ليدي لوكاريتسيا» بإيقاعات «الفوجا» المخيفة التي تجسدها جوقة المفككين، حيث تُفتح الأفواه وتُغلق عندما تلمس دجمارا المفاتيح. وفيما تتصاعد الموسيقى إلى ذروتها، خَلُصَ آرجان إلى أنها أكثر الأشياء المزعجة التي شهدها على الإطلاق. حتى ديفان بدت عليه الدهشة.

وقال مالك: «رائع!».

قال ديفان لأخته: «اعزفي بقدر ما تريدين. لقد فكرت بكِ عند شرائه».

***

4 - ديفان

رغم احتجاجات أخته، احتجز ديفان حثالة «داه زي» في زنزانة معظم اليوم. احتاج كلاهما إلى معرفة من يتخذ القرارات هنا. إنها طائرة ديفان، وعملياته، وإذا تكرم بالحديث إلى الرجل، فسيفعل ذلك وفقًا لشروطه، وليس شروط أي شخص آخر.

اختار في النهاية إطلاق سراح الرجل لتناول العشاء، قائلًا لدجمارا: «سأطعمه، وأستمع إلى ما سيقوله، ثم أنزله من الطائرة في محطتنا التالية».

قالت دجمارا: «هذا غير مقبول».

- لا أهتم بما تعتقدين أنه مقبول وما هو غير مقبول.

تساءل هل جميع الأشقاء مثلهما، أم أن هذا أمر فريد في عائلته. أو ربما هو مرض يصيب الأثرياء: كلما زاد المال لدى الأسرة، زاد احتقار أعضائها لبعضهم. وبخاصة عندما يتعلق الأمر بالسيطرة على هذا المال.

عندما وصل بولا مع البورمي، لم يبدُ الرجل مستاءً من المعاملة التي تلقاها. في الواقع، بدا مرحًا تمامًا، وهو ما وجده ديفان مزعجًا.

دجمارا -العقل المدبر لهذه القمة المريبة- هي من تولت تقديم كل منهما إلى الآخر: «أود أن أقدم لك يا ديفان السيد المحترم سونثي، ممثل مخيم حصاد «داه زي» البورمي. وهذا أخي ديفان أوماروف يا سيد سونثي».

قال السيد سونثي: «يشرفني لقاؤه».

لم يقل ديفان شيئًا؛ مد يده للمصافحة فحسب، ثم غير اتجاه كفه بشكل مدروس في اللحظة الأخيرة، مما ترك يد سونثي ممدودة في الهواء في حرج. إنها طريقة ديفان لإفقاد الخصم توازنه منذ البداية.

توجد طاولة طعام في غرفة المعيشة الكبيرة بالطائرة، معدة لخمسة أشخاص. خدمهم سكينر بالأسلوب الرسمي غير الملحوظ الذي علمه إياه ديفان بصعوبة شديدة.

قال السيد سونثي: «لدي خادم في مخيم حصادي، لكنه يمتلئ بالأصابع[1]». ثم ضحك على مزحة يبدو أنه وحده من يفهمها.

تطرقت دجمارا مباشرة إلى الحديث عن مشاكلها الزوجية، وأخذ مالك يتصيد الأخطاء في كل شيء، فلم يملك ديفان صبرًا على ما يفعلانه.

ثم، عندما قدم سكينر الطبق الرئيسي، التفت مالك إلى ديفان في اشمئزاز واضح، قائلًا: «أيجب أن يبقى هنا؟ إن النظر إليه يفقدني شهيتي».

سأله ديفان: «هل تُفضل أن تخدم نفسك؟».

- أُفضل أن توظف شخصًا له وجه.

وبختها دجمارا: «يجب أن تتعلم كيف تصبح أكثر تسامحًا يا مالك. هذه هي الأشياء التي تجعله يُطرَد من المدرسة باستمرار. هل تريد أن تخبر عمك لماذا طردتك «أكاديمية إكسلسيور»؟».

أمسك مالك قطعة طعام، وقضمها بأسنانه، قائلًا: «لقد فككت كلب مدرس الرياضيات».

ضحك سونثي.

---

(1) يقصد كونال. راجع قصة «انتخاب غير طبيعي» في هذا الكتاب. «المترجم».

قال مالك: «حسنًا، لقد كان مصدر إزعاج؛ ينبح طوال الوقت. لا يحق للرجل إحضار كلب ينبح إلى المدرسة».

ثم أتى صوت من الخلف لم يتوقع أحد سماعه: «لم تفككه؛ لقد قتلته».

إنه سكينر، الذي لم يعد فجأة غير ملحوظ، بل أصبح مركز اهتمام الجميع.

قالت دجمارا وهي تغلي سخطًا: «عفوًا؟».

وقال مالك: «هل قلت هذا لي حقًّا؟».

استدارت دجمارا إلى ديفان، قائلة في غضب: «أهذا ما تعلمه لخادمك؟ أن يرد على ضيوفك؟».

تنهد ديفان. لم يعد بحاجة إلى المزيد من الدراما على الطاولة، فقال: «اعتذر لابن أختي يا سكينر».

وقف سكينر هناك فحسب، رافضًا النظر إلى أيٍّ منهم.

قال ديفان بقوة أكبر: «لقد قلت اعتذر».

قال سكينر أخيرًا: «أعتذر».

ولمنع هذا من التصعيد أكثر، قرر ديفان إبعاد سكينر، فقال له: «انصرف. سيتولى بولا تقديم بقية الوجبة».

خرج بولا من الظل ليتولى الأمر، واختفى سكينر، متجهًا إلى حجرته في مؤخرة الطائرة.

قالت دجمارا: «لا بد من وجود عواقب لما حدث».

وافقها ديفان، لكن ليس على من يجب أن تقع هذه العواقب.

استمرت الوجبة في صمت متوتر. غادر مالك بعد تناول الحلوى دون أن يودع أحدًا، وحال رحيله، بدأ ديفان العمل.

- لماذا تطفلت على هذا الوقت الذي أقضيه مع عائلتي يا سيد سونثي؟

ساد صمت غير مريح، ثم جاءت الإجابة على لسان دجمارا: «إنه يحمل عرضًا من «داه زي». أعتقد أنك يجب أن تسمعه».

استغرق ديفان وقتًا في وضع قشر الليمون على حافة فنجان قهوته الإسبريسو، ثم قال: «إنني أستمع».

مال سونثي إلى الأمام، قائلًا: «هذه الحرب بيننا لا تفيد أحدًا. أملنا أن نتمكن من تجميع مواردنا، وتحقيق ربح أكبر لنا جميعًا».

عرف ديفان بالضبط إلى أين يتجه هذا النقاش، فقال باختصار: «أنت تريد يونيس».

- ليس سرًّا أن آلتك يمكنها تنفيذ عملية التفكيك في خمس عشرة دقيقة فقط. باستخدام هذه التكنولوجيا، يمكننا تقليص حجم مخيمات الحصاد لدينا، مع زيادة إنتاجنا. في المقابل، نحن مستعدون لتقديم نسبة سخية من أرباحنا لك.

- بعبارة أخرى، أنت تعرض مشاركتي.

قالت دجمارا: «فكر في الأمر يا ديفان. لا مزيد من الهجمات من «داه زي»، ولا داعي للخوف على حياتك، وسنجني المزيد من المال».

تناول ديفان رشفة من قهوته، قائلًا: «لن أسلم عملي لمنظمة دموية ووحشية مثل «داه زي». ليس الآن، ولا مستقبلًا أبدًا».

ثم أظهرت دجمارا نواياها أخيرًا: «أنت تنسى -يا أخي العزيز- أنني أتحكم في عملياتك الأرضية. من دون شبكة التوزيع التابعة لي، لا يمكنك تحريك جزء مفكك واحد».

- هل تهددينني يا دجمارا؟

- إنني أحاول فقط أن أريك منطق الأمور.

وجه ديفان حديثه إلى سونثي، وقد اتخذ قراره، لكنه في الحقيقة اتخذه حتى قبل أن يبدؤوا حديثهم: «عندما نهبط في كامتشاتكا، سأطردك من طائرتي يا سيد سونثي. أثق أنك ستتمكن من إيجاد طريقك إلى الوطن من هناك».

ثم اعتذر ديفان، فهو لا يريد أن يبقى برفقتهما لحظة أخرى.

***

5 - آرجان

لا توجد مساحة كبيرة في مقصورته الصغيرة للتجول، لكن آرجان لم يستطع البقاء ساكنًا. لقد استضاف ديفان قراصنة أعضاء وقتلة مأجورين، لكن لم يزعجه أحد كما فعل مالك. ربما لأن هؤلاء الآخرين يفعلون ما يفعلونه من أجل المال، وليس من باب المتعة. فكما يقول ديفان دائمًا، إنها تجارة بحتة، وبغض النظر عن مدى عدم مشروعية العمل، فإن المتعة تأتي من الربح أكثر من العمل. من المؤكد أن السوق السوداء تعج بالمرضى النفسيين، لكنه يشعر أن مالك حالة خاصة.

وقد أجبر ديفان آرجان على الاعتذار!

لم يعد آرجان يملك ما يكفي من احترام الذات، وهذا ما كاد يقتله.

طرق أحدهم بابه. شك أن ديفان جاء ليحاضره حول ضرورة التزام حدوده، لكن هذا ليس صحيحًا. إنه مالك -الوحش نفسه- الذي جاء لزيارته.

قال مالك: «غرفة جميلة. هل يمكنني الدخول؟».

علم آرجان أنه إذا منعه من الدخول، فسوف يقع في مشكلات أكبر، فقال: «لقد اعتذرت فعلًا. ماذا تريد مني غير ذلك؟».

- أريد أن أمنحك الفرصة لتعويضي عما بدر منك.

دخل مالك، ولم يجد آرجان خيارًا سوى السماح له بذلك، وسمعه يضيف: «ستتغير الأمور هنا. يمكنك أن تصبح جزءًا من التغيير، أو تتركه يسحقك».

قال له آرجان: «لا شيء يتغير ما لم يقل السيد أوماروف ذلك».

لم يجادل مالك في ذلك، بل قال: «أرني آلة حصاد عمي».

لم يتوقع آرجان ذلك، فقال متلعثمًا: «أنا... غير مسموح لي...».

- لكن يمكنك الدخول، أليس كذلك؟ أريد أن أرى يونيس. أريد أن أرى كيف يعمل.

- لقد أخبرتك، لا يمكنني مساعدتك.

وهنا، مد مالك يده، وأمسك الضمادة الحيوية التي تغطي نصف وجه آرجان المحصود، وقال مهددًا: «يمكنني أن أنزع هذه عنك الآن».

إنه تهديد مرعب، لأن الضمادة الحيوية أكثر من مجرد ضمادة: إنها تتوغل في الأنسجة المحيطة لحماية الجرح. لو مزقها، سيصبح الألم لا يطاق.

ما زال آرجان يتذكر حركات فنون الدفاع عن النفس. يمكنه خنق مالك في لحظة، وقطع الأكسجين عنه وتركه غائبًا عن الوعي. لو قبض على عنقه لمدة كافية، فقد يُصيبه بتلف دماغي لا شفاء منه، وهو ما قد يحتاجه بالضبط. لكن من يخدع آرجان؟ سيحصل الفتى فحسب على أجزاء دماغية مفككة لاستبدال تلك المتضررة. من ناحية أخرى، ربما تكون أجزاء الدماغ هذه أفضل من تلك التي جاء بها مالك.

لم تتح الفرصة لآرجان قط لمعرفة ذلك، لأن دجمارا أتت إلى الباب، وسألت: «هل قاطعتكما؟».

أبعد مالك يده عن ضمادة آرجان، وقال لها: «أردت فقط أن نتحدث معًا وديًّا»، ثم ابتعد، تاركًا والدته لتتحدث مع آرجان بشأن العمل.

- لدي عرض لك يا سكينر. استمع بعناية، لأني على وشك أن أجعلك ثريًّا للغاية.

***

حال مغادرة دجمارا، ذهب آرجان إلى حجرة ديفان، وتأكد أن أحدًا لم يره. طرق الباب على عجل، فسمح له ديفان بالدخول.

- أعتقد أن هذا مهم، وإلا لما أزعجتني.

- مهم للغاية، سيدي.

ثم أراه القارورة التي أعطتها له دجمارا، مضيفًا: «قالت إنها ستعطيني مليون دولار لأسكب هذا في قهوتك الإسبريسو عند تناولك الإفطار غدًا صباحًا».

لم تبدُ الدهشة على ديفان، بل الإحباط فحسب، وهو يقول: «أنت تدرك أنها لن تعطيك سنتًا واحدًا. على الأرجح ستقتلك».

قال آرجان: «على الأرجح ستجعل مالك يقتلني».

لم يختلف معه ديفان. فتح القارورة وشمها، مفكرًا لحظة، ثم أعاد السدادة وسلم القارورة إلى آرجان، قائلًا: «افعلها».

- هل تريدني أن أضع لك السم؟

- بالتأكيد لا. لكن ليس لدي أي تحفظات بشأن وضعه في إسبريسو شخص آخر. أيًّا كان من تختاره؛ إنني أثق بحكمك.

فكرة أن ديفان يثق به في أي شيء -وبخاصة شيء خطير كهذا- فاجأت آرجان.

- إنك تطلب مني أن أقتل بالنيابة عنك.

- يطلق العالم الشرقي على هؤلاء القتلة اسم النينجا. يعمل العديد منهم كمساعدين شخصيين لأسيادهم. أيمكنك الارتقاء إلى هذا المنصب يا آرجان؟

إنها المرة الأولى -كما يتذكر- التي يدعوه ديفان فيها آرجان، وليس سكينر.

قال آرجان: «نعم يمكنني ذلك. ولستَ بحاجة إلى منحي مليون دولار أيضًا».

قال ديفان: «ربما أفعل... في الوقت المناسب.. في الوقت المناسب».

***

6 - مالك

يجب أن يعترف مالك بأن الطائرة مذهلة كما تصورها، وأن آفاقه الخاصة أكثر إثارة. لا يريد شقيقه الفيلسوف أن يمارس أي دور في أعمال العائلة، وهذا يجعل مالك في الصدارة ليرث كل شيء. تعلم والدته أنه أقوى حلقة في سلسلة العائلة، ولهذا توسطت في هذه الصفقة مع «داه زي».

قالت له: «لو لعبنا أوراقنا بشكل صحيح، فسوف تدير «داه زي» يومًا».

إن الاندماج معهم ليس من قبيل الاستسلام، بل هو تسلل، وهؤلاء الحمقى البورميون أغبياء للغاية بحيث لا يرون ذلك!

ومع ذلك، ففي هذه الأثناء، سيكتفي بـ«ليدي لوكاريتسيا» ومخيم الحصاد المحمول جوًّا. لكن عندما يتولى المسؤولية، ستختلف الأمور. سيصبح لديه بالتأكيد طاقم عاملين مناسب، وأول ما سيفعله هو التخلص من الوحش ذي النصف وجه من خلال «كوة سيونارا» ويلقي به في غياهب النسيان.

هذا ما فكر به مالك عندما زاره خاله ديفان.

- أخبرني سكينر أنك مهتم برؤية يونيس في أثناء عمله.

قال مالك بحذر: «هل أخبرك بذلك؟».

- نعم، لا يمكنه دخول عيادة الحصاد، لذلك طلب مني تولي هذا الأمر. سيسعدني ذلك.

جلس مالك، عاجزًا عن إخفاء حماسه: «شكرًا لك أيها الخال ديفان».

- عفوًا. لكن قبل أن ندخل إلى وحدة الحصاد، ستحتاج إلى ارتداء هذا.

ألقى إلى مالك ثوبًا من قطعة واحدة يبدو وكأنه ملابس داخلية طويلة؛ أثقل وزنًا فحسب. فيما يفحصه مالك، وجده مصنوعًا من المعدن. برادة حديد منسوجة بدقة شديدة.

- لماذا؟

- لحمايتك طبعًا.

ارتدى مالك الثوب المعدني بسرعة، وتبع عمه إلى مقدمة الطائرة، حيث تنتظره وحدة الحصاد الآلية.

- هل يمكنني مشاهدة عملية التفكيك؟

قال خاله بمرح: «طبعًا. أعتقد أنك ستجدها تجربة مدهشة».

***

7 - ديفان

هبطت «ليدي لوكاريتسيا» في كامتشاتكا فجرًا. فُرِّغَت عدة مئات من حاويات التخزين الناتجة عن اثنتي عشرة عملية تفكيك حدثت في أثناء الطيران. توجد حاوية صغيرة واحدة فقط لم تُطرَح للبيع بالمزاد. أخذ ديفان هذا الصندوق إلى غرفته الشخصية للحفاظ عليه.

رغم إحضار هاربين من التفكيك جدد إلى «ليدي لوكاريتسيا» من منشأة احتجازه الروسية -بما يكفي لملء جميع الأسِرَّة الفارغة في آلة الحصاد- فإن ديفان لم يأخذ أيًّا منهم على متن الطائرة.

قال لطاقم الإمداد الحائر: «سأحصل عليهم المرة القادمة. ادفعوا لقراصنة الأعضاء ما ندين لهم به، وفي المرة القادمة سأحملهم على متن الطائرة».

أما بالنسبة إلى سونثي، فلم يمنعه ديفان من مغادرة الطائرة. أخبر أخته أنه قد غير رأيه، ويريد المزيد من الوقت للنظر في اقتراحهما. تزودت «ليدي لوكاريتسيا» بالوقود، وعادت إلى الجو بعد نصف ساعة.

لكن بعد وقت قصير من وصولها إلى ارتفاع الطيران، لاحظ ديفان عدة أشياء لا يمكن وصفها إلا بأنها إشارات تحذيرية. لم ينظر رئيس الطهاة إلى عينيه مباشرة، اختفى بولا في غموض، ونوافذ الجانب الأيسر عرضت شروقًا مذهلًا للشمس، مما يعني أنهم يتجهون إلى الجنوب بدلًا من الغرب، كما هو الحال في خطة طيران ديفان التقليدية. لم يحتج

إلى بوصلة ليعرف أنهم متجهون إلى بورما وأن الطيارين يعملون الآن لصالح «داه زي».

كل هذه الأشياء احتفظ بها لنفسه في أثناء تناول الإفطار، وأخفى خططه الخاصة. حتى سكينر بدا وجهه جامدًا بلا أي انفعالات هذا الصباح، رغم أنه أعطى ديفان إيماءة خفية كإشارة إلى التحالف القائم بينهما.

تأخر مالك عن موعد الإفطار، لكن لا أحد يهتم.

قالت دجمارا لديفان: «يجب أن ترسل سكينر لإحضاره. إن «بيض بندكت» هو المفضل لديه».

أكد لها ديفان: «أثق أنه سيأتي قريبًا».

وفيما يُحضر سكينر قهوة الإسبريسو الصباحية، التفت ديفان إلى سونثي، قائلًا: «الآن، دعنا نناقش شروط عرضك».

راقب كل من دجمارا وسونثي ديفان باهتمام وهو يعصر قشر الليمون بتمهل حول حافة فنجان قهوته الإسبريسو.

قال سونثي: «لقد تفاوضنا بشأن الشروط. لم يبقَ سوى أن تقبلها».

أخذ سونثي رشفة من قهوته، وفعلت دجمارا الشيء نفسه.

قال ديفان، وهو يرفع قهوته إلى شفتيه: «في هذه الحالة، لا يوجد شيء آخر لنناقشه، أليس كذلك؟».

***

8 - آرجان

صب لهم العصير. أخذ الأطباق وهو يراقب ويستمع، فيما يخفق قلبه بشدة في صدره، ويخشى أن ينفجر. هل التبست عليه الفناجين؟ إنه لا يثق في ذاكرته. يا له من وقت للشك!

أخذ ديفان رشفة. شرب ثلاثتهم. ما مدى قوة السم؟ ما مقدار السم الذي يجب تناوله، وكم من الوقت يستغرقه ليعمل؟ أي نوع من النينجا هذا الذي لا يعرف فاعلية أساليبه؟

لم يحتج إلى الانتظار طويلًا للحصول على إجابة. بدأ سونثي يتقيأ والرغوة تخرج من فيه، ثم سقط على وجهه إلى الأمام، ليرتطم رأسه بالطاولة بقوة. ظلت عيناه مفتوحتين. لقد مات.

لهثت دجمارا، ثم ألقت نظرة اتهام على آرجان، وصاحت: «أيها الأحمق! ماذا فعلت؟!».

قال ديفان: «هذا بالضبط ما توقعت أن يفعله. أحسنت يا سكينر!».

- أتدري ما سيفعله مسؤلو «داه زي» عندما يكتشفون مقتله؟

قال ديفان: «لم يعد هذا من شأنك»، ثم سحب مسدسًا وأطلق النار.

إنها رصاصة تهدئة. أصابت دجمارا في صدرها مباشرة. تمتمت بشيء ما بالشيشانية -سباب على الأرجح- ثم مال رأسها إلى الخلف بدلًا من الأمام.

حال غياب دجمارا عن الوعي، قال آرجان لديفان: «لقد بحثت في كل مكان عن بولا. لم يعد على متن الطائرة. لابد أنهم قتلوه عندما هبطنا».

هز ديفان رأسه، قائلًا: «أو ألقوه من الطائرة من خلال «كوة سايونارا». ياله من مسكين؛ بولا، استحق ما هو أفضل من ذلك».

سأله آرجان: «ماذا تريدني أن أفعل الآن؟».

ابتسم ديفان: «إنك ستفعل أي شيء أطلبه منك، أليس كذلك يا آرجان؟ مثل هذا الولاء سلعة نادرة في هذا العالم».

سأل آرجان نفسه هل سيفعل أي شيء من أجل ديفان؟ هذا الرجل الذي قطع نصف وجهه وأعطاه لنيلسون، ثم حوله إلى خادم متعاقد من أجل استعادة الحق في الحصول على وجه مرة أخرى؟ وجد آرجان أن إجابته هي نعم. سيفعل أي شيء يريده ديفان منه. تساءل آرجان هل هذا يجعله مُحطمًا أم نبيلًا.

مال ديفان إلى الخلف، كما لو أنه لا يهتم بأي شيء في العالم، وقال: «اذهب وأخبر الطاهي أننا سنتناول جميعًا لحم الضأن على الغداء. هذا سيبقيه مشغولًا لمدة. وفيما تفعل ذلك، من فضلك أحضر لي فنجان إسبريسو آخر».

***

9 - دجمارا

أفاقت لتجد نفسها تحدق إلى بحر من الوجوه الخالية من الروح. للحظة اعتقدت أنها في حلم، حتى أدركت أين هي. إنها تجلس أمام الأرغن العضوي. ما زال الضباب يكتنف رأسها بعض الشيء، لكنها تذكرت ما حدث.

إلى اليسار، يوجد وجه ذكر مفتوح الفم، يردد بصوت جهوري عميق «آآآآآآآآآآآآه». رأت إصبعًا واحدة تضغط بقوة على مفتاح واحد، وتتبعت تلك الإصبع، وصولًا إلى شقيقها، الذي يجلس بجوارها.

تردد الصوت في رأسها مسببًا لها الألم، فقالت مُجهَدة: «توقف».

قال ديفان: «أخشى أن التوقف خطأ»، ثم رفع إصبعه. وهنا شعرت دجمارا فورًا بأن الطائرة بدأت تسقط.

وضع ديفان إصبعه على المفتاح مرة أخرى، فعاد الصوت يغني، وتوقفت الطائرة عن الهبوط.

- أترين؟ عند تركيب الأرغن، تأكدت من توصيله بدائرة الطيار الآلي، آملًا أن يأتي هذا اليوم. نقرة واحدة فحسب على المفتاح، ترسل التحكم إلى هنا. الآن، ما دام الأرغن العضوي يعزف، سيظل الطيار الآلي يعمل.

تمتمت دجمارا، وهي ما زالت تقاوم لاستعادة رشدها مع زوال تأثير المهدئ: «الطيار الآلي...».

- نعم. أخشى أنني اضطررت إلى قتل الطيار ومساعده. لقد ثَبُتَ أنهما خائنان. الطاهي أيضًا. يا للأسف! أشك أنني سأجد شخصًا يتمتع بمثل هذه الموهبة.

تأوهت دجمارا. يا لها من فوضى عارمة! ترك زمام الأمور لأخيها دمر الجميع، بما في ذلك نفسه. ثم تذكرت أمرًا أثار فيها موجة من الغثيان.

- مالك... أين مالك؟ أين ابني؟

- لم يعد على متن الطائرة في الغالب. لقد أخرجناه منها في كامتشاتكا.

- هل تركته بمفرده؟

- لا، لا طبعًا. إنه بصحبة شبكة التوزيع التابعة لك. سيسعدك أن تعرفي أن أجزاءه جلبت لنا أكثر من ثلاثمئة ألف دولار.

نظرت إليه دجمارا في ذهول. إنه يمزح. لا بد أنه يمزح. لن يفكك ابن أخته. أي نوع من الوحوش قد يفعل مثل هذا الشيء؟

قال ديفان: «كان ليسرني مواصلة هذه المحادثة يا دجمارا، لكني أخشى أن الوقت قد نفد. لقد عبرنا للتو المجال الجوي الصيني على ارتفاع 2300 متر تقريبًا. لم نعد نتجه نحو بورما، بل نحو الغرب. وطبعًا، على هذا الارتفاع المنخفض ستصبح الرحلة وعرةً بمجرد وصولك إلى سلاسل الجبال الصينية، لكن لا تقلقي، سيوجهك الطيار الآلي بعيدًا عن القمم الأكثر ارتفاعًا».

كافحت دجمارا لفهم ما يقوله ديفان. الجبال الصينية.. 2300 متر.. الطيار الآلي.. ومالك. لا يبدو أي شيء من هذا حقيقيًّا بالنسبة إليها. هذا كله ليس سوى هلوسة ناتجة عن المهدئات. وأخذت تتوسل أن يكون الأمر كذلك.

- سأتركك الآن يا أختي العزيزة. أقول لك «وداعًا»، لأن هذا ما سيحدث. كما ترين، توجد مظلتان على متن الطائرة. واحدة لي وواحدة لخادمي.

- انتظر.. هل ستتركني هنا؟

- سأترك لك ممتلكاتي الثمينة: الأرغن العضوي. ما دمتِ تواصلين العزف، ستواصل الطائرة سيرها، على الأقل حتى ينفد وقودها، لكن خزاناتها ضخمة. لديكِ ما لا يقل عن عشرين ساعة متبقية؛ ربما أكثر.

ثم رفع ديفان إصبعه عن المفتاح، فتوقف الوجه عن العويل، وأغلق فمه، وبدأت الطائرة تسقط.

- من الأفضل أن تعزفي يا دجمارا.

نظرت دجمارا إلى لوحة المفاتيح في ذعر، وبدأت بسرعة تعزف مقطوعتها المفضلة -«توكاتا وفوجا في ري الصغرى» لباخ- كما فعلت عندما وصلت. ملأ جوقة الأصوات غير المجسدة المكان.

قال ديفان وهو يبتعد: «هذا جيد للغاية! واصلي العزف يا دجمارا. واصلي العزف!».

نادته: «ديفان! ديفان!»، لكنه رحل.

وهكذا أخذت تعزف من أجل حياتها، فتشتري لنفسها الثواني والدقائق والساعات إلى أن تبقى فحسب أصوات وأبخرة بلا روح.

***

10 - آرجان

جاء خروجه من «كوة سيونارا» أشبه بإطلاقه من مدفع إلى سماء شديدة البرودة. سقط في قفزة غير منضبطة. لا يملك خبرة أو مهارة في القفز بالمظلات. إنه سعيد فحسب، لأنه تذكر سحب حبل النجاة لفتح المظلة. أخيرًا، هبط آرجان وهو يرتجف في رقعة من الثلج على سفح تل وسقط أرضًا. وصل ديفان بعد بضع لحظات، على بعد عشرين ياردة، متحكمًا تمامًا وهبط واقفًا على قدميه. تخلص من مظلته، وجاء لمساعدة آرجان في تحرير نفسه من مظلته.

قال ديفان: «حسنًا، إن ذلك مبهج».

قال آرجان، وقد منعه انزعاجه من الحديث باحترام: «نعم، الاقتراب من الموت أمر ممتع دائمًا».

ضحك ديفان، فسأله آرجان: «ماذا سنفعل الآن؟».

- لدي أصدقاء في الصين، وقد نبهتهم بالفعل. سيتوجهون إلى موقعنا. لن نضطر إلى الانتظار هنا طويلًا.

فكر آرجان في أن ديفان قد يملك أصدقاء في كل مكان. ربما باستثناء جنوب شرق آسيا. ثم سحب ديفان شيئًا من حقيبته -الشيء الوحيد الذي أنقذه من الطائرة- وسلمه إلى آرجان. إنه مبرد بيولوجي بحجم صندوق الغداء تقريبًا.

سأله آرجان: «ماذا يوجد بالداخل؟».

تنهد ديفان وقال: «الجزء الوحيد من مالك الذي لم أبعه. أفضل جزء لديه، في الواقع».

لم يجرؤ آرجان على فتح العلبة. فهو يعرف ما هي. سأله وهو يكاد لا يصدق: «وهو... لي؟».

قال ديفان: «إنه حل أنيق، أليس كذلك؟ إنه يفي بوعدي لك، ويسمح لي برؤية وجه ابن أختي الوسيم مرة أخرى، دون أن أضطر إلى تحمل بقية جسده».

أمسك آرجان العلبة بقوة. شعر بالرعب، والامتنان، واللعنة، والبركة. كيف يمكن لشيء ما أن يثير كل هذا القدر من المشاعر المتضاربة؟ قرر أن يتبنى المشاعر الإيجابية، لأن المشاعر السلبية ستدفعه بالتأكيد إلى الجنون. قال: «شكرًا لك».

قال ديفان: «أعتقد أن مالك أفضل حالًا بعد تقسيمه. هذا أفضل بالتأكيد من مسار الحياة الذي سلكه».

أخبر آرجان أنه سيرتب لإجراء خاص لزرع وجهه الجديد بمجرد وصولهما إلى بكين.

- ثم ستنال حريتك يا آرجان. سأصطحبك إلى أي مكان تريد الذهاب إليه.

نظر آرجان إلى ديفان، وحافظ على التواصل البصري معه، وهو شيء لم يملك الشجاعة لفعله من قبل. قال لديفان: «ماذا لو لم أرغب في الذهاب؟ ماذا لو أردت الاستمرار في العمل لديك؟».

- حسنًا، عندئذ سأدفع لك أجرًا يليق بولائك.

نظر ديفان إلى أثر أبخرة «ليدي لوكاريتسيا»، الذي تمزقه الرياح العاتية ببطء، وقال: «عندما تسقط الطائرة في النهاية، سنعتبر جميعًا

أمواتًا. أنوي الاستفادة من ذلك. سأترك عملي، وأتقاعد تحت اسم مستعار. وطبعًا، سأحتاج دائمًا إلى خادم».

جلسا ينتظران وصول «أصدقاء» ديفان، الذين من المرجح أن يأتوا بطائرة هليكوبتر. وفيما يفكر آرجان في الاحتمال المثير لمستقبله الجديد، تبادر إلى ذهنه سؤال.

سأله: «إلى أين سنذهب؟ أين تريد أن تتقاعد؟».

قال ديفان: «حسنًا، إن التظاهر بالموت يتطلب قدرًا مستمرًّا من إخفاء الهوية». تظاهر بالتفكير في السؤال، لكن من الواضح أنه فكر فيه من قبل. أضاف: «هل تعلم أنه مع كل ما أملكه، لم أمتلك يختًا قط؟ إن امتلاك يخت والإبحار في البحر الأبيض المتوسط حلم راودني طويلًا، مع التردد فقط على المواني الأصغر والأقل ازدحامًا طبعًا».

قال آرجان، وقد راقت له الفكرة فعلًا: «تبدو كخطة».

في نهاية الأمر، ما فرص لقائهما شخصًا يعرفانه؟

***

نهاية الكتاب الخامس والأخير

شكر وتقدير

يوجد الكثيرون يجب شكرهم على خروج هذا الكتاب إلى النور، وتَصعُب معرفة من أين نبدأ! في الواقع هذا غير صحيح، لأن كل شيء بدأ مع محرري ديفيد جيل، والمحررة المساعدة ليز كوسنار. وكما يحدث دائمًا، فإن إرشاداتهما خلال عملية الكتابة وإعادة الكتابة لا تقدر بثمن. لقد دعمني الجميع في دار النشر (Simon & Schuster) بشكل مذهل، وما زالوا: جاستن شاندا، وجون أندرسون، وآنا زافيان، وكاتي هيرشبرجر، وميشيل ليو، وكانديس جرين، وكريسي نوه، وكريستا فوسن، وكاترينا جروفر، على سبيل المثال لا الحصر.

شكرًا من القلب لشركائي -نصف القصص تقريبًا في «مُمتَد» جاءت كثمرة للتعاون مع كتَّاب آخرين- ومن دواعي سروري العمل معكم جميعًا! فقد شاركت ميشيل نولدن في كتابة القصص التالية: «مَنزوع»، و«سيمفونية ناقصة» و«عُشر لم تُفكك»، كما وضع تيري بلاك، التصور لقصة «مُلوَّث» وشارك في كتابتها. ولا أنسى ابني بريندان شُسترمان، الذي وضع التصور لقصة «انتخاب غير طبيعي» وشارك في كتابتها معي، وابني جارود شُسترمان، الذي نفَّذ كل العمل الشاق في قصة «ناجٍ».

شكرًا لمساعديَّ بارب سوبيل وجنيفر ويدمر، اللذين يحافظان على تدفق الحياة من حولي كي لا أغرق عندما أحتاج إلى الوقت للكتابة (وهو ما يحدث دائمًا!)، ولمات لوري، الذي لم يكل في تحديث موقعي الإلكتروني، وتجميع نشرتي الإخبارية، والحفاظ على وجودي على وسائل التواصل الاجتماعي.

شكرًا لأندريا براون وكيل كتبي، وتارين فاجيرنيس وكيلة حقوق النشر الأجنبي لإصداراتي، ووكيليَّ لصناعة الترفيه ستيف فيشر وديبي دوبل هيل في وكالة (APA)، ومديري تريفور إنجلسون؛ ومحاميِّي العقود شيب روزنمان، ولي روزنباوم، وجيا بالادينو.

في وقت كتابة هذه السطور، تتجه رواية «مفكك» إلى التحول إلى فيلم روائي طويل، وأود أن أشكر كل من شارك في هذا العمل، بما في ذلك روجر وجالا أفاري، وجوليان ستون، وكاثرين كيميل، وشارلوت ستاوت، ومارك بيناردوت، وفابر ديوار، إضافة إلى روبرت كولزر، ومارتن موسكوويتز، وكل من في شركة «كونستانتين فيلمز».

وطبعًا، لم تكن هذه الرحلة التي استمرت عشر سنوات في عالم التفكيك لتتحقق، لولا شغف ودعم المعجبين! هذا الكتاب هديتي لكم جميعًا!

مُمتَد

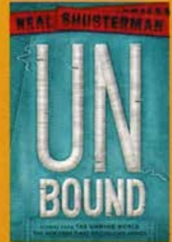
UNBOUND

قصص أخيرة من عالم التفكيك

حكايات عـالم التفكيك الغريب والمـثير لم تنتهِ بعد، بل مـا زالت ممتدة في هذا الكتاب الخامس والأخير من دستوبيا التفكيك.

يحمـل هـذا الكتـاب بين دفتيـه توليفـة رائعة مـن القصـص القصيرة المنفصلـة المتصلـة، التي تـدور كلها في عـوالم التفكيـك الغامضة والملأى بالتشويق والمغامرات المريعة والممتعة في الوقت نفسه.

سـنقابل هنـا أبطالنـا المعـروفين -مثـل ريسـا وليـف وكام وجرايس ونيلسـون- في مراحـل مختلفة من حياتهم؛ سـابقة أو تاليـة للأحداث التي عايشـناها في الكتب السـابقة من السلسـلة، كما سـنتعرف على أبطـال جـدد -بـروكلين وكولتـون وأنيسـا وهيـث ورودـيـن، وغيرهـم- وسنرى كيـف نجـح المؤلـف ومعاونوه في نسـج قصصهم ببراعة داخل النسـيج الأصلي للعـالم الـذي عشـنا داخلـه بجوارحنا على مدار أربعة كتب قرأناها قبل «مُمتد».



هل ينتظرنا كونر لاسيتر أيضًا في هذا الكتاب؟

ربمـا لا يطـل علينـا محـرر المفـككين هـذه المرة مبـاشرة، لكـن سـيظل له وجـود لافـت ودائم في خلفية الأحداث.

aseeralkotb.com
contact@aseeralkotb.com
AseerAlkotb
AseerAlkotb
AseerAlkotb